المدارس اللسانية المعاصرة

تاليف

الدكتور نعمان بوقرة

أستاذ اللسانيات بقسم اللغة العربية

جامعة عنابة ـ الجزائر

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا ـ القاهرة ـ ت : ٣٩٠٠٨٦٨

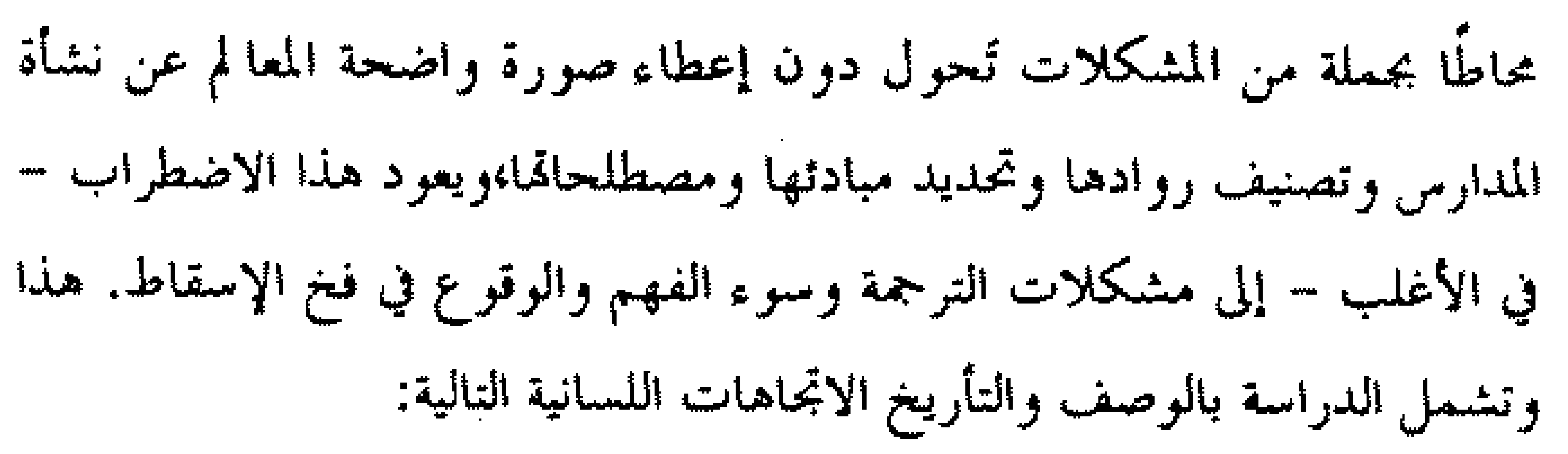
البريد الإلكتروني adabook@hotmail.

مقدمة

إن الحديث عن المدارس اللسانية الحديثة هو حديث عن كل شئ يتصل باللسانيات في القديم والحديث؛ إذ أنه يتطرق إلى التعريف برائد المدرسة من حيث نشأته وتكوينه العلمي وجهوده اللسانية التي أسهمت في بلورة رؤيته للظاهرة اللسانية في تفاعلها مع سائر الظواهر الإجتماعية، بالإضافة إلى جهود زملائه في تطوير النظرية اللسانية، ثم التعريف بالأصول العامة ومنهج البحث المعتمد في هذه المدرسة أو تلك، كما يكون من الواجب التأسيس للنظرية بالكشف عن مرجعية التفكير اللساني الذي صدر عنه الأعلام المؤسسون من حيث البعد الفلسفي والنفسي والتربوي.

ثم يتفرع الحديث بعدها إلى التعريف بخصوصيات المدارس في منظوماتها المفهومية ومعجمها الخاص الذي تحدده المصطلحات المتنوعة و التي تقود في كثير من الأحيان إلى سوء الفهم وتحميل النظرية لدى المتلقي ما لا تطيقه من مفاهيم وإجراءات على الصعيد التطبيقي. ولهذه الأهمية كان من اللازم التوقف مع أشهر الاتجاهات اللسانية التي وجهت وأطرت التفكير المعاصر في اللغة الطبيعية، دون أن نهمل الجهد الذي بذله الأوائل في وضع اللغة موضوعًا للدرس والتفكير في بؤرة الهموم الحضارية للأمم القديمة،وربما كان البحث اللساني العربي - بتعدد روافده وتخصصاته - أهم محور نركز عليه؛ذلك أن الهدف من هذه الدراسة هو تثمين جهود كل مفكر في الواقعة اللغوية بغض النظر عن منطلقاته وأهدافه، على أن ينمّى هذا الجهد مستقبلاً ليشمل التأريخ لمدارس أخرى.

وقد تبنينا تحقيقًا للغاية التعليمية خطة تركّز على اتجاهات مشهورة تختلف في أهدافها بالرغم من تشابهها في المنهج، على أن الباحث في هذا المجال يجد نفسه



محاطًا بجملة من المشكلات تحول دون إعطاء صورة واضحة المعالم عن نشأة المدارس وتصنيف روادها وتحديد مبادئها ومصطلحاتها،ويعود هذا الاضطراب – في الأغلب – إلى مشكلات الترجمة وسوء الفهم والوقوع في فخ الإسقاط. هذا وتشمل الدراسة بالوصف والتأريخ الاتجاهات اللسانية التالية:

المدخل، وقد خُصِّص للتعريف بالجهود اللسانية التراثية وكيفية تعاملها مع اللغة.

أ) اللسانية السوسيرية (البنوية).

ب) المدرسة الوظيفية.

ج) المدرسة الغلوسيماتيكية.

د) النحو التوليدي التحويلي مع مقدمة عن الدراسات اللسانية الأمريكية.

هـ) اللسانية التداولية ونظرية الفعل الكلامي.

وأخيرًا آمُلُ أن يكون في هذا الجهد وهو جهد المقل – فائدةٌ للقاريء العربي سواءٌ المتخصص أو المهتم عمومًا بالظاهرة اللسانية...

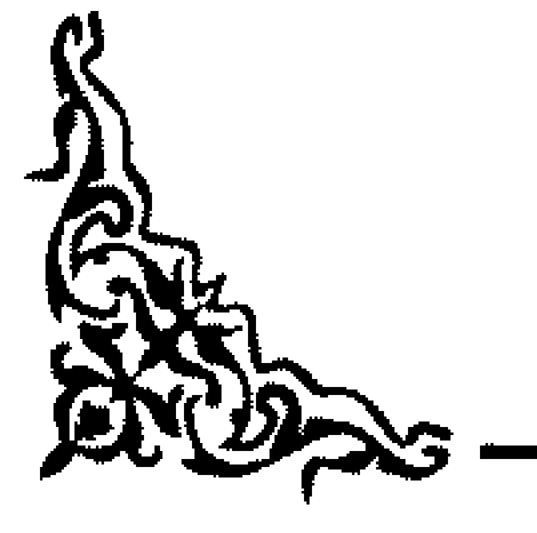
بتاريخ 3/نوفمبر/2003

۞ ۞ ۞



مدخـــل

الدراسات اللسانية عند العرب بين القديم والحديث



توطئة:

الواقع أن تاريخ اللغات يحيطه الغموض لتغلغله في أزمان سحيقة، ولذلك لا نكاد – على وجه التحديد – نعرف عصر الطفولة اللغوية بصورة موضوعية؛ فكل الآراء والفرضيات لا تعدو أن تكون تخمينا لا ينسجم مع النـــزعة العلمية في اللسانيات،ومجالها أقرب إلى البحث الفلسفي وعلم الحفريات منه إلى الدراسات اللسانية.

واللغة العربية بالرغم من تاريخها الممتد وانبساط سلطانها على رقعة متسعة من الأرض درجت عليها، فهي كغيرها من اللغات لا نكاد نعرف تفاصيل واضحة عن حياتها الأولى.

نشأت العربية ضعيفة محدودة في ألفاظها وتصاريفها؛ لأن مظاهر الحياة آنذاك كانت محدودة، وفي غضون قرون عديدة تشعبت حاجات أهلها وكثرت متطلباتهم تبعًا لنموهم المطّرد، وتنقلاتهم في موطنها، وهذا يدعو إلى ابتكار لغوي جديد يُعبر عما يريدون من رغبات، فكثرت الألفاظ والتصرفات اللغوية، التي أخذت صورة التعدد اللهجي والتنوع في العادات الكلامية، ولهذا تكون اللغة قد دخلت مرحلة متقدمة من النضج والكمال[1].

ثم كان القرآن الكريم حدثًا خطيرًا في حياة اللغة؛ إذ قام بتوجيهها إلى أن تكون لغة فكرٍ، وواقع، ومستقبل، وأداة تعبيرية عن منجزات الحضارة العربية الإسلامية،لقد ضمن لها البقاء حتى غدا هذا البقاء مظهرًا مميزًا للمعجزة البيانية.عاشت اللغة العربية قرابة ألف وخمسمائة سنة وهي تؤدي مهمتها على

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مطبعة الجبلاوي، ط 4، 1990، ص 171.

نحوٍ متحرِّك تجاوبت فيه مع الزمن والتطور بين اللغات السامية، [1].ولعل أهم الدراسات المبكّرة التي أولت عناية للّغة العربية من حيث هي كائن اجتماعي متطور تلك التي تبناها الغربيون في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،وربما أمكننا الاستئناس بها في هذا المقام فهي كلها تندرج في سياق الاعتراف بعبقرية اللغة وقدرتها على مواكبة الحدث الحضاري، فآرنست رينان يقول في كتابه «تاريخ اللغات السامية»: «من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية؛ فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سَلِسَةً أيَّ سلاسة، غنيةً أيَّ غنى، كاملةً بحيث لم يُدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم! فليس لها طفولة ولا شيخوخة!! فظهرت لأول أمرها مستحكِمة، و لم يمض على سقوط الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى، ومن أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري، عند أمة من الرُّحَّل، تلك اللغة فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام معانيها»[2].

أما فرينباغ فيذهب في معجمه الكبير إلى أن لغة العرب ليست أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد، وإن اختلفنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق، أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجابا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة».ويقول "وُرْلْ" المستشرق الأمريكي ومدير مدرسة المباحث الأمريكية في القدس: «إن اللغة العربية لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، ويُنتظر أن

(1) أنور الجندي، **اللغة العربية بين حماتها وخصومها**، مطبعة الرسالة، بيروت، ص 3.

(2) المرجع نفسه، ص 25.

تحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي، وللغة العربية لينٌ ومرونةٌ يُمكنانها من التّكيُّف وفقًا لمقتضيات هذا العصر»[1].

التّفكير اللسانيّ عند العرب:

يقوم التّفكير اللسَاني عند العرب على جملة من المفاهيم يمكن تحديدها فيما يلي:

علم النّحو:

يعد النّحو الألسنة الذي قامت عليه الدراسة اللسَانية العربية من حيث هو نظام كم القواعد يقوِّم الألسنة بعد تفشي اللحن فيهم، وكان هذا المصطلح – أول ما ظهر – يشير إلى **القواعد التعليمية التي يتعلمها الناس كي يلحقوا بالعرب الفصحاء في إجادتهم العربية**، كما تدل كلمة "نحويين" على تلك الطبقة من الناس التي أخذت تشتغل بتعليم النحو أي القواعد التعليمية؛ وهو يختلف عن العربية أو علم العربية الذي كان يشير إلى الدراسة العلمية للغة العربية.

اللغة أو علم اللغة:

كان مصطلح "اللغة " يرتبط بنوع من الدراسة المنظمة بخاصة تلك المتصلة بعمل المعاجم وتأليف الرسائل اللغوية، وبصورة عامة فإنه يدل على دراسة المفردات ومعرفة الدلالات، وتنظيم ذلك في صورة كتبٍ أو معاجمَ، وهو بهذا يختلف عن مصطلحِ "العربية" أو "علم العربية "كما يختلف عن مصطلح "النّحو " أيضًا.واستبدلِ هذا المصطلح فيما بعد بمصطلح جديد وهو "علم اللغة" الذي يشمل دراسة الجوانب التالية:

1) العلاقة بين اللفظ والمعنى.
2) الأصوات التي تتألف منها المفردات.

(1) المرجع السابق، ص 27 – 28.

3) الصيغ الصّرفية.

4) الدلالة الوضعية للمفردات[1].

ويُجمع اللسانيون اليوم على أن هذا العلم علمٌ معياري؛ أي أنه يبحث في جوانب الصواب والخطأ في استعمال المفردات من حيث الدلالة والبنية، لا مجرَّدَ علم وصفي يصف المفردات اللغوية في ذاتها دون البحث عن الصواب والخطأ في الاستعمال.

أما الموضوعات التي كانت تدل عليها مصطلحات "اللغة" أو "علم اللغة" أو "علم اللغات" فتتمثل فيما يلي:

1) جمع المادة اللغوية المتمثلة في المفردات وترتيبها.

2) عمل المعاجم وبعض الرسائل اللغوية في تنظيم المادة.

3) دراسة نص الجوانب (صوتية، صرفية، اشتقاقية).

4) معرفة اللهجات العربية القديمة والفروق بينهما.

5) البحث في نشأة اللغة[2].

علم اللسان:

يُعد هذا المصطلح من المصطلحات النادرة الاستخدام في الدلالة على الدراسة اللغة في التراث اللغوي العربي، ويُعَدُّ "الفارابي" (ت 339هـ) أقدم من استخدمه في كتابه "إحصاء العلوم" والذي قسمه إلى خمسة فصول، هي:

1) في علم اللسان وأجزائه.

2) في علم المنطق وأجزائه.

3) في علوم التّعاليم (العدد، الهندسة، علم المناظر...).

---

[1] حلمي خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص 20.

[2] المرجع نفسه، ص 20.

4) في العلم الطبيعي وأجزائه.

5) في العلم المدني وأجزائه وفي علم الفقه وعلم الكلام.

و "علم اللسان" عند الفارابي هو مفتاح العلوم الأخرى وَمُصَرِّفُها. أما ما يقصده بمصطلح "علم اللسان" وتصوُّره لموضوعاته ومنهجه، فنجد ذلك في الفصل الأول؛ حيث يرى أن علم اللّسان ضربان: أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمةٍ ما وعلمُ ما يدلُّ عليه شيء منها. والثاني: علم قوانين تلك الألفاظ. أي أن علم اللسان يتفرع عنده إلى فرعين هما: علم اللسان التّطبيقي، وعلم اللسان النظري. أما فروع علم اللسان فهي عنده سبعة فروعٍ أو علومٍ؛ بعضها عام يشمل كل اللغات بلغة وبعضها خاص لِلغة معينة وهي:

علم الألفاظ المفرَدة:

أطلق علماء العربية القدماء على هذا العلم عدة مصطلحات هي: "اللغة"، "علم اللغة"، "متن اللغة". وهو من العلوم الخاصة بكل لغة يتصل بجمع مفرداتها ورواياتها ومعرفة أنواع هذه المفردات؛ الأصيل منها، والغريب عنها، أو الدخيل فيها، بالإضافة إلى معرفة الدلالات.

علم الألفاظ المرَكّبة:

يتميز هذا العلم – كسابقه – بالخصوصية؛ فهو علم خاص بكل لغة، يهتم برواية وحفظ جميع النصوص التي قالها شعراؤها وخطباؤها ونطق بها بلغاؤها وفصحاؤها المشهورون فيها.

علم قوانين الألفاظ المفرَدة:

يتميز هذا العلم بالشمولية؛ فهو علم عام يشمل دراسة المستويين الصوتي والصرفي، أو ما يسمى في اللسانيات الحديثة بعلم الأصوات وعلم الصرف، وقد قسمه "الفارابي" إلى هذين المستويين باعتبار أن علم قوانين الألفاظ المفردة يبحث أولاً في الحروف وعددها ومن أين تخرج في آلات التصويت، وعن الصّوت وغير

المصوّت،وعمّا يتركّب منها في ذلك اللسان، وعما لا يتركّب،وعن أقلّ ما يتركّب منها حتى يحدث عنها لفظة دالة، وكم أكثر ما يتركّب، وفي الحروف الذاتية التي تتبدل في بنية اللفظ [1].

أما عن المستوى الصرفي أو المرفولوجي؛ فيبحث في الحروف التي لا تتبدل في بنية اللفظ عند التثنية والجمع والتذكير والتأنيث، بالإضافة إلى مباحث أخرى؛ كالاشتقاق، والمصادر، وغيرها.

علم قوانين الألفاظ عندما تتركّب:

يتميز هذا العلم كسابقه بالشمولية، ويختص بدراسة التراكيب، أو كما يسمّى حديثًا في «اللسانيات» ويقسمه الفارابي إلى ضربين: بعلم السّنتكس.

الأول: يختص بفحص حركات الإعراب،ودراسة التغيرات التي تطرأ على الكلمات عندما تدخل في تركيب ما.

والثاني: يبحث في أحوال التراكيب والترتيب نفسه، وهو يقصد بهذا دراسة نظام الكلمات من حيث ترتيبها داخل الجملة، وعلاقة كل كلمة بالأخرى، وعلى كم ضرب يتم هذا الترتيب حتى تتألف جمل لها معنى.

إضافة إلى هذا يدرس هذا العلم مواضيع أخرى كالتعريف والتنكير، والأدوات اللغوية وعملها، وغير ذلك من الجوانب التي تتصل بالنحو.

علم قوانين الكتابة:

يختص بدراسة الحروف التي تُكتب في السطور والتي لا تُكتب، إضافةً إلى علاقة النطق بالكتابة وطرق التعبير في الصوت المنطوق بالحرف المكتوب، والنقط والفواصل، وغير ذلك.

[1] يقصد الفارابي بالحروف التي تتبدل في بنية اللفظ الصوامت consonnes، في مقابل التي تتبدل وتتغير في بنية اللفظ، وهي الصوائت voyelles.

علم قوانين تصحيح القراءة:

وهو علم لا ينفصل عن العلم السابق، بل يرتبط به أشد الارتباط، خاصة من ناحية الموضوع، فهذا الأخير يدرس إلى جانب مواضيع الحروف في السطور نقط الإعجام والعلامات (الفصل، الوصل) التي من خلالها نستطيع التمييز بين المقاطع (الصغرى، الوسطى، الكبرى) وعلامات الأقاويل المرتبطة التي بمعنى بعضها.

علم الأشعار:

يهتم هذا العلم بالشعر خاصّةً؛ فيقوم بفحص ودراسة الأوزان الشعرية البسيطة والمركّبة وحَصْرِها وتصنيفها، كما يفحص أنواعَ القوافي، وغير ذلك مما يتصل بعلم العروض.

من خلال ما سبق نستطيع القول إنّ الفارابي في سرده لمفهوم "علم اللسان" يوسع من دائرة هذا العلم، بحيث يشتمل عنده على علوم خاصة وعلوم أخرى عامة (تَدْرُسُ اللغة من حيث هي ظاهرة إنسانية)، كما أدخل في هذا العلم جوانب تعليمية تطبيقية تنتمي إلى فرع مستقل في اللسانيات التطبيقية linguistique appliquée.

وما هذه إلا إطلالة سريعة على التراث اللغوي عند العرب، هذا التّراث الذي قدم لنا عددًا من المصطلحات التي تدل في مجملها على طرق ومناهج متعددة في دراسة اللغة العربية وهي النحو، واللغة، أو علم اللغة، في حين قدَّم لنا التراث الفلسفي أو المفهوم العلمي لدراسة اللغة عامة (ظاهرة إنسانية) واللغة العربية خاصة، كما يتمثل في مصطلح علم اللسان [1].

مستويات للدّراسة اللّسانية عند العرب:

البحث اللغوي قديم في التّراث العربي، بدأ مع قيام الحركة العلمية في القرن

[1] حلمي خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص 06 وما بعدها.

الثاني الهجري [1]. ولقد نشأت الدراسة اللغوية العربية في رحاب التّحول الفكريّ والحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في البيئة العربية، انطلاقًا من الشعور بمعجزة البناء اللغوي على المستويين التّركيبي والدلالي [2].

ولم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة التي خفّوا لها سراعًا؛ لأنهم وجّهوا اهتمامهم أولاً إلى العلوم الشرعية الإسلامية، وحين فرغوا منها أو كادوا اتجهوا إلى العلوم الأخرى.يقول السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء" معبرًا عن الفكرة: « إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ العلماء المسلمون يسجلون الحديث النبوي الشريف، ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، وبعد أن تّم تدوين هذه العلوم اتّجه العلماء وجهةً أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو» [3].

وسنعرض فيما يلي لأهم المستويات اللسانية التي تناولها اللغويون العرب بالدراسة، وهي على الترتيب:

1) المستوى الصوتي.
2) المستوى الصرفي والنحوي.
3) المستوى المعجمي.
4) المستوى الدلالي.

أولا ـ المستوى الصوتي:

إن أقل الناس إلمامًا بالرصيد اللساني للتراث العربي يدرك – لا محالة – أن الجانب الصوتي قد حظي باهتمام خاص لدى الدارسين الأقدمين على اختلاف

(1) محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، ص 10.
(2) أحمد حسّاني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 61 .
(3) أحمد مختار عمر،البحث اللغوي عند العرب، ص 7.

توجهاتهم العلمية، منهم القراء، ومنهم النحاة، ومنهم علماء الأصول، ومنهم الفلاسفة، وأوضح دليل على ذلك الاهتمام بالظاهرة الصوتية، هو أن الأساس الأوّلي المعوّل عليه في وضع المعايير التأسيسية للنحو العربي، كان الصوت من حيث هو ظاهرة فيزيولوجية قابلة للملاحظة المباشرة،ويبدو أنّ أصفَى صورة لتبرير ما نحن بسبيله قصة أبي الأسود الدؤلي (ت68هـ) مع كتابه حينما هَمّ بوضع ضوابط لقراءة القرآن ، إذ قال له: «إذا رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممتُ فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرتُ فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعتُ شيئًا من ذلك غُنّةً فاجعل مكان النقطة نقطتين».

ولقد اهتم النحويون بعدة قضايا صوتية وصرفية، وشغلت الفصول الصوتية عدة صفحات في أمهات كتب النحو، وكتاب سيبويه – وهو أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي – يضم صفحات قيمة في الدراسات الصوتية؛ إذ جعل البحث الصوتي وسيلةً من وسائل التحليل الصوتي بالدرجة الأولى، ولذلك كان البحث الصوتي عند سيبويه أساسًا لتفسير عدد من الظواهر في مقدمتها ظاهرة الإدغام، وكان عند الخليل مدخلاً للإعجام، وعند مؤلفي كتب القراءات وسيلة لوصف ظواهرها الصوتية، أما الكتاب الوحيدالذي ألف في الدراسات الصوتية وحدها فهو كتاب "سر صناعة الإعراب" لابن جني [1].

ومن أهم الموضوعات الصوتية التي ركز عليها ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب" ما يلي:

1) عدد حروف الهجاء، وترتيبها، ووصف مخارجها.
2) بيان الصفات العامة للأصوات وتفسيرها باعتبارات مختلفة.

(1) محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، ص 15 – 16.

3) ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

4) نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج [1].

أما أهم النتائج الصوتية التي توصل إليها العرب، فهي باختصار:

1) وضع أبجدية صوتية للغة العربية، رُتبت أصواتها بحسب المخرج ابتداءً من أقصى الحلق حتى الشفتين.

2) تسمية أعضاء النطق بأسمائها (رئة، حلق، حنجرة...) وتقسيم الحلق إلى: (أقصى، وسط، أدنى). واللسان إلى: (أصل، أقصى ووسط، ظهر، حافة، طرف).

3) تقسيم الأصوات إلى: شديدة ورخوة [2]؛ باعتبار مجرى الهواء، ووضع قائمة بأصوات كل نوع.

4) تقسيم الأصوات إلى: مطبقة ومفخمة [3].

5) تقسيم الأصوات إلى: مجهورة ومهموسة [4]؛ باعتبار وجود رنين يصحب نطق الأصوات.

6) تقسيم الأصوات إلى: صحيحة ومعتلة؛ على أساس اتساع المخرج مع

(1) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 9.

(2) الشديد: الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه.
الرخو: الحرف الذي يجري فيه الصوت.

(3) المطبقة: التي تلاصق ما يحاذي اللسان من الفَكّ الأعلى: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء.
المفخمة: الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، اللام المفخمة.

(4) المهموس: جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج.
المجهور: هو انحباس مجرى النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج.

المعتلة دون الصحيحة، كما اهتدوا إلى الصفات التي تميز بعض الحروف؛ كاللام الذي وصفوه بالمنحرف، والراء التي وصفوها بالمكرر، وغيرها.

7) قسَّموا حروف العلة (أوى) إلى: قصيرة، وطويلة، وأصول.

8) تحدثوا عن الائتلاف بين الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية [1].

إن الرُّقِّي الذي بلغه الفكر العربي في مجال الدراسة الصوتية منذ القرن الثاني للهجرة جعل بعض الباحثين الغربيين يفترض وجود اقتباس واسع عن حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية متطورة، كالحضارة اليونانية والهندية، وفي هذا السبيل حاول الباحث «فولرز» تبيين بعض نقاط التقاطع بين جهود «بانني» في مجال الدراسة الصوتية والعلوم الصوتية العربية التي أنشأها الجيل الأول من النحويين العرب أمثال الخليل، وأما «بروكلمان» فقد رفض هذا الرأي القائل بتأثر العرب بالدراسات النحوية والصوتية للحضارات القديمة، واعتبر وجود علم الأصوات عند العرب ظاهرة قائمة بذاتها [2].

ثانيا- المستوى النحوي والصرفي:

لم يكن تفشي اللحن في العربية وخوف العرب على القرآن وحده هو الذي دعاهم إلى وضع النحو، بل هناك بواعث أخرى، ففهم النص القرآني الكريم والتعرف على أسراره كان هدفا يتوخاه كل مسلم. وعلم النحو هو أقرب العلوم اللغوية إلى هذه الغاية الكريمة. ونشأة العلوم الإسلامية تدعم هذا، إذ نشأت كلها لهذه الغاية، كما أن حاجة المسلمين من غير العرب إلى تعلم العربية والتعبد بكتابها الخالد، وحرص أولي الأمر على تعليمهم إياها دعاهم إلى وضع القواعد التي تمثل العربية الصحيحة وجعل نطقها صحيحًا.

(1) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 99 - 105 بتصرف.

(2) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 65.

وتكاد الروايات تتفق على أنّ أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع النحو بعد أن أخذه عن علي بن أبي طالب [1]، وهذا ما تُجمع عليه أغلب المصادر القديمة قد يكون أحيانًا على ما في هذا الرأي من تعصب مذهبي.

والنحو تُعرف به أواْخر وأحوال الكلمة و الكلم إعرابًا وبناءً، فيقصر النحاة بحثهم على الحرف الأخير من الكلمة، وعلى خاصِّية من خواصه وهو الإعراب والبناء؛ فغاية النحو بيانُ الإعراب وتفصيل أحكامه حتى سّماه بعضهم: علم الإعراب[2].

والصرف هو تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي، ويراد ببنية الكلمة هيئتها أو صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها [3].

وقد كان من الطبيعي أن يبدأ علماء العربية في جمعِ ألفاظها قبل أن يضعوا قواعدها، ولهذا يُرجح المؤرِّخون أنّ البحث النحوي - بالمعنى الفني لكلمة «نحو» — قد بدأ متأخرًا عن جمع اللغة؛ لأن تقعيد القواعد ما هو إلا فحصٌ لمادة لغوية، تم جمعها بالفعل، ومحاولةٌ لتصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها [4].

ويُعَدُّ سيبويه إمام النحاة، تجسد هذا في مؤلَّفه "الكتاب" الذي ضم بين دفتيه مباحث في النحو والصرف، حيث خصص الجزء الأول للنحو، والجزء الثاني للصرف.

وبعد ظهور «الكتاب» الموصوف بـــ "قرآن النحو" أصيب التفكير النحوي

(1) محمد حسن عبد العزيز، مصادر البحث اللغوي، دار الكتاب الجامعي، الكويت، ط 1، 1997، ص 73.

(2) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط 2، 1937، ص 1.

(3) عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم الصرف، دار النهضة العربية، 1974، ص 7.

(4) محمد حسن عبد العزيز، مصادر البحث اللغوي، ص 149.

بشلل، وتحولت كثير من الدراسات النحوية إلى مجرد شروح له أو اختصارات أو تعليقات عليه، يقول المازني: «مَن أراد أن يعمل كتابًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي»، وبرغم نسبة الكتاب إلى سيبويه، فإن دور الخليل فيه لا يُجحد، حتى أن هناك من قال إن الأوفق أن يُنسب الكتاب للخليل، يقول ثعلب: « اجتمع على صنعة «الكتاب» اثنان وأربعون إنسانًا منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل» [1].

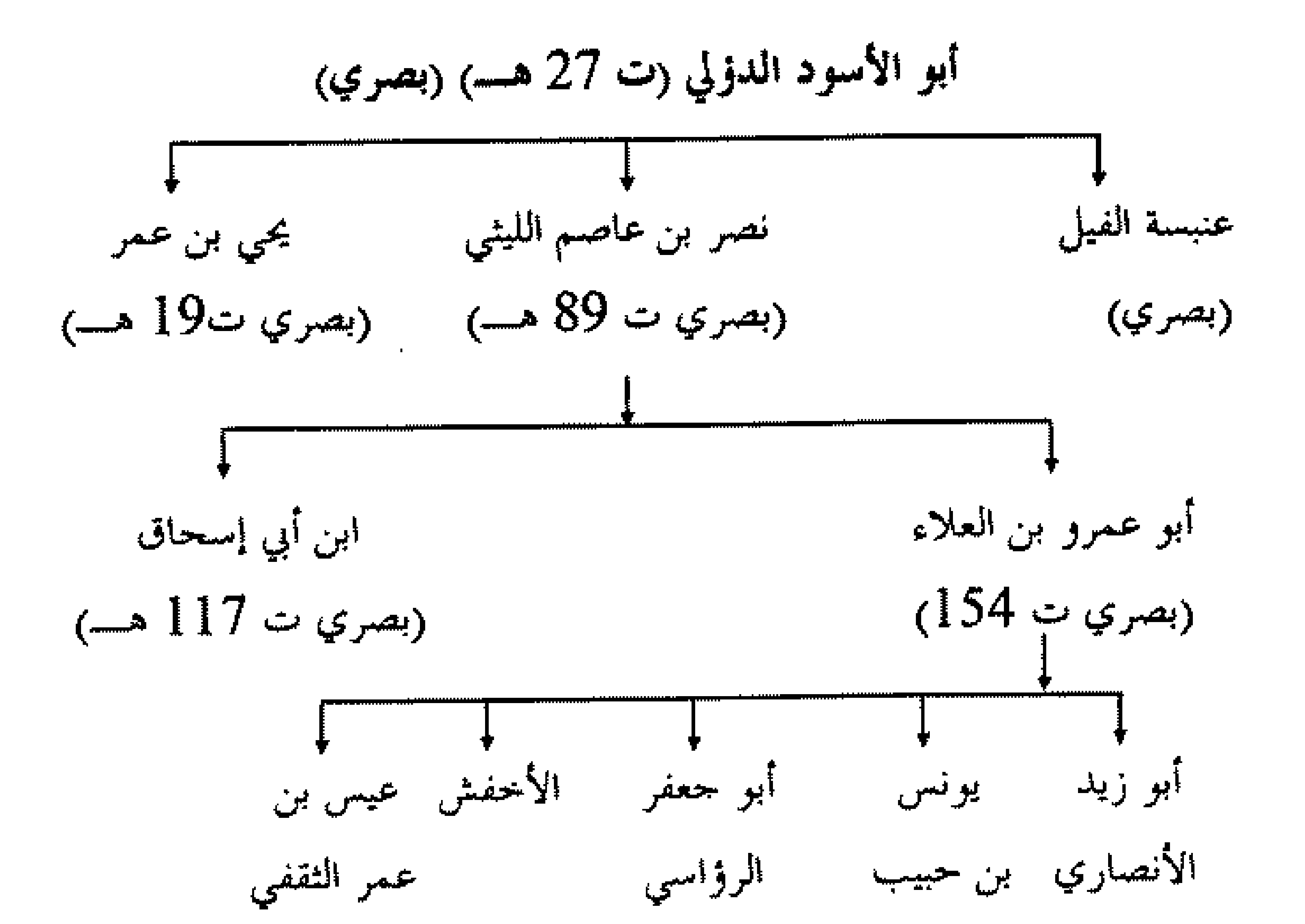
والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا: هل وُجدت مدارس نحوية عربية؟

اعترف جميع الدارسين بمدرستَي الكوفة والبصرة، وأقروا بأسبقيتهما لأي مدارس أخرى، ومنهم المستشرقون، وهناك من أدرج مدرسة ثالثة هي مدرسة بغداد؛ يضم هذا الفريق (بروكلمان من الغربيين، ومهدي المخزومي من المحدَثين العرب).

وهناك من يضيف مدرسة رابعة بالأندلس مثل طه الراوي؛ فقد ذكرمدرستين في مصر والمغرب، إضافةً إلى آراء مختلفة واتجاهات متضاربة، لكن ما نستطيع قوله إنه مهما اختلفت المدارس وتشعبت النظريات وتضاربت الآراء، فإن النحو العربي ظلّ في أصوله العامة وأهدافه واحدًا[2].

(1) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص111.

(2) المرجع السابق، ص 116.



ثالثا- المستوى المعجمي:

يقول ابن جني في مقدمة كتابه "سر صناعة الإعراب": «اعلم أن (عَ جَ مَ) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإيضاح، من ذلك قولهم: رجل أعجم، امرأة عجماء إذا كانا لا يُفصحان ولا يبينان كلامهما، ويقول الفيّومي في "المصباح المنير"، والعجمة في اللّسان بضم العين لكنةٌ وعُدمُ فصاحة، والمعجم كما في المعجم الوسيط: ديوانٌ لمفردات اللغة مرتبٌ على حروف المعجم، وحروف المعجم = حروف الهجاء»[1].

إن حركة التأليف في المعاجم بدأت انطلاقًا من رسائل الموضوعات، وهي رسائل متوسطة وصغيرة ساهمت في نشأة المعاجم الكبيرة مساهمةً فعالة، وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني للهجري، ويطلق عليها معاجم المعاني أو المعاجم

(1) المرجع السابق، ص 153 - 154.

المبوّبة، وقد جاءت هذه الرسائل خاصّةً مستقلةً أو خُصِّصت لها أبوابٌ وفصولٌ في الكتب العامة، وهي عبارة عن معاجم بُنيت على المعاني والموضوعات المألوفة، وقد تبلور المعجم الذي نعرفه اليوم على يدي **الخليل بن أحمد الفراهيدي في** العين، وتتابع بعده التأليف في المعاجم إلى العصر الحديث، وبدت ظاهرة التقليد في صناعة المعاجم جليةً واضحة إلى حد بعيد، وهي أن المتأخرين قد اعتمدوا على السابقين والأخذ عنهم [1].

وتتجلى وظائف المعجم فيما يلي:

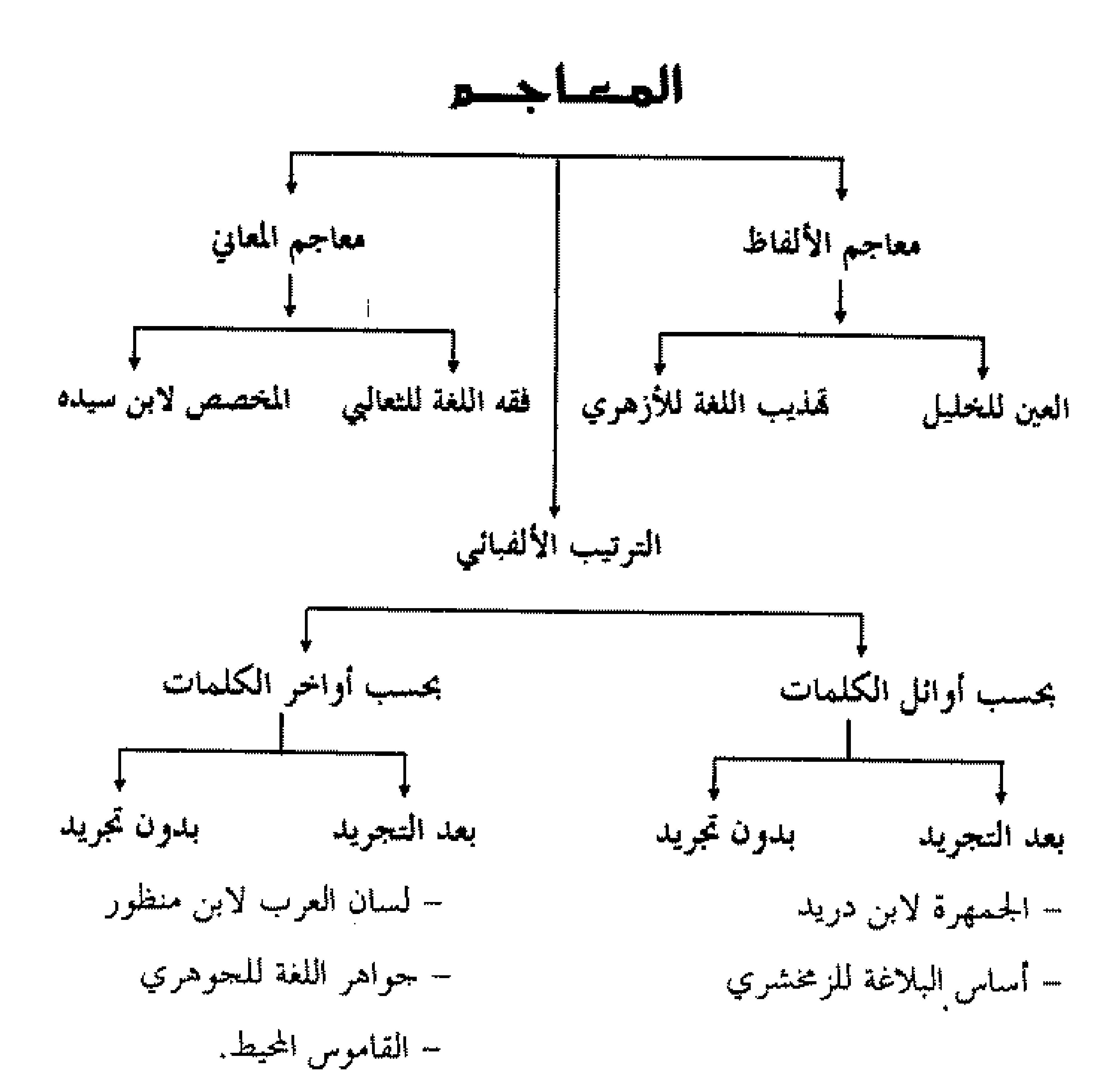
1) شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها عبر العصور.
2) بيان كيفية نطق الكلمة أي ضبطها بالشكل.
3) تحديد الوظيفة الصرفية للكلمة.
4) تحديد مكان النبر في الكلمة [2].

وقد قسمت المعاجم العربية إلى ثلاثة أنواع بالنسبة إلى النظام المتبع، وهي:

1) نوع رتّب الكلمات على حسب مخارج الأصوات وطريقة التقاليب مثل: العين للخليل، تهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده.
2) نوع رتّب الكلمات ترتيبًا أبجديا (حسب الأصل الأول والأخير للكلمة) مثل: الصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور.
3) نوع رتب الكلمات بحسب الموضوعات مثل: الغريب المنصف **لابن عبيد القاسم بن سلام** وفقه اللغة **للثعالبي**، والمخصص لابن **سيده**[3].

وأختم هذا المبحث بمخطط يلخص أهم المدارس المعجمية:

(1) محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص 25.
(2) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1987، ص 230.
(3) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 5.



رابعًا- المستوى الدلالي:

لقد كانت الدراسة الدلالية من أول فروع علم اللغة التي عرفها العرب عندما جاءهم الإسلام (القرآن) يتحداهم في بيانه وإعجازه، حاملاً بين طياته ثورة أدبية، اجتماعية،... جاء يتحداهم في أعز ما يملكون وهي اللغة، فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز، تبحث في دلالات ألفاظه، فتنوعت وتعددت، وكان منها البحث في غريب ألفاظه، وقد تلا هذه الدراسات تتبع اللغة وجمعها لتوضيح معانيه؛ لأنه نزل بلغة القوم؛ ففهمُه يتوقف على فهم لغتهم

وأساليبهم في استعمالها[1].

وتمتد البحوث الدلالية العربية من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية على سائر القرون التالية لها، وهذا التاريخ المبكر إنما يعني نضجًا أحرزته العربية وأصَّله الدارسون في جوانبها [2]. ولقد كان البحث في دلالة الكلمات من أهم ما لفت نظر اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتُعَدُّ الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة، مثل: تسجيل معاني الغريب في القرآن، ومثل الحديث عن مجاز القرآن، ومثل التأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملاً دلاليًا؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، وبالتالي إلى تغيير المعنى [3].

وتنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك، فغطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية، ومن ذلك:

أ- اهتمامات اللغويين التي تمثلت فيما يلي:

- محاولة ابن فارس الرائدة — في معجمه المقاييس — ربطَ المعاني الجزئية للمادة بمعنًى عام يجمعها.

- محاولة الزمخشري - في معجمه أساس البلاغة - التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية.

- محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد.

---

(1) أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، ص 184.

(2) فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 2، 1996، ص 6.

(3) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، دار عالم الكتب، بيروت، ط 4، 1993، ص 20.

اهتمامات الأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة :

- عقد الأصوليون أبوابًا للدلالات في كتبهم، وتناولت موضوعات مثل: دلالة اللفظ، دلالة المنطوق والمفهوم،تقسيم اللفظ من حيث الظهور والخفاء، والعموم والخصوص، والتخصيص والتقييد.

- ظهرت دراسات وإشارات كثيرة للمعنى في مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم.

اهتمامات البلاغيين:

التي تمثلت في دراسة الحقيقة والمجاز، وفي دراسة كثير من الأساليب كالأمر والنهي.. وفي نظرية النظم للجرجاني[1].

أما قضايا الترادف والأضداد والمشترك اللفظي، فكانت أيضًا موضع اهتمام وخلاف؛ قال بعضهم بوجود الترادف على أساس اتفاق المعنى بين كلمتين، وأنكرَ بعضهم ذلك، بوجود الأضداد بأن تدل الكلمة الواحدة على الشيء ونقيضه؛ كدلالة (الجون على الأبيض والأسود)، وقال بعضهم بوجود المشترك وأنكر بعضهم ذلك [2].

ولقد الْتفتَ علماؤنا إلى أهمية السياق في تحديد الدلالة ودورها في الحدث اللغوي؛ فلا نجد أصوليًا ولا لغويًا إلا وقد أشار إلى ذلك عند كلامه عن الدلالة[3].

اللسانيات العربية؛ المشكلات والآفاق:

اللسانيات بمعناها العلمي الدقيق لم تدخل العالم العربي بصفة جدية إلا بعد

---

(1) المرجع السابق، ص 20 - 21.

(2) محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، ص 22.

(3) أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة، ص 86.

الأربعينات من القرن العشرين، حيث تم إيفاد العديد من المصريين للتكوين في هذا العلم بالمدارس الأوربية والأمريكية [1].

هذا وقد واجه البحثُ اللساني في العالم العربي عددًا من العقبات التي عرقلت طريقه وحالت دون ظهور بحوث مُتّسِمة بالموضوعية والمنهجية قياسًا على مناهج اللسانيات الغربية، وربما أمكننا التعريف بأهم هذه المآزق المنهجية والنظرية والإجرائية التي حالت دون تأسيس علم لغوي يتسم بالشمولية والموضوعية والدقة والأصالة:

1ـ اللغة الموصوفة وأزمة المنهج:

تتجلّى هذه المشكلة في صورتين هما:

أ ـ اللغة الموصوفة:

يُقصد بها المادة اللغوية أو المعطيات التي يقوم بوصفها اللسانّي، هذه اللغة الموصوفة التي أصبحت تمثل عائقًا أمام تطور البحث اللساني العربي، ذلك أن اللسانيين اكتفوا بما أتى به القدماء من معطيات، ولم يحاولوا وصف اللغة وصفًا آخر بالاعتماد على جرد مواد جديدة انطلاقًا من نصوص شفوية أو مكتوبة تمثل لغة التخاطب الآني.

ب ـ أزمة المنهج:

إن استعمال المحدثين للمادة اللغوية القديمة نتج عنه في غالب الأحيان تطبيق مناهج قديمة موروثة نظرًا للعلاقة الوطيدة الموجودة بين الأصول التي وضعوها وموارد هذه الأصول[2].

---

(1) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ومنشورات عويدات، بيروت - باريس، ص 51.

(2) المرجع نفسه، ص 51 - 52 بتصرف.

وعمومًا يمكن الزعم أن طبيعة اللغة الموصوفة جرّت جُلّ اللغويين العرب إلى طرح إشكال المنهج اللائق لمعالجتها، لكنهم لم يتوصلوا إلى حل، ووقعوا في أزمة منهجية أفسدت عليهم الوصول إلى وصف كاف شاف للغة، هذه الأزمة التي أدت إلى تصورات خاطئة لكثير من القضايا النظرية [1]منها:

تحديد اللغة العربية:

إن اللغة العربية لغة كسائر اللغات الأخرى، وهي بصفتها "لغة "تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية، وتشترك معها في العديد من الخصائص سواء من الناحية الصوتية أو التركيبية أو الدلالية، وهي بصفتها "عربية " لا يعني ذلك أنها تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، بل لا نكاد نجد ظاهرة في اللغة العربية إلا ووجدنا مثيلاً لها في لغات أخرى، هندوأوروبية أو غيرها.

ادعاء العلمية والمنهجية:

تأخذ هذه الظاهرة أشكالاً متعددة؛ من تصور خاطئ للعلم، إلى تصور خاطئ للافتراضات العلمية؛ إلى تصور خاطئ لما يعتبر تطبيقًا لنظرية ما...الخ.

ونأخذ - كتأكيد لهذه الادعاءات العلمية – مثالين؛ الأول لتمام حسان، الذي يرفض العلة، ونظرية العامل والإعراب التقديري، كما يرفض الخروج من شيء ملاحَظ إلى شيء مجرد؛ بدعوى أن هذه الأشياء في نظره ليست من العلم، وأن العلم يجب أن يكتفي بالملاحظة الخارجية، والتساؤل عن الكيف، ولا يتعدى ذلك إلى التساؤل عن علة وجود الظاهرة، يقول في هذا المقام: «إن المعروف في كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر أنه يعني أولاً وأخيرًا بالإجابة عن "كيف" تتم هذه الظاهرة أو تلك، فإذا تعدى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن "لماذا" تتم هذه الظاهرة أو تلك لم يعد هذا منهجًا علميًا،

(1) المرجع نفسه، ص 55 - 56.

بل لا مفر من وصفه بالحدس والتخمين، وتفسير الإرادة والبحث عن الحكمة الإلهية في وجود هذه الظاهرة »[1].

أما المثال الثاني فيعرضه أنيس فريحة، وهو ينتمي إلى المدرسة الجديدة (الوصفية)، وهؤلاء يحللون اللغة إلى عناصرها كما يحلل الكيميائي المادة. وهما معًا يرفضان كل تجريد وكل بنية افتراضية، استنباطية للتوصل إلى ما يتوصلون إليه من نتائج؛ يقول "فريحة": «إن اللغة العربية قواعد معقدة، وخطها ليس فيه حركات، وهي لم تكن لغة العلم والفنون، لذلك يجب استبدال هذه اللغة العربية الفصحى، بلهجة عامة (بدون إعراب) تُكتب بحروف لاتينية، تفاديًا للمشكلات»[2].

موقف من التراث:

إن مواجهة الفكر اللساني القديم بالمعاصر يؤدي إلى نوع من اللاتاريخية؛ إذ يضطرنا إلى الحكم على فكر نشأ في ظروف معرفية وتكنولوجية معينة بمقاييس عصر وصل فيه العلم والتكنولوجيا إلى نتائج لم يعد ممكنًا معها أن نأخذ بتحليل القدماء، بل يمكن فقط أن نستأنس بها وأن نأخذ بعض الجزئيات فيها، أو بعض الخطوط العامة، ولقد رأينا أن عددًا من المفاهيم الوصفية عند القدماء (المبتدأ، الخبر، الجملة الاسمية والنواسخ...) لا يمكن الاحتفاظ بها في نموذج لساني حالي (نظرية العامل التي نحتاج إليها في الدرس اللساني الحديث، ليست هي نظرية العامل عند القدماء) [3].

(1) تمام حسان،مناهج البحث في اللغة، ص 55 - 56.

(2) المرجع السابق، ص 57 - 58.

(3) المرجع نفسه، هامش ص 61.

اللسانيات الغربية الحديثة و التفكير اللساني العربي:

من الصعب تحديد البدايات الأولى لانتقال الفكر اللغوي الحديث إلى ميدان التفكير اللغوي في العالم العربي، ولكن الذي لا شك فيه أن هذه البدايات ترجع إلى بداية الاتصال بالحضارة الغربية في العصر الحديث. والتي بدأها "**رفاعة الطهطاوي**" الذي أثار في بعض كتبه الاهتمام بدراسة اللغات واللغة الفرنسية أثناء بعثته هناك، كما ظهرت بعض أفكار الدراسة اللغوية الحديثة في مقالات نشرها المقتطف، وفي كتابات "**جورجي زيدان**" الذي نشر كتابين في اللغة،أحدهما يدعى " الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" (1886)، والثاني بعنوان "اللغة العربية كائن حي" وحاول فيهما عرضَ آراء علماء اللغة الغربيين عن طبيعة اللغة ووظيفتها وطرق تحليلها، والاستفادة من ذلك في دراسة اللغة العربية، وكان يعتمد على الترجمة من كتب المستشرقين، وخاصة الألمان منهم [1].ومما اطّرد عند الدارسين أن الحضارة العربية لم تُفرز في مجال اللسانيات سوى علمًا تقنيًا منطلقُه وغايته نظام اللغة العربية في حد ذاتها لا غير. والواقع أنه ما من أمة فكرت في قضايا الظاهرة اللغوية عامة وما قد يحرّكها من نواميس مختلفة إلا وقد انطلقت في بلورة ذلك من النظر في لغتها النوعية. إذًا فالقضية مردُّها إلى قدرة أي أمة على تجاوز ضبط لغتها وتقنينها لإدراك مرتبة التفكير المجرد في شأن الكلام، باعتباره ظاهرة بشرية كونية تقتضي الفحص العقلاني بغية الكشف عن نواميسها الموحدة. والحضارة العربية قد أدركت تلك المرتبة؛ ففكّر أعلامها في اللغة العربية، فاستنبطوا منظومتها الكلية وحددوا فروع دراستها بتصنيف علوم اللغة وتبويب محاور كل منها، وكان من ذلك جميعًا تراثهم اللغوي في النحو والصرف

[1] حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 139 بتصرف.

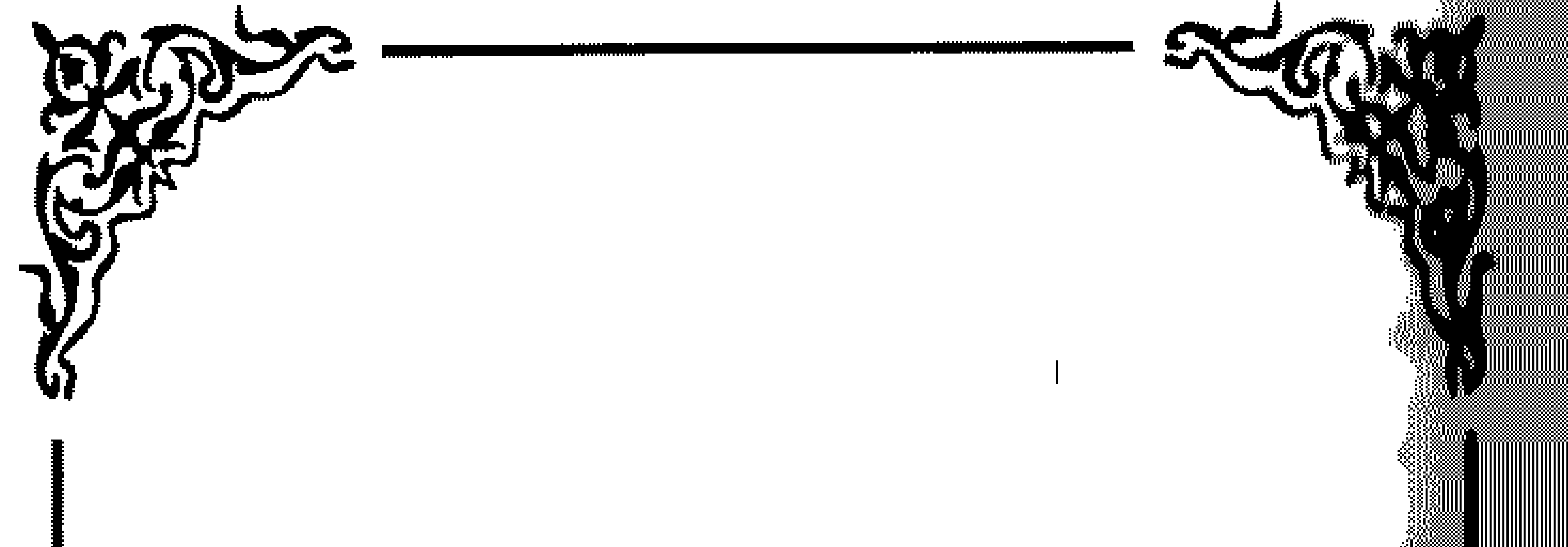
والأصوات والبلاغة والعروض...، لكنهم تطرّقوا إلى التفكير في الكلام من حيث هو كلام، أي في الظاهرة اللغوية كونيًا، ولئن وردَ ذلك جزئيًا في منعطفات علوم اللغة العربية خاصةً عندما فلسفوا منشأ نظامها وقواعدها ووضعوا علم أصول النحو، فإنهم دوّنوا ذلك خصوصًا في جداول تراثهم الآخر غير اللغوي أساسًا، وما خلّفوه لنا في هذا المضمار يكشف بجلاء أنهم ترقّوا في بحوثهم اللغوية من مستوى العبارة – وهو مستوى اللغة مجسدة في أنماط من الكلام قد قُبلت قبولاً – إلى مستوى اللغة وهي في مقامهم اللغة العربية، واللغة مفهوم يعكس الأنظمة المجردة التي تصاغ على منواله العبارة إلى مستوى الكلام؛ أي الحدث اللساني المطلق كونه ظاهرة بشرية عامة [1].

وبخصوص علاقة المناهج اللسانية الغربية بالبحث اللساني العربي يمكن التطرق إلى مساهمات جادة في البلاد العربية، ممثلة بجهود تمام حسان وإبراهيم أنيس ورمضان عبد التواب وحلمي خليل وعبد الرحمن الحاج صالح في النظرية الخليلية، والفاسي الفهري وأحمد المتوكل ومحمد مفتاح وعبد القادر المهيري ومنذر عياشي ومازن الوعر ونهاد الموسى وخليل أحمد عمايرة وآخرون.

لم تلق اللسانيات العربية الرواج الذي حظيت به اللسانيات الغربية،فرغم تلك الجهود الفردية والجماعية التي بذلت، فقد ظلت مهمَّشة في المؤسسات التي أوكلت إليها مهام الاطّلاع على البحث اللساني، وتخطيط السياسة اللسانية، ووضع أدوات لتلبية الحاجات اللسانية [2].

[1] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس – ليبيا، ط 2، 1986،ص 24 بتصرف.

[2] منظمة الأمم المتحدة للعلوم والثقافة (اليونسكو)، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، دار الغرب الإعلامي، الرباط، 1987، ص 11 بتصرف.

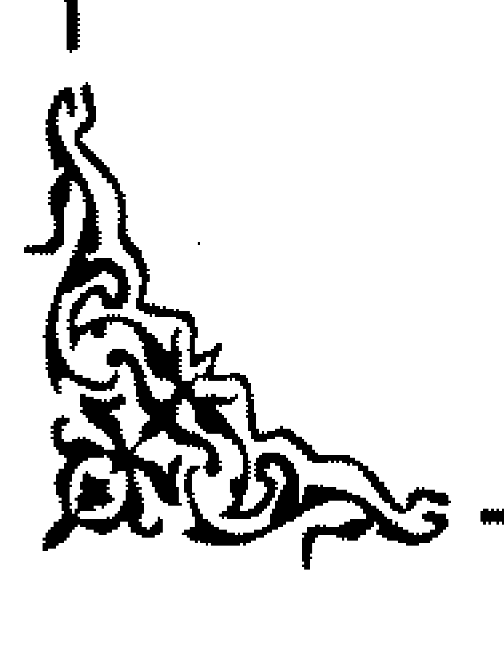


الفصل الأول

المدارس اللسانية في الغرب الأوروبي قبل عصر البنوية :

أ ـ المدرسة القديمة

ب ـ المدرسة الانتقالية



نظرية اللغة عند الهنود:

الحقُّ أن الدرس الهندي للغة تم في إطار رؤية وصفية تتعامل مع الظاهرة اللسانية بوصفها بنية صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، وقد تولد هذا الاهتمام المنقطع النظير في الحضارات القديمة عن شعور ديني أساسه الرغبة في الحفاظ على النصوص الدينية الشفهية التي تمثل الـــ «فيدا»، ذلك الكتاب العقدي الذي ظهر حوالي عام 1200-1000 ق.م. والذي يمثل عقيدة وشريعة العقيدة البراهمية[1]، ولعل هذا الحرص تولد عن شعور بتلك الفوارق اللهجية الموجودة في بلاد الهند القديمة، والتي تظهر في عادات كلامية متباينة من شأنها التأثير في سلامة نطق النصوص أو سوء فهمها، غير أن المثير هو تحوُّل الرغبة الدينية إلى درس منهجي يتخذ من اللغة السنسكريتية موضوعًا للدرس، ويجعلها في بؤرة اهتمام التفكير الهندي القديم، كما أن تلك الآراء الثاقبة التي وصلتنا عن طريق «بانيني» تنم عن مرحلة جد متقدمة نشأ فيها هذا الاهتمام ثم تطور ليصل ناضجًا مع قواعد الاسطادهياهي أو المثمَّن (الكتب الثمانية)، بل أن هذه القواعد سرعان ما تركت أثرًا في التنظير النحوي للغات أخرى؛ كالتاميلية وهي لغة درافيدية في وسط جنوب الهند (ت2ق م)، والتبتية.

أما عن مجالات الاهتمام اللغوي عند الهنود فيمكن تفريعها إلى:

1) اهتمامات تدخل في صميم النظرية اللسانية العامة.
2) اهتمامات تدخل في علمي الدلالة والمعجم.
3) اهتمامات صوتية.
4) اهتامات صرفية ونحوية.

فبالنسبة إلى مشكلة نشأة اللغة: سرعان ما تحقق علماء الهنود من الدور المحدود

(1) Bloomfild,Language,p10.

[illegible] الذي يمكن أن يقوم به عامل المحاكاة الطبيعية في اللغة، وأن العلاقة العرفية [illegible] الواضع الاجتماعي هما طرفا العلاقة النموذجية في ظهور اللغة وتطورها، [illegible] أن هذا الموقف أسس على شعور باعتباطية العلاقة بين اللفظ ومعناه، كما [illegible] الهنود في اللغة طبيعتها الخلاّقة في التعبير عن المعاني اللامنتهية انطلاقًا من [illegible] محدودة، كما أن المعاني التي تتخذها اللفظة الواحدة كثيرة بالنظر إلى تعدد [illegible] التي ترد فيها تلك اللفظة أو غيرها، وفي هذا السياق ناقشوا الفَرْق بين [illegible] والمجاز وحدود كل منهما في اللغة.

[illegible] المهتم بالفكر اللغوي الهندي يصاب بالحيرة العلمية وهو يطالع آراءهم في [illegible] أولية الكلمة في مقابل أولية الجملة وارتباطهما بالمعنى؛ إذ ذهب البعض إلى [illegible] الكلمة هي أصغر وحدة دالة في اللغة، ويذهب آخرون وفي مقدمتهم اللغوي [illegible] "بهارتهاري" مؤلف "الفاكيا بيديا" إلى أن الجملة هي الوحدة الدلالية [illegible] في اللغة بوصفها قولاً غير قابل للتجزئة دلاليًا؛ فجملة كـــ: «أجلب وقواقا [illegible] الغابة» لا يُمكن أن تفهم من خلال الكلمات وهي منفصلة، بل وهي [illegible] مركبة وفق هذه العلاقات النحوية[1].

كما ناقش الهنود الفروق الكائنة بين اللغة والكلام في نظرية «السبهوطا» [illegible] بين ما هو حدثٌ فعلي وتحقق فردي، وبين ما هو موجود دائم غير [illegible] على مستوى الفرد الواحد.

وفي مجال **الصوتيات** ترك الهنود ملاحظات جد صائبة في وصف نظام لغتهم [illegible] اعتمادا على مبدأ السماع، ويعتقد بعض الباحثين أن هنري سويت قد [illegible] درسه الصوتي من حيث انتهى الهنود، ويؤرخ لهذه الأعمال ما بين 8 ق. م. [illegible] 19 م.

(1) [illegible] تاريخ علم اللغة في الغرب، ص231 .

نظرية اللغة عند الهنود:

الحقُّ أن الدرس الهندي للغة تم في إطار رؤية وصفية تتعامل مع الظاهرة اللسانية بوصفها بنية صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، وقد تولد هذا الاهتمام المنقطع النظير في الحضارات القديمة عن شعور ديني أساسه الرغبة في الحفاظ على النصوص الدينية الشفهية التي تمثل الـــ «فيدا»، ذلك الكتاب العقدي الذي ظهر حوالي عام 1200-1000 ق.م. والذي يمثل عقيدة وشريعة العقيدة البراهمية[1]، ولعل هذا الحرص تولد عن شعور بتلك الفوارق اللهجية الموجودة في بلاد الهند القديمة، والتي تظهر في عادات كلامية متباينة من شأنها التأثير في سلامة نطق النصوص أو سوء فهمها، غير أن المثير هو تحوُّل الرغبة الدينية إلى درس منهجي يتخذ من اللغة السنسكريتية موضوعًا للدرس، ويجعلها في بؤرة اهتمام التفكير الهندي القديم، كما أن تلك الآراء الثاقبة التي وصلتنا عن طريق «بانيني» تنم عن مرحلة جد متقدمة نشأ فيها هذا الاهتمام ثم تطور ليصل ناضجًا مع قواعد الاسطادهياهي أو المثمّن (الكتب الثمانية)، بل أن هذه القواعد سرعان ما تركت أثرًا في التنظير النحْوي للغات أخرى؛ كالتاميلية وهي لغة درافيدية في وسط جنوب الهند (ت2ق م)، والتبتية.

أما عن مجالات الاهتمام اللغوي عند الهنود فيمكن تفريعها إلى:

1) اهتمامات تدخل في صميم النظرية اللسانية العامة.
2) اهتمامات تدخل في علمي الدلالة والمعجم.
3) اهتمامات صوتية.
4) اهتامات صرفية ونحوية.

فبالنسبة إلى مشكلة نشأة اللغة: سرعان ما تحقق علماء الهنود من الدور المحدود

([1]) Bloomfild,Language,p10.

جدًا الذي يمكن أن يقوم به عامل المحاكاة الطبيعية في اللغة، وأن العلاقة العرفية ومبدأ التواضع الاجتماعي هما طرفا العلاقة النموذجية في ظهور اللغة وتطورها، ويبدو أن هذا الموقف أسس على شعور باعتباطية العلاقة بين اللفظ ومعناه، كما تلمَّس الهنود في اللغة طبيعتها الخلاّقة في التعبير عن المعاني اللامتهية انطلاقًا من مصادر محدودة، كما أن المعاني التي تتخذها اللفظة الواحدة كثيرة بالنظر إلى تعدد السياقات التي ترد فيها تلك اللفظة أو غيرها، وفي هذا السياق ناقشوا الفَرْق بين الحقيقة والمجاز وحدود كل منهما في اللغة.

ولعل المهتم بالفكر اللغوي الهندي يصاب بالحيرة العلمية وهو يطالع آراءهم في قضية أولية الكلمة في مقابل أولية الجملة وارتباطهما بالمعنى؛ إذ ذهب البعض إلى أن الكلمة هي أصغر وحدة دالة في اللغة، ويذهب آخرون وفي مقدمتهم اللغوي الشهير " بهاترهاري" مؤلف "الفاكيا بيديا" إلى أن الجملة هي الوحدة الدلالية الدنيا في اللغة بوصفها قولاً غير قابل للتجزئة دلاليًا؛ فجملة كـــ: «أحلب وقواقا من الغاية» لا يُمكن أن تفهم من خلال الكلمات وهي منفصلة، بل وهي متضامة مركبة وفق هذه العلاقات النحوية[1].

كما ناقش الهنود الفروق الكائنة بين اللغة والكلام في نظرية «السبهوطا» مميزين بين ما هو حدثٌ فعلي وتحقق فردي، وبين ما هو موجود دائم غير متجسد على مستوى الفرد الواحد.

وفي **مجال الصوتيات** ترك الهنود ملاحظات جد صائبة في وصف نظام لغتهم الصوتي اعتمادا على مبدأ السماع، ويعتقد بعض الباحثين أن هنري سويت قد بدأ درسه الصوتي من حيث انتهى الهنود، ويؤرخ لهذه الأعمال ما بين 8 ق. م. و150 ق.م.

([1]) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص231 .

ويمكن أن نطّلع في هذا الإطار على وصفهم للجهاز النطقي من خلال تقسيم أعضاء النطق إلى أعضاء فموية(أسنان، لسان، شفتين، أو أعضاء غير فموية (مزمار، رئتين، فراغ أنفي) ويبدو إدراكهم لأثر هذه الأعضاء في تحديد صفات الصوت اللغوي واضحًا فيما وصل من آراء، كما قسّموا الأصوات إلى أصوات أنفية وغير أنفية؛ أما منهجهم في وصف الأصوات فقد انطلق من أقصى الحلق إلى الشفتين، كما قسّموا الأصوات بسبب وضعية الإعاقة التي تعترض الهواء أثناء النطق إلى صوامت وقفية وأنفية، وصوامت احتكاكية وأشباه صوائت.

وتم التمييز بين الجهر والهمس بالرجوع إلى انغلاق أو انفتاح المزمار، وإلى جانب هذه الاهتمامات الصوتية ألمع الهنود إلى وجود ثلاث نغمات في السنسكريتة الفيدية وهي: النغمة العالية، والمنخفضة، والهابطة، كما تحدّثوا عن المقطع وطوله، ومدة الصوت أثناء النطق به.

من أعلام المدرسة الهندية القديمة:

يقول بلومفيلد: "... يُعد بانيني مَعْلَمًا من أعظم معالم الذكاء الإنساني..."[1] ذلك أنه قدّم عرضًا شاملاً ودقيقًا للقواعد الصرفية والنحوية للغة السنسكريتية بوصفها من أقدم لغات الأسرة الهندو أوربية [2]، ويقول روبنــز: "إن هذه القواعد ليست قواعد عادية يمكن أن تكون كاملة، وربما يجب وصفها بشكل أفضل على أنها صرف توليدي للغة السنسكريتية ".. ويبدو أن هذا الوصف الذي قدّمه روبنــز له ما يبرره، ذلك أنه قدّم هذه القواعد في تعابير قصيرة مثل الأقوال المأثورة، في مضمونها تعريفات ووصفٌ لعمليات صياغة الكلمة، وقد أطلق على هذه القواعد أو الخيوط «السوترة»، وقد علّق أحد العلماء على هذا الاقتصاد في

(1) LANGUAGE,1933,p11

(2) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود، ص344. وانظر محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، ص21.

صياغة القواعد بقوله: " إن توفير نصف طول صائت قصير في صياغة قاعدة قواعدية كان يعني للقواعدي ما يعنيه ميلاد طفل" وربما يكون هذا الولوع بالاقتصاد ثمرةً ومُحَصِّلةً لنمطِ المعرفة الذي استوعبته الثقافة الشفوية والحفظ عن ظهر قلب في تلك المرحلة التاريخية، غير أن هذه القواعد في شكلها كما قدمه بانيني غير صالحة للتدريس كما هي، بل لا بد من عمل ذهني يستهدف شرحها وتوضيحها، وهو ما دفع باتنجالي إلى شرحها في كتابه «المهابها صهيا» أو "التعليق الكبير".

وقد بيّن الهنود في دراسات نحوية أن الكلمة تنقسم إلى أسماء وأفعال متصرفة وحروف جر وأدوات، ويشرط الهنود في الجملة توافر عناصر هي: إمكانية التوقع المتبادل، والمناسبة الدلالية، والتجاور في الزمان، كما بيّنوا انقسام الفعل إلى ماض وحاضر ومستقبل، وعرّفوا المفرد والمثنى والجمع منذ عصر مبكر. أما بانيني فقد كان تقسيمه للكلمة في البدء ثنائيًا؛ فهو لم يذكر إلا الفعل في الدائرة الأولى، وجعل في الدائرة الثانية ما ليس بفعل كالأسماء والحروف[1]، ولعل مفهوم الصفر اللغوي الذي تتمايز به الوحدات النحوية يأتي في مقدمة ما أبدعه بانيني للفكر اللساني عامة، ولا تزال أصداؤه إلى يومنا في دراسات البنويين؛ فجنسُ الفعل مثلاً يتحدد في لغتنا بأحد أمرين؛ بتاء التأنيث أو خلوّه منها[2]، كما اهتدى التفكير الهندي في النحو إلى نوع من الكلمات يجمع بين الخصائص الفعلية والاسمية وهو ما يقابل عندنا "اسم الفعل".

هذا بالنسبة للنحو، أما علم الأصوات فقد كان علمًا مستقلاً عندهم أَوْلَوْهُ عناية فائقة، وتبرز إسهاماتهم في جوانب كثيرة أهمها: تقسيم الأصوات وفق

(1) مدخل إلى علم اللغة ن ص249 .

(2) مدخل إلى علم اللغة ن ص250 .

مخارجها وصفاها ودور الحنجرة في حدوثها. وقد كان تقسيمهم على ما يبدو مبنيًا على درجة تقارب أعضاء النطق عند العملية[1]،وقد ألمح إلى هذه الفكرة الدكتور السعران في كتابه «علم اللغة مقدمة». ومما تجدر الإشارة إليه احتواء الأبجدية الهندية على واحد وخمسين حرفًا.

هذا و لم يهتم الهنود بالدراسة المعجمية، والظاهر أن الخوف على نطق السنسكريتية كان أكثر وأقوى درجةً من الخوف على عدم فهمها، ولكونها لغة فئة معينة، وليست لغة عامة الشعب مما يكون بين الاستعمال اليومي واضحًا لشروح غوامض لغة ما، ولعل أولى الأعمال القليلة في هذا المجال معجم معاني هو " الأماراكوزا". وقد ألمع محمود جاد الرب في كتابه « علم اللغة نشأته وتطوره»[2] إلى وجود معجم مهم ظهر حوالي القرن الحادي عشر ميلاديًا.

ومما يرتبط بالجانب الدلالي العلاقةُ بين اللفظ والمعنى؛ فمن الهنود من ذهب إلى وجوب الفصل بينهما على طرفي نقيض، ومنهم من رأى ضرورة المطابقة وعدم الفصل ورأى فيها وجهين لحقيقة واحدة؛ فأحدهما ضروري للآخر[3].

كما نرى آخرين أغرتهم المحاكاة الصوتية والرمزية اللغوية بالتأكيد الشديد على الطبيعة الفطرية للغة في مقابل القائلين بعُرفيتها وخضوعها لمبدأ المواضعة البشرية[4].

ونشير في عجالة للموضوعات الأخرى التي ناقشوها بجدية وهي: التطور الدلالي للكلمة، والدلالة الأساسية في مقابل المجازية، وأهمية السياق في إيضاح المعنى[5].

(1) محمود السعران، علم اللغة، مقدمة إلى القارئ العربي، ص88-91 .

(2) محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره،ص23 .

(3) علم الدلالة، ص19 .

(4) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص229 .

(5) المرجع نفسه، ص230 .

البحث اللغوي عند اليونانيين

توطئة:

لم يكن اليونانيون روادًا للأوروبيين في علم اللغة وحده، فآثارهم في جميع مناحي التفكير الحضاري واضحة المعالم، وانعكاسات جهودهم بادية في الفكر الأوروبي الوسيط والمعاصر على حد سواء.

ويبدو أن اليونانيين وهم يتنبهون للظاهرة اللسانية - بوصفها جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية - كانوا يقفون موقف المندهش الذي يلح في طرح الأسئلة عن القضايا التي يراها غيرهم بدهية تأخذ بالتسليم والتصديق. لذا اصطبغ الدرس اللساني عندهم بصبغة جدلية في شكل محاورات فلسفية بين أعلام الفكر الإغريقي القديم، ومن ناحية ثانية استشعر هؤلاء اختلاف الشعوب في التحدث بلغات مختلفة، كما أدركوا الفوارق اللهجية بين أبناء المجتمع الواحد،وهو ما ألمع إليه مؤرخهم "هيرودوت" من خلال إيراده لكلمات أجنبية غير قليلة ناقشها وعلل لأصلها، بل سلّم أفلاطون بالأصل الأجنبي لكلمات يونانية كثيرة، ولا بد أن نذكر في هذا المقام موقفهم العام من لغات المجتمعات الأخرى التي وسموها بالبربرية الذين يتكلمون بغير إفهام، والطريف أن يؤكد على دور اللغة في وحدتها القومية والتصدي للأخطار الخارجية وهو ما أشار إليه هيرودوت بقوله: **[illegible] إن المجتمع اليوناني بأكمله تربطه صلة الدم الواحد واللسان الواحد"** وإلى [illegible] الاهتمام باللغة اليونانية حفظت بعض النصوص شواهد لغوية على [illegible] الإغريقية القديمة مع وعي بمخالفتها للغة القصائد الهوميرية الفصيحة[1]. [illegible] الأبجدية الإغريقية فقد تم استنباطها في الألف الأول قبل الميلاد وَلِتُنَاسِبَ

(1) [illegible] موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص32 .

مخارجها وصفاتها ودور الحنجرة في حدوثها. وقد كان تقسيمهم على ما يبدو مبنيًا على درجة تقارب أعضاء النطق عند العملية[1]،وقد ألمح إلى هذه الفكرة الدكتور السعران في كتابه «علم اللغة مقدمة». ومما تجدر الإشارة إليه احتواء الأبجدية الهندية على واحد وخمسين حرفًا.

هذا و لم يهتم الهنود بالدراسة المعجمية، والظاهر أن الخوف على نطق السنسكريتية كان أكثر وأقوى درجةً من الخوف على عدم فهمها، ولكونها لغة فئة معينة، وليست لغة عامة الشعب مما يكون بين الاستعمال اليومي واضحًا لشروح غوامض لغة ما، ولعل أولى الأعمال القليلة في هذا المجال معجم معاني هو " الأماراكوزا". وقد ألمع محمود جاد الرب في كتابه « علم اللغة نشأته وتطوره»[2] إلى وجود معجم مهم ظهر حوالي القرن الحادي عشر ميلاديًا.

ومما يرتبط بالجانب الدلالي العلاقةُ بين اللفظ والمعنى؛ فمن الهنود من ذهب إلى وجوب الفصل بينهما على طرفي نقيض، ومنهم من رأى ضرورة المطابقة وعدم الفصل ورأى فيها وجهين لحقيقة واحدة؛ فأحدهما ضروري للآخر[3].

كما نرى آخرين أغرقهم المحاكاة الصوتية والرمزية اللغوية بالتأكيد الشديد على الطبيعة الفطرية للغة في مقابل القائلين بعُرفيتها وخضوعها لمبدأ المواضعة البشرية[4].

ونشير في عجالة للموضوعات الأخرى التي ناقشوها بجدية وهي: التطور الدلالي للكلمة، والدلالة الأساسية في مقابل المجازية، وأهمية السياق في إيضاح المعنى[5].

---

(1) محمود السعران، علم اللغة، مقدمة إلى القارئ العربي، ص88-91 .

(2) محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره،ص23 .

(3) علم الدلالة، ص19 .

(4) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص229 .

(5) المرجع نفسه، ص230 .

البحث اللغوي عند اليونانيين

توطئة:

لم يكن اليونانيون روادًا للأوروبيين في علم اللغة وحده، فآثارهم في جميع مناحي التفكير الحضاري واضحة المعالم، وانعكاسات جهودهم بادية في الفكر الأوروبي الوسيط والمعاصر على حد سواء.

ويبدو أن اليونانيين وهم يتنبهون للظاهرة اللسانية - بوصفها جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية - كانوا يقفون موقف المندهش الذي يلح في طرح الأسئلة عن القضايا التي يراها غيرهم بدهية تأخذ بالتسليم والتصديق. لذا اصطبغ الدرس اللساني عندهم بصبغة جدلية في شكل محاورات فلسفية بين أعلام الفكر الإغريقي القديم، ومن ناحية ثانية استشعر هؤلاء اختلاف الشعوب في التحدث بلغات مختلفة، كما أدركوا الفوارق اللهجية بين أبناء المجتمع الواحد،وهو ما ألمع إليه مؤرخهم "هيرودوت" من خلال إيراده لكلمات أجنبية غير قليلة ناقشها وعلل لأصلها، بل سلَّم أفلاطون بالأصل الأجنبي لكلمات يونانية كثيرة، ولا بد أن نذكر في هذا المقام موقفهم العام من لغات المجتمعات الأخرى التي وسموها بالبربرية، الذين يتكلمون بغير إفهام، والطريف أن يؤكد على دور اللغة في الوحدة القومية والتصدي للأخطار الخارجية وهو ما أشار إليه هيرودوت بقوله: **"... إن المجتمع اليوناني بأكمله تربطه صلة الدم الواحد واللسان الواحد"** وإلى جانب الاهتمام باللغة اليونانية حفظت بعض النصوص شواهد لغوية على اللهجات الإغريقية القديمة مع وعي بمخالفتها للغة القصائد الهوميرية الفصيحة[1].

أما الأبجدية الإغريقية فقد تم استنباطها في الألف الأول قبل الميلاد وَلِتُناسِبَ

---

(1) روبنـــز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص32 .

اللهجة الأتيكية، وبعد غزوات الدوريين ضاعت المعرفة بالكتابة؛ليعاد إنشاؤها بشكل معدل للكتابة الفينيقية، وقد سجّل الإغريق هذا الحدث الهام في شكل أسطوري؛ فقد زُعم أن **قدموس** هو الذي أتى بالكتابة من وراء البحار... وهو اعتراف بالأصل الأجنبي لها[1].

نظرية اللغة عند اليونانيين:

كانت المعرفة اللسانية في تلك الفترة مقتصرة على معرفة الكتابة والخط، وليس أدل على ذلك من كلمة – **غراماتيكوس** –التي كانت تدل في مبدئها على العارف بالحروف فهمًا واستعمالاً، بل ظلت هذه الفكرة ممتدةً إلى عصر أرسطو، كما استعملت مصطلحًا في فترة لاحقة لتدل على مهارة القراءة والكتابة[2].

أما النظر في اللغة فقد بدأ مع سقراط والبلاغيين الأوائل، وإن كانت المعلومات في ذلك قليلة وغير مباشرة. ولعل أهم الآثار ما يعود إلى أفلاطون في محاوراته التي خصّص ضمنها محاورة كراتيلوس للقضايا اللسانية بوصفها قضايا فلسفية، في حين تُقابلنا تلك الآراء الجادة والمتناثرة في فكر أرسطو والتي يمكن عدُّها حجر أساسٍ في هذا العلم، ليس فقط في بلاد اليونان، وإنما أيضا كفلسفة عامة انطلقت منها اللسانيات الحديثة.

وحوالي القرن الثالث ق. م. تطالعنا المدرسة الرواقية كاتجاه فلسفي رائد بآرائها المتميزة في البلاغة والفلسفة واللغة، وكان منهجهم الجدلي مبنيا على اللغة ذاتها؛ فالدراسة الجدلية الفعّالة تبدأ من الجزء الذي يبحث في الكلام. كما ميّزوا في اللغة بين الصيغة والمعنى، وهو تمييز يقارب ما ذهب إليه سوسير حديثًا في تفرقته بين الدالّ والمدلول.

(1) - Kristeva,Julia ,le langague,cet inconnu, éd. seuil, Paris,1981,p86-89

(2) عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص48.

وقد تركزت الأسئلة حول نشأة اللغة؛ إذ نجد الطبيعة في مقابل العرف من جهة، والاطّراد والقياس في مقابل الشذوذ واللااطّراد من جهة ثانية، فبخصوص الرأي الذي ذهب إلى النشأة الطبيعية للغة فقد اعتمد على فكرة المحاكاة الصوتية والبحث عن الأصل الطبيعي للكلمات التي لعبت بها يد الزمن، أما العرفيون فقد ذهبوا إلى كفاءة اللغة وقدرتها على التغيير والتحول في إطار المجتمع بشكل عادي لا يحتاج إلى تأويل، وقد ذكر أرسطو أن اللغة نتاج العرف ما دامت الأسماء لا تنشأ بشكل طبيعي، ونجد موقفا وسطيًا يجمع بين هذين الرأيين هو موقف أبيقور (370/341 ق م) الذي اعتقد أن صيغ الكلمات قد نشأت بشكل طبيعي، ثم تغيرت بالعرف، في حين تبنّى الموقفَ الطبيعي الأبيقوريون والرواقيون.

كما عني الأغريق بموضوع الايتملوجيا (الاشتقاق)،وبالغ بعضهم في استخراج جذور وأصول الكلمات الإغريقية إلى درجة تدفع إلى السخرية[1]، وفي ذات الإطار عالجوا بشيء يشبه الدقة العلمية الحديثة الوحدات الفونولوجية؛ كالمقطع والفونيم، وارتكز وصفهم على أبجديتهم الخاصة، في حين أهملوا اللغات الأخرى إهمالهم للشعوب الناطقة بها.

والمثير في دراستهم الصوتية تعرُّفهم على الفروق الصوتية بين أصوات لغتهم أو ما يُعرف اليوم بالألفونات، وأشاروا إلى العلاقات الصوتية المؤلفة لأجزاء الكلام.

أما أفلاطون فقد تمثلت مساعيه في تمييز أنواع من الفونيمات هي الصوائت في مقابل الصوامت، وهذه الأخيرة –عنده- منها الوقفي ومنها الاستمراري، والصوامت الوقفية لا يمكن نطقها دون صوت صائت تجاور، كما كان على وعي بالفروقات الدلالية الناتجة عن اختلاف مواضع النبر في الكلمة الواحدة[2].

(1) اتجاهات البحث اللساني، ص10.

(2) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص55.

ومثال ذلك عندهم كلمة **di/filoc** فنبر المقطع الثاني يجعل الكلمةَ دالّة على صديق الآلهة ونبر المقطع الثاني يجعلها دالّةً على اسم علم.

ويتزايد الاهتمام الصوتي عند الرواقيين من خلال معالجتهم للظاهرة المقطعية والنبر في اللغة اليونانية، مما يمكن أن يساعد علماء الصوتيات الحديثة على إعادة بناء النظام الفنولوجي لهذه اللغة القديمة، وفي مجال القواعد ركّز اليونانيون جهودهم النحوية على اللغة المكتوبة التي اعتمدها المؤلفون الكلاسيكيون في العصر الأتيكي، ويمكن أن نقول إن جهودهم الصرفية كانت تأسيسًا للجهود النحوية التي تأخرت زمنيًا بالنسبة للأولى بحوالي قرنين من الزمن[1]؛ من ذلك أن العناية الأولى كانت بالكلمة بوصفها كيانًا مفردًا، رغم وجود جهود فردية متقطعة عنيت بمعالجة الفئات النحوية؛ كمعالجة بروتاجوراس (75 ق.م) لفئة الاسم كجنس في اللغة اليونانية، وفي مستوى الجملة يقابلنا تقسيم أفلاطون لمكوناتها وهي:المكون الاسمي، والمكون الفعلي، وأضاف أرسطو نوعًا ثالثًا هو **السند السموي** أو ما عُرف لاحقًا بالرابط والأداة والضمير، والحقُّ أن هذا التقسيم المنطقي للعبارة (أو القضية) هو التقسيم نفسه الذي تحيل الجملة عندهم إلى عناصرها الأساسية المتمثلة في الكلمات، وما يمكن قوله بوجه عام هو أن الرواقيين هم أوّلُ من وَضَّحَ النظام الأرسطي لتصنيف الكلمات والفئات النحوية التي وضعها أرسطو توضيحًا أكبرَ في اتجاهين؛ ينحو الأول إلى توسيع الأنواع، والثاني إلى تقديم التعريفات الدقيقة للفئات النحوية، حتى اعتبرهم العلماء المحدثون المؤسسين الفعليين للقواعد في الفكر الإغريقي القديم والأوربي الحديث، وقد وصل إبداعهم في حقل القواعد إلى درجة متقدمة؛ فإليهم –مثلاً– ينسب مصطلح بمدلوله الحديث الذي يمثل الأوضاع الصرفية للكلمات في الجملة أو

(1) عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص45 وما بعدها.

التغير القواعدي لصيغة الكلمة،وهم أول من ناقش العلاقة بين الدلالة الزمنية للفعل وفكرة تمام الحدث أو عدم تمامه أو استمراريته.

الزمن	مضارع	ماض
غير تام	مضارع مستمر	ماض مستمر
تـــام	مضارع تام	ماض تام

وإذا أردنا الآن الانتقال إلى جهود اليونان في دراستهم للغة اليونانية في سياق الدراسة الأدبية بعامة، فإننا سنتوقف مع علماء الإسكندرية الذين ناصروا النظرية القياسية وطبقوها في تنقيح النصوص، وتحديد معايير الصحة اللغوية في ضوء النصوص الهوميرية، وقد مثل هذه الجهود "أرستارخوس" معلم ديونيسيوس ثراكس في القرن الأول ق. م. صاحب ذلك الكتاب الدقيق في وصف القواعد اليونانية (التكني الغراماطيقي)[1] وهو مؤلف في خمسة عشر صفحة مقسم إلى خمسة وعشرين قسمًا، ويُعَدُّ الأصل الذي دارت حوله جميع الدراسات الإغريقية في قرون ما بعد الميلاد، وكذا الدراسات اللاتينية، وممن عنوا به فارو (54 ق م) وأبوليونوس ديسكول (القرن الثاني الميلادي)، وقد ترجم هذا العمل المهم إلى السريانية والأرمنية في وقت مبكر، ويمكن أن نذكر أهم ما فيه:

القواعد:

المعرفة العملية باستعمالات كُتّاب الشعر والنثر للألفاظ، وتشتمل على ستة أقسام هي: القراءة الصحيحة بصوت مرتفع مع وجوب مراعاة الأوزان العروضية، والثاني تفسير التعابير الأدبية، وتقديم الملاحظات حول أسلوب ومادة الموضوع، واكتشاف أصول الكلمات، والبحث عن أنواع الاطّراد القياسي، وتقدير قيمة التأليف الأدبي... "

(1) اتجاهات البحث اللساني، ص11.

الجملة:

هي أعلى حد للوصف القواعدي في مقابل الكلمة، وتعبر الجملة عن فكرة تامة.

الاسم:

هو قسم من الكلام، يتصرف بحسب الحالة، ويدل على كيان محسوس أو مجرد.

الفعل:

قسم من الكلام لا يتصرف بحسب الحالة، وإنما حسب الزمن والشخص والعدد، ويدل على نشاط أو عملية تنجز أو ينفعل بها.

البارتيسبل:

قسم يشترك في ملامح الفعل والاسم.

الأداة:

يتصرف بحسب الحالة ويسبق الاسم أو يليه.

حرف الجر:

يقع قبل الاسم، وله تأثير معين.

الظرف:

لا يتصرف، له وظيفة تقييد الفعل ويضاف إليه.

الرابطة:

يربط أجزاء الحديث معًا ويملأ الفجوات في تفسيره.

ومن اللافت للنظر أن هذه الأقسام عادةً ما يتبع ببيان فئاتها في شكل خاصيات مترتبة بشكل تشبه الأعراض في الدرس المنطقي الأرسطي فشكل قسم من أقسام الكلم يحدد من حيث:

1) الجنس (مذكر/ مؤنث / محايد). 2) النمط (أصلي / مشتق).

3) الصيغة (بسيطة /مركبة). 4) العدد (مفرد /مثنى/ جمع).

5) الحالة (الرفع/ النداء أو المفعولية / الإضافة أو المفعولية غير المباشرة)

وبالنسبة للفعل عالج ديونيسوس الزمن ودلالته في صيغة ثلاثية هي(الماضي/ المستقبل/ المضارع)، ونلاحظ أن الماضي وحده مقسم إلى أربعة أنواع (متناقص، تام بعيد، تام قريب، ماضي بسيط). ونجد في للقرون التالية شبه تطبيق لهذه الأمورفي وصف اللغة اللاتينية من طرف بريسان وأبولونيوس ديسكول الذي كان صاحب نظرة عقلية في وصف اللغة تتميز بالوضوح.

أما ولده هيروديان[1] فقد عُرف بتأليفه حول الترقيم والنبر في اليونانية، وبعد هذا العالم لم نلاحظ انتقال السيادة السياسية والعلمية إلى بيزنطة عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية ولا يمكن أن نقول إن علماءها قدموا جديدًا للدرس اللساني والتفكير العقلي بعامة، في حين كانوا أساتذة ومعلمين أكفاء للتراث الأغريقي القديم، يقول روبنز: "إن المعرفة اللغوية كانت نتاجا فعليا للعصور الماضية... " لقد كان هذا العصر زمن المعاجم والشروح ودراسة إبداعات الماضي، لا عصر إبداع جديد.

ومن الموضوعية أن نذكر بعض الأعلام الذين عاشوا في هذه الفترة والذين لم تزل آراؤهم من طرفة وجدة، بل أصبحت في اللاحق نواة لسانية حديثة. ومثال ذلك نظام الحالة في اليونانية وطرق تحليل الدلالات الحالية الذي أبدع فيه البيزنطي مكسيموس بلانيوس الذي أشاد به هيلسليف الدانماركي، وقد أفاد مكسيموس في دراسته للحالة من فكرة الموقعية.

۞ ۞ ۞

(1) عبد الرحمن الحاج صالح. ص50 .

البحث اللغوي عند الرومان

توطئة:

اتصل الرومان في وقت مبكر بالثقافة الهيلينية في إيطاليا وما جاورها من مستعمرات، وعن اليونانين اقتبسوا نظام كتابتهم حوالي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، وهي الفترة الذهبية للحكم الروماني بعد أن بسط نفوذه على مساحة شاسعة في أوروبا، وتبنى رسميًا في القرن الديانة المسيحية إضافةً إلى اليهودية والحقيقة أن الرومان قد اعترفوا عن طيب خاطر بقيمة الأعمال الفكرية والإنجازات العلمية التي حققها أسلافهم اليونانيون، وتدريجيًا أصبحت اللاتينية لغة الإدارة والقانون والتعليم، بل لغة الدين والطبقة الراقية في المجتمع[1] واحتفظت اليونانية بدون مبالغة بقيمتها الأدبية والعلمية خاصة في البلاد الشرقية للأمبراطورية الرومانية التي اتخذت لاحقًا عاصمة سياسية جديدة هي القسطنطينية، وقد صوَّر "فرجيل" هذا التعايش الجنسي والحضاري بقوله: "دع الآخرين يتفوقون في الفنون والعلوم إذا رغبوا، بينما تحافظ روما على سلام العالم"[2]، وما يهمنا في هذا السرد الموجز التعرف على الظاهرة اللغوية بكل أبعادها في اهتمامات الرومان، فماذا عن ذلك ؟

الترجمة اللغوية:

اهتم الناس في تلك الفترة بالكتاب المقدس،إذ كان قطب الرحى، عليه مدار كل الاهتمامات، فتُرجم العهدُ القديم إلى اللغة اليونانية من طرف علماء يهود، ثم مست الحاجة لترجمة الأدب الإغريقي الذي نقل إلى اللاتينية بشكل منظم ابتداء

(1) Maurice Leroy,les grands courents de la linguistique moderne,Bruxelles, 1970, p 3-13

(1) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص93 .

من القرن الرابع ق.م، بل اضطر الشعراء في تلك المرحلة إلى اقتباس النظام العروضي من اللغة اليونانية ونقله إلى اللاتينية مكيفين إياه مع طبيعة هذه اللغة في نظمها.

التعدد اللغوي:

يكفي أن يشار إلى ما أشار إليه "أولوس جليوس" من أن "ميتردات" ملك "بونتوس" حوالي سنة 63 ق م كان قادرًا على محادثة رعاياه بكل اللغات التي ينطقون بها، وقد بلغت في زمنه عشرين جماعة لغوية على ما في هذه الرواية من مبالغة.

النظرية اللغوية[1]:

يمكن القول بدون مبالغة إن الرومان كانوا تلاميذ أوفياء لأساتذتهم الإغريق، وأغلب ما وصلنا يدل على أن الرومان قد طبّقوا المقولات اللغوية القواعدية في وصفهم للغة اللاتينية[2] وحوالي عام 27 ق. م. اطّلع الرومان بشكل واضح على آراء مدرستي الإسكندرية والرواقية، وهذا ما يظهر جليًا في العمل الضخم الذي قدمه اللغوي والفيلسوف الروماني "فارو" في كتابه "اللغة اللاتينية"، وهو مؤلف من خمسة وعشرين مجلدًا وصل منها خمسة أجزاء من الخامس إلى 10، وكان فارو رواقيا إلى حد بعيد، ومتأثرًا بآراء أستاذه "ستيلو"، كما يظهر تأثره "بدونيس دو تراس"في تعريفه للقواعد؛ فهو يقول: "هي المعرفة النظامية لاستعمال معظم الشعراء والمؤرخين والخطباء" وأبرز ما قدمه هذا العالم تقسيمه الدراسة اللغوية إلى: الاتيمولوجيا، والصرف، والنحو؛ ففي اللغة ثروة مفرداتية ناشئة عن أنواع من الاشتقاق هي التي جعلت هذا الزخم الكبير من الألفاظ، وتغير الصيغ عبر التاريخ عائد إلى الاقتراض اللغوي. أما موقفه من ظاهرتي الشذوذ والاطّراد فهو وجوب التسليم بهما معًا في اللغة، ذلك أن اللغة تنحو منحًى براغماتيًا، فما

1 -LouisKuknheim,contribution á l' histoire de la grammaire grecque,latine et hebraique á l' epoque de la Ren2aissance ,Liden 1951

(2) محمد الحناش، البنبوية في اللسانيات، ص62.

هو معلوم للإنسان يكون له أكثر من حضور، وما يفقد أهميته يكون على عكس ذلك؛ ففي اللغة اللاتينية مثلا يميزون بين جنسي الحصان والفرس،فلكل منهما صيغة، وكذلك الحمام، أما الغراب مثلاً – فلا نجد له إلا اسمًا واحدًا يطلق على المذكروالمونث.

وقسَّم الكلمة إلى أربعة أقسام مراعيا الثنائية (حالة /زمن) وهي:

1) قسم ذو تصريف- حاله الاسم والصفة.
2) قسم ذو تصريف- زمن الفعل.
3) قسم ذو تصريف- حالة + زمن البرتسيبل.
4) قسم دون تصريف- حالة + زمن الظرف.

ويمكننا التعرف على شخصيته لغوية مرموقة في تلك الفترة هي شخصية "كونتيليان" عاش في القرن الأول الميلادي، والذي اعتبر القواعد مدخلاً تمهيديًا لفهم الأدب في إطار المعرفة العقلانية، كما ناقش بالإضافة إلى ذلك نظام الحالة في اللغة اللاتينية والذي يمثله الفعل المضارع. أما برسيان فهو المسئول، ورفاقه من علماء العصر الكلاسي على ظهور النحو التعليمي للغة اللاتينية، والذي ظل مدروسًا بشكل مهم عبر فترات ممتدة إلى مرحلة القرون الوسطى، ويتلخص جهده في كتاب يقع في اثنى عشر جزءًا عكسَ فيه المنظومة القواعدية للغة اللاتينية المتأثرة بجهود اليونانيين، والحق أن المعرفة بكل فروعها كانت ثابتة في نقطة واحدة تنظر للماضي باعتباره أنموذجًا يجب احتذاؤه، فغلبت بذلك النظرة المعيارية في الفنون والآداب والقواعد... وراح العلماء يُجهدون أنفسهم في شرح وتلخيص ما تركه الأوائل، كما نسجل في هذه المرحلة بدايات الأعمال المعجمية، خاصةً وأن اللاتينية الموصوفة في أعمال برسيان ودوناتوس تبدلت تدريجيًا، وهو ما ظهر في عمل ديني مترجَم للكتاب المقدس من طرف الأب جيروم[1].

[1] مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص50

الدرس اللغوي في القرون الوسطى

يذهب روبنـــز إلى أن هذه المرحلة تمتد من حوالي القرن السادس 6 ق. م. إلى عتبة العصر الذي نهضت فيه أوروبا، وقد شهدت هذه المرحلة شرحًا وتفسيرًا مستمرين لمولفات السابقين؛كمولفات ديونيسوس، وأبولونيوس دبيسكول، وفي هذا العصر نشطت الحركة المسيحية، وقل الاهتمام بالفلسفة رسميًا حوالي 529م. وطبع الموقف الديني المواقف العلمية واللغوية، فهذا البابا جريجوري على سبيل المثال يزدري قواعد دوناتوس، وينعى علىالقواعدي تطبيقها على لغة الوحي الإلهي، كما قامت المعرفة على تعليم الفنون العقلية المتمثلة في القواعد والجدل والبلاغة والموسيقى والحساب والهندسة والفلك، أما عن شكلها فقد غلب عليه الطابع المعياري التعليمي، والاعتماد على الشروح المدرسية التي أُثرت عن برسيان، ودراسات ابتمولوجية في أعمال ابسيدور الاشبيلي. وفي هذه المرحلة ألمع العلماء من رجال الدين إلى مفهوم الترجمة التي يجب أن تبنى على المعنى لا على الجانب اللفظي البحت.

ويعود الفضل لرجال الدين القرو أوسطيين في اقتباس أبجديات بعض اللغات الأوروبية أثناء ترجماتهم المختلفة للإنجيل؛ كالسلافية، والروسية. رغم توسع اللاتينية في انتشارها في أرض واسعة بأوروبا العصور الوسطى.

تميزالقرنان السابع والثامن 7و 8 م بأعمال لغوية هامة تمثلت خصوصًا في «كتاب المحادثة» اللاتينية لــ "إيفريك" وقد ضمَّنه خمسة قوائم مفرداتية لاتينية وانجليزية قديمة موجه خصيصًا للأطفال الناطقين بالانجليزية القديمة ويمكن عده نموذجًا بدائيًا للعلاقة التي ربطت الانجليزية باللاتينية رغم الاختلافات التركيبية الواضحة بينهما، وظهرت الكتب التعليمية في القواعد؛ ككتاب الدكترينا

لألكسندر دي فلديو سنة 1200م، وهو عبارة عن منظومة شعرية في 2456 بيتًا. ويبدو أن الاهتمام بالأدب البروفنسالي في صيغة التروبادور عزَّز العناية باللغة البروفنسالية، كما شهد القرن الثاني عشر 12 م ظهور كتاب في قواعد الاسلندية لمؤلف مجهول، وقد تميز عمله بالدقة والأصالة والاستقلالية في التفكير، وكان مهتمًا بالجوانب الفونولوجية والإملائية في إطار وضع أبجدية أسلندية مقاربة للأبجدية اللاتينية[1]، كما أبان في هذا الكتاب "عالم القواعد الأول" عن قدرة فائقة على الوصف الصوتي بالرجوع إلى ثنائيات لفظية مختلفة دلاليًا ومتشابهة لفظيًا على طريقة علماء حلقة براغ، كما تَكَثَّفَتْ الدراسات اللغوية الأكاديمية في الجامعات الأوروبية الفتية، بخاصة بعد دخول ترجمات وشروح عربية ويهودية لنصوص يونانية قديمة في المنطق والقواعد عن طريق الاحتكاك المعرفي العربي في إسبانيا، ومن المعلوم ما بذله العرب من جهد في ترجمة أعمال أرسطو من اللسان الإغريقي إلى العربي، ثم ترجمة هذه النصوص من العربي إلى اللاتيني. وارتبطت الدراسات اللغوية في الجانب النظري ارتباطًا وثيقًا عبرت عنه الفلسفة السكولائية، وقد ألمع إلى ذلك "بيترهلياس" حين قال: "ليس الفيلسوف الذي يدرك بدقة الطبيعة المحددة للأشياء إنما عالم القواعد الذي يكتشف القواعد "ولما كانت قواعد المنطق وأصوله عامة، ولما كانت هذه الأصول متوافقةً مع البنية اللغوية، فإنه من المفترض أن تخضع جميع اللغات لبنية لغوية واحدة في أصولها، وهو ما عَبَّر عنه فيلسوف القرن الثاني عشر "روجيه بيكون"، بل ذهب إلى أن الخلافات الظاهرة بين اللغات هي خلافات سطحية عَرَضية لا تمسُّ الجوهر بالتغيير[2]، ويعرض "توماس الأرفرتي" لمفهوم الجملة المقبولة في النحو متأثرًا

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص56 وما بعدها .
(2) البنيوية في اللسانيات، ص66 .

بفلسفة أرسطو من خلال الأسس الأربعة التي تبنى عليها، وهي الأساسي المادي المتمثل في الكلمات المؤسسة، والأساس الكلي الذي تمثله علاقة الاتحاد بين هذه الكلمات، والأساس الكيفي الذي تمثله العلاقات النحوية بين صيغ تصريفية بعينها تتخذها الكلمات قوالب لها ويفرضها عقل المتكلم؛ أما الأساس الأخير فهو قابلية التركيب لأن يعبر عن فكرة تامة [1]، وقد عبَّر "سيجر دي كورتراي" عن منهج علماء اللغة في العصور الوسطى بقوله: "القواعد هي علم اللغة، ومجال دراستها هو الجملة ومعدلاتها، وغايتها هي التعبير عن تصورات العقل في جمل مصوغة صياغة جيدة ".

حركة الترجمة في العصور الوسطى:

مع ازدياد نفوذ الكنيسة بُدئ في ترجمة الكتاب المقدس إلى لغات أحيانا بدون نظام كتابة؛ فقد ترجم في القرن الرابع إلى القوطية، وفي الخامس إلى الأرمنية، وفي التاسع إلى السلافية، وكان هذا حافزًا إلى وضع أبجديات خاصة بهذه اللغات، وإن سجلنا تأخرًا في هذه العملية بسبب النّظرة النفعية السلبية التي كانت مسيطرة على العقول في تلك الفترة التي رأت في هذه اللغات مجرد أدوات للدعاية والتبشير الديني لا غير، ويلاحقنا المفهوم السلبي للترجمة في هذه المرحلة من خلال تعريف الراهب "جدون" لها بقوله: "الترجمة هي أن تنقل إلى اللغة العامية مؤلفًا قديمًا». والحقيقة أن الترجمة في الحقبة الوسيطة مورست بشكل منظم بين أحضان الكنيسة في القرون الأولى، وقبل المرحلة الوسطى في الحقبة الرومانية احتاج الأباطرة إلى مترجمين، وهذا قيصر اصطنع بعضهم، وكان يصرفهم حين يكون الكلام على جانب من السرية[2]، ثم استحدثت أبجديات للغات إقليمية هي الكلتية والجرمانية

(1) روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص144 .
(2) نخبة من الأساتذة المختصين، تاريخ الأدب الغربي، سوريا، 217/1. وانظر جورج مونان، تاريخ علم اللغة، ص95.

والرومانية، وقد قام فولفيلا بترجمة الإنجيل إلى القوطية، وتم وضع أبجدية بالأرمينية في القرن الخامس الميلادي، وقدَّم القديسان "سيريل" و"ميتود" عملاً مشابهًا بالنسبة للصقلبية.

المدرسة السكولائية وأثرها في البحث اللساني:

أحيت هذه المدرسة الخلاف القديم حول العلاقة الكائنة بين اللفظ والمعنى. وانقسم العلماء إزاء الفكرة إلى:

أ) الواقعيين: الذين يعتبرون العلاقة بين الوجهين ذاتية وضرورية ويمثلهم "دونيس سكوت".

ب) الاسميين: يتزعم هذا الاتجاه غيوم دوكام، الذي أكَّد على الطابع الاصطلاحي للرمز اللساني، وقد وافقه القديس "توماس الأكويني"[1].

✿ ✿ ✿

(1) مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص59-60 .

المدرسة الانتقالية

الدراسات اللغوية من عصر النهضة إلى القرن التاسع عشر:

توطئة:

تميز هذا العصر بظهور حركة إصلاح ديني واسعة في أوروبا، كان مهدها المناطق الناطقة بالألمانية، وتميزت بتعدد اتجاهاتها في إطار المذهب البروتستانتي الذي كثيرًا ما خاصم الكاثوليكية الرومانية المتجلية في السلطة المطلقة لرجال الدين، كما تميز ذلك العصر بحركة الاكتشافات الجغرافية في العالم، والذي كان من نتائجه تعرُّف الأوربيين على عادات ولغات أمم لا معرفة لهم بها سابقًا، إلى جانب الاهتمام المتزايد والعميق باللغة اللاتينية واليونانية، نالت اللهجات المحلية اهتمامًا من جانب العلماء وصفًا وتحليلاً ومقارنةً، وبالنسبة للدرس اللغوي عامة فقد تواصل البحث في قواعد اللاتينية واليونانية، كما ظهر لأول مرة بباريس الاهتمام باللغتين العربية والعبرية حوالي القرن السادس عشر 16 م، وكان من مظاهر الاهتمام أن أصبحت ابتدا ء من سنة 1529 قوا عد "كلينار " القوا عد العبرية الواضحة عند الأوروبيين[1].

وقد شهدت إيطاليا - مصدر هذه النهضة الفكرية - اهتمامًا بالدرس اللهجي، وكان "دانتي" في القرون الوسطى حريصًا على دراسة اللهجات الرومانية المنطوقة في مقابل اللاتينية المكتوبة[2]، بل قدَّم أعمالاً أدبية بهذه اللهجات تكريمًا للفكرة السابقة، وقد شهد القرن الخامس عشر ميلاد القواعد

(1) روبنــز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص171،ويرجع أقدم وصف للعبرية بالاستعانة بمنهج النحاة العرب إلى ابن بارن الإسباني وأسرة آل قمحي الأندلسية .

(2) البنيوية في اللسانيات، ص68 .

الإيطالية ومثيلتها الإسبانية، كما وضعت قواعد الفرنسية ابتداءً من القرن السادس عشر، وكذا الإنجليزية سنة 1586[1]، وكان الدافع الرئيس لهذا الاهتمام هو تنامي الروح القومية وتبلور مفهوم الاستقلال الوطني لشعوب أوربا. ومما تتناقله الكتب أن "تشارلز الخامس " ملك إسبانيا خرج عن العرف العام بمخاطبة البابا باللغة الإسبانية عوض اللاتينية.

ومن جوانب الدراسة اللغوية تفسيرُ العلماء لظاهرة التطور اللغوي في المستويين الصوتي والدلالي، وإرجاعهم هذا التطور إلى فكرتي الاختلاط (الاحتكاك اللغوي) والاقتراض.

وفي القرن السادس عشر تكثفت العناية باللغات العالمية الأخرى لغرض التمسيح في المكسيك والبرازيل والبيرو الفتنام وبورما، وحاول العلماء ضبط أبجديات خاصة بهذه اللغات ليتسنَّى لهم تعليم الإنجيل للمسيحيين الجدد، وكثيرًا ما اعتمدوا في أوضاعهم الجديدة على الأبجدية الرومانية (اللاتينية)، كما بوشرت بعضُ الدراسات للغة السنسكريتية، ناهيك عن مراقبة أوجه التشابه بين هذه اللغة واللغات الإيطالية واليونانية واللاتينية.

كما اتخذ تدريس اللغتين اللاتينية واليونانية الشكل المعروف به الآن في كتب التدريس الغربية النموذجية، وقد أفاد - كما أشرنا سابقًا - قواعديُّو القرن السادس عشر 16م بشكل واضح من التفكير النحوي للعصور الوسطى، وكان من ثمرات جهودهم الفصل النهائي بين الاسم الحقيقي والاسم الوصفي.

كما نرى في هذه الفترة رد فعل تجاه القواعد القائمة على الأدب على وجه الحصر عند بعض الكتاب فقد سعي "سكاليجر" و"سانكتيوس" إلى تجديد تفسير

[1] روبنـــز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب ص،204 .

القواعد بالرجوع إلى المفاهيم الأرسطية ونَعَوْا على خصومهم المتمسكين بالأنموذج الفصيح والاعتداد بالنثر الخطابي ممثلاً في "شيشرون" وغيره، ومنذ هذه الفترة تنامت معرفة القراءة والكتابة وطلب التعليم بشكل ثابت، وانتعشت دراسة اللغات الحية، وكذا اللغات الكلاسيكية، فكثرت المعجمات وكتب القواعد، وقربت الطباعة للقراء، ونشأت الجمعيات العلمية برعاية الحكومات القومية، ومنها الجمعية الملكية عام 1660 ببريطانيا العظمى، والأكاديمية الفرنسية 1635 التي أسسها "الكاردينال ريتشيليو ".

وكان من ثمرات الخلاف المعرفي بين الأمبريقين والديكارتين التسليم أو الرفض بمسألة "الأفكار الفطرية"؛ فلوك وباركلي وهيوم ينكرون وجود أفكار مغروسة في العقل الإنساني سابقة للتجربة، أما العقليون فيذهبون إلى وجود مفاهيم منطقية مسبَقة هي أساس المعرفة الإنسانية مثل: العدد، والشكل، واللون، والفاعل، والفعل... كما أن السمة المميزة للدراسة اللغوية من وجهة نظر المذهب التجريبي تقضي بالفصل بين الملامح اللغوية الخاصة بكل لغة وتكرر اختلاف البنى اللغوية بين اللغات المستعملة والمعروفة آنذاك[1].

ونتيجةً للتطور الحضاري السريع الذي شهدته أوروبا فكر بعض العلماء من أمثال فرنسيس بيكون في بناء لغة نموذجية للاتصال المعرفي من أفضل الأجزاء والملامح لعدد من اللغات الموجودة، واقترح كثيرون بدائل لغوية للغات القائمة منهم في فرنسا "مرسن "وفي انجلترا "د الجارنو "و"بيشوب ولكنز" غير أن الناظر في أعمال هؤلاء يلاحظ سمتين هما[2]:

[1] مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص60 .

[2] روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص205 .

1) بناء هذه الأعمال على أسس منطقية رياضية متشابكة يعسر فهمها وتعلمها.
2) تعقيدها ليس أقل من تعقيد اللغات الطبيعية التي يمتلكها أهلها بالسليقة في حين يصعب تعلم أنظمة لغوية اصطناعية من طرف العامة، وربما تطلب تعلمها وقتًا طويلاً وجهدًا كبيرًا.

وفي انجلترا انتعشت الدراسات الصوتية في إطار الإملاء والعناية باللغة الإنجليزية الفصيحة الممثلة للغة الأسرة المالكة من طرف هولدر الذي فرق بين الأصوات الوقفية والاحتكاكية والاستمرارية مراعيًا درجة الارتطام بين عضو نطقي وآخر، كما فرق بين الأصوات على أساس صفة الانفتاح وحركة اللسان وصفة الشفتين، وهي معايير وصفية حديثة. يقول بشأن حدوث الأصوات: «تنتج الأصوات عن طريق المرور الحر للنَّفَس الذي يتحول لأصوات داخل فراغ الفم دون أي ارتطام لأعضاء النطق، وهذا الفراغ يتشكل بأشكال مختلفة عن طريق أوضاع الحلق واللسان والشفتين والأصوات تختلف باختلاف شكل الفراغ الفموي».

البحث في أصل اللغة:

سادت في هذه الفترة تلك الفكرة المستمدة من التوراة، وهي أن اللغات الإنسانية جميعها متفرعة عن العبرية، وقد قام "كانيوس" بمقارنتها ببعض اللغات السامية والأوروبية للتأكد من قيمة هذه الفرضية[1].

المنهج العقلي وأثره في البحث اللساني:

يعد التيار العقلي في التفكير الفلسفي الأوربي حصيلة جهود قام بها رينيه ديكارت وتلامذته من بعده ابتداء من القرن 17، وهي جهود تستقي من منبع واحد هو الفلسفة والمنطق الإغريقيين، وما يهمنا هنا– هو أصداء هذا المنهج في

[1] موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص270.

المجال اللساني، ويمكن إبراز ذلك من خلال ما يلي:
1) المقدرة اللغوية عند الإنسان هي التي تتيح له ترجمة أفكاره وأحاسيسه إلى جمل منطوقة.
2) العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة بين الجسد والروح عند الإنسان، والرمز اللغوي يمثل حقيقة الإنسان المؤلفة من روح وجسد.
3) التفكير في بناء نحو عالمي بالاعتماد على وحدة التفكير المتجلية في النحو العقلي بغض النظر عن الاختلافات السطحية بين اللغات، وهذا ما دعا إليه ليبنتز من ضرورة وضع لغة فنية اصطناعية للتواصل العلمي.
4) ظهور النحو العقلي والعام من خلال أعمال نحاة دير بورت روبال الفرنسيين حوالي 1662م، وقد أكدوا على دور المنطق في التمييز بين المفاهيم والموضوعات في الفكر وتواصل أثرهم في الفكر النحوي، ويظهر ذلك من خلال كتاب "النحو العالمي" لـ: "نيكولاس بارزي" (ت 1889م) وكتاب "الأسس المنطقية للنحو "لدي مارساي (ت 1756) وكتاب "النحو العالمي " لفرنر الألماني (ت 1789) بالإضافة إلى العمل الجاد الذي قدمه أرنولد ولانسلو في النحو العام والعقلي[1].

البدايات الأولى للبحث التاريخي:

يمكن القول أن محاولات البحث في علاقات تاريخية بين بعض المجموعات اللغوية قد بدأت مبكرا مع "دانتي الجيري (1321/1265) ولو بشكل محتشم وعام، وقد أشار صاحب كتاب" القواعدي الأول" في القرن الثاني عشر إلى بداية ارتفاع مكانة اللغات الأوروبية الدارجة في العصور الوسطى بعد أن كان الاهتمام بها لا يخرج عن الإطارالديني.

[1] اتجاهات البحث اللساني، ص37.

وفي القرن الثامن عشر استمر البحث في أصل اللغات وظهرت بوادر التفكير التاريخي في اللغة وكان لروسو وآدم سميث وهوبز وكونديياك آثارهم في هذا المجال؛ وإن اعتبرت هذه الآثار – من وجهة نظر حديثة – مفتقرة إلى الدقة والرصانة، وأنّ بناؤها تمّ على الفروضات والتخمينات، ويمكن اعتبار ما بذل من جهود لسانية في هذا القرن تأسيسًا لما سيقدمه علماء النحو المقارن في القرن التاسع عشر، كما كان بداية لإبطال كثير من الأطروحات التي لم تثبت جديتها في الكشف عن الحقائق، فمن ذلك –مثلا– تفنيد "لايبنتز" كون العبرية أصلا للغات شارعًا في بناء اللغة الأم من خلال اللغات التي تم اكتشافها حتى ذلك العصر[1].

ويمكن للباحث أن يستكشف الأعمال المقدمة في القرن 14م وخاصة أعمال "كوندياك الذي وجه الأنظار إلى الطابع الاجتماعي للغة والخاصية العرفية التي يمتاز بها الرمز اللغوي. ولعل ما قدمة السير وليام جونس سنة 1786 للجمعية الآسيوية المنعقدة بالبنغال يعد أخطر اكتشاف في تاريخ البحث اللساني؛ إذ عُدَّ نقطة انطلاق للدراسات المقارنة والتفكير بجدية في مظاهر البنية اللغوية من خلال عناصر التشابه والاختلاف بين اللغات العالمية القديمة والحديثة.

وكان الأب كوردو–في الحقيقة– هو أول من اكتشف العلاقة بين السنسكريتية واللغات الأوربية، فقد وجه رسالة إلى القس بارتليمي سنة 1763 عنوانها: «من أين للغة السنسكريتية بهذا العدد الكبير من الكلمات المتشابهة بينها وبين الإغريقية واللاتينية خاصة»؟ ثم يلحقها برسالة أخرى يضيف فيها الألمانية والسلوفينية.

أما العامل الرئيس الذي كان سببا في توجه الباحثين التاريخيين إلى حقل العلوم

(1) مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص67 وما بعدها .

الطبيعية كالبيولوجيا والفيزياء فهو الانتشار المثير لنظرية "دارون" في منتصف القرن والمسماة بنظرية النشوء والارتقاء سنة 1859، فراح العلماء يدرسون اللغة ورأوا فيها جهازا عضويا وظيفيًاورأوا إمكانية تشريح بنيتها العضوية، وبذلك سلبوا الدراسة اللسانية طابعها الاجتماعي وجعلوها دراسة علمية طبيعية بحتة، وفي ضوء نظرية النشوء فسَّر "فرانس بوب" مفهوم التطور اللغوي، فاللغات تغيرت بانحلال الأصل اللغوي الكامل إلى فروع، كما أن اللغات مثل الكائن الحي تنمو وتتطورثم تموت.

أما النحاة الجدد فقد كان لهم أثر كبير في محطة الدراسات التاريخية والمقارنة وحاولوا أن يشقوا طريقًا مميزًا،ومما عرف من أفكارهم ماذكره استهوف وبروجمان في مقالة لهما نشرت سنة 1878م بخصوص تفسير التغير الصوتي على أنه عملية ميكانيكية تحدث بحسب قوانين صارمة لا تسمح بأي شذوذ داخل البنية اللغوية،وفي زمان محدود[1].

المقارنون الأوائل:

1– راسموس راسك[2] (1852/1787):

صاحب كتاب «النحو الإسلندي القديم» وقد فاز بجائزة أكاديمية العلوم الدانماركية في بحث حول مصدر الإسكندنافية وأصلها وعلاقاتها حتى القرن الوسيط مع الجرمانية حوالي 1814، غير أن عمله لم ينشر إلا سنة 1818، وقد ألمع في مؤلفه هذا إلى قواعد المقارنة اللسانية التي يجب أن تراعي، وهي:

أ) الاستعانة بالمعايير النحوية وعدم الاكتفاء بمجرد التشابه اللفظي.

ب) الاستعانة بالكلمات الأصلية في اللغات المدروسة.

(1) Giorges mounin Histoire de linguistique des origines au siecle. p u f ,Paris,1970,p214.

(2) اتجاهات البحث اللساني، ص49 .

2- فرانس بوب(1857/1791):

تميز بمعرفته للغات هندوأوروبية وبعض اللغات السامية كالعربية والعبرية، وفي فرنسا أنجز عمله الذي بوّأه المرتبة الأولى في حقل النحو المقارن الموسوم نظام التعريف في اللغة السنسكرينية مقارنة بكل من اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية، وقد تواصلت جهوده في تدريس النحو السنسكريتي إلى غايته 1852 ببرلين، ولعله كان أسبق من دي سوسير في دعوته إلى استقلالية العلم اللساني بقوله: "إن اللغات التي نعالجها في هذا الكتاب هي مدروسة لنفسها، أي أننا نتخذها كموضوع بحث لا كوسيلة للمعرفة"[1].

3- جاكوب غريم (1863/1785):

صاحب كتاب "النحو الألماني " وقد درس التغيرات الصوتية في النظام الصوتي الألماني ولغات هندوأوروبية أخرى على ضوء التطور التاريخي، وقد عرف عمله هذا بـــ: «قانون غريم» وأكمل تلك الجهود الدانماركي "فرينر" ببحثه عن قانون ينظم الحالات الشاذة التي توقف عندها جريم[2].

4- فرديريك شليحل:

بتأثير من الدراسات المقارنة في مجالات مختلفة كالأدب وعلم التشريح والأحياء يلج هذا الألماني الدراسة المقارنة للغات بهدف بناء الأسر اللغوية، ثم يشرع في تقسيم اللغات إلى لغات متصرفة وأخرى غير متصرفة[3].

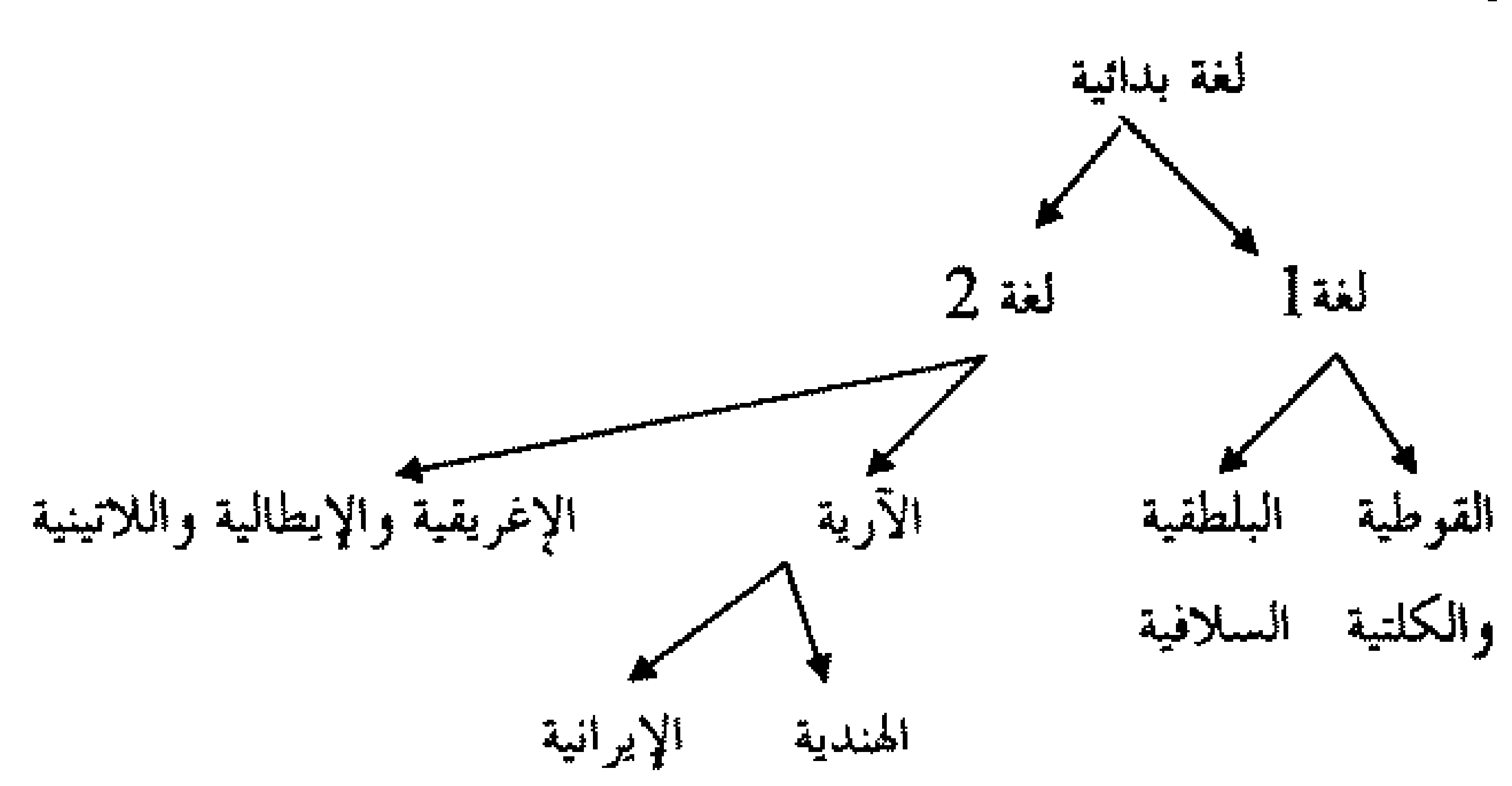
(1) Giorges mounin Histoire de linguistique des origines au siecle. p u f ,Paris,1970,p179.

(2) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص279 وما بعدها .

(3) Giorges mounin Histoire de linguistique des origines au siecle. p u f ,Paris,1970,p165.

5-أوغست شليشر: (1868/1821):

عرف بعنايته باللغات الحية من خلال عمله النحوي المهم في الليتوانية سنة 1856، وقد استقى منهجه من حقل علم النبات، وكثيرا ما شبه عمل اللساني بعمل عالم الطبيعة، ولعل اعتقاده بأن اللغة كائن حي ينمو ويتطور ويموت أهم آرائه التي حددت وجهة نظره وطريقة بحثه في الألسن، وكان أهم ما توصل إليه وضعه لشجرة اللغات:



وأيضًا تقسيمه للغات على أساس صرفي فميّز بين اللغات الفاصلة التي تحدد دلالاتها بالرجوع إلى قرينة الموقعية[1] والنبر واللغات اللاصقة المعتمدة على اللواحق والسوابق، أما المتصرّفة فهي اللغات التي تتغير صيغ الكلمات فيها لتدلّ على معان نحوية مختلفة[2].

6- يوهان شميدت[3]: (1901/1843):

(1) اتجاهات البحث اللساني، ص57 .

(2) Mourice Leroy,les grands courents de la liunguistique moderne, Bruxelles, 1970,p26

(3) اتجاهات البحث اللساني، ص58-59.

تنسب إليه نظرية الأمواج التي تتضمن في محتواها ردًا على نظرية أستاذه في العائلات اللغوية، ويؤكد هذا المقارن أن الابتكارات اللغوية تنبثق في بنية لغوية واحدة ولا تنتشر في البيئات الأخرى في صورة فروع، وتَقَدُّمها يشبه الضغط الذي تحدثه الموجة،فإذا افترضنا وجود ثلاثة مجتمعات لغوية متجاورة فإن هذه المجتمعات لن تعرف أبدًا قائمة من الخصائص المتماثلة تمامًا أو المختلفة كليةً؛فاللغات تتقاطع في شكل أمواج ودوائر دون أن تتطابق كلية،مما يجسد فكرة التواصل الجغرافي بين اللغات التي ألمع شليشر إلى استقلاليتها في شكل فروع.

7- فيلهلم فون همبلدت[1]:

كان هذا العالم الذي وضع الأصول الأولى لعلم اللسانيات العامة أول دارس للغة الأندونيسية من خلال لغة جزيرة جاوة (الكاوية) وقد تميز جهده اللساني بـــ:

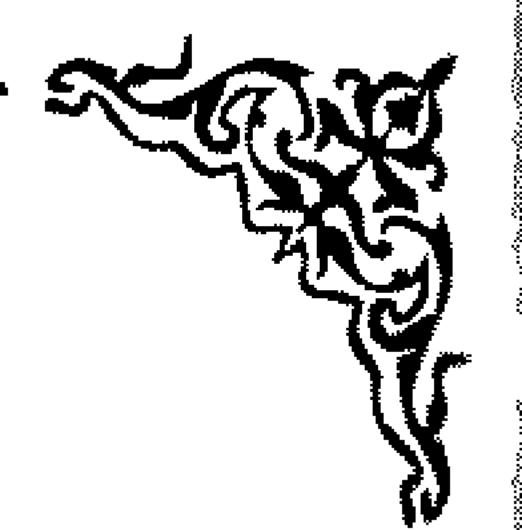
1) التركيز على خصائص البنية اللسانية في نقطة زمنية محددة بعيدًا عن تطورها التاريخي، أي إعطاء الأولوية للبحث السانكروني.
2) لم يشغل نفسه ووقته بالبحث عن اللغة الأم، وكان يرى أن المجموعة الهندو أوروبية لا تستحق اهتمامًا مبالغًا فيه عن غيرها من المجموعات اللغوية الأخرى.
3) الإلحاح على العلاقة التي تربط الكلام بالنشاط الذهني للفعل الإنساني.
4) التأكيد على العلاقة الأساسية التي تربط البنية اللسانية بالعقلية القومية والثقافة المميزة لأمة ما وعليه يقرر: "إن اللغة مُتَميِّز لروح أمة بعينها".
5) البنية اللسانية: تنص هذه الفكرة على عدم جدارة اللغة لتحقيق التفاهم الكامل بين الناس،وذلك لاختلاف رؤيتهم للعالم والكون، وقد مثّل عمله

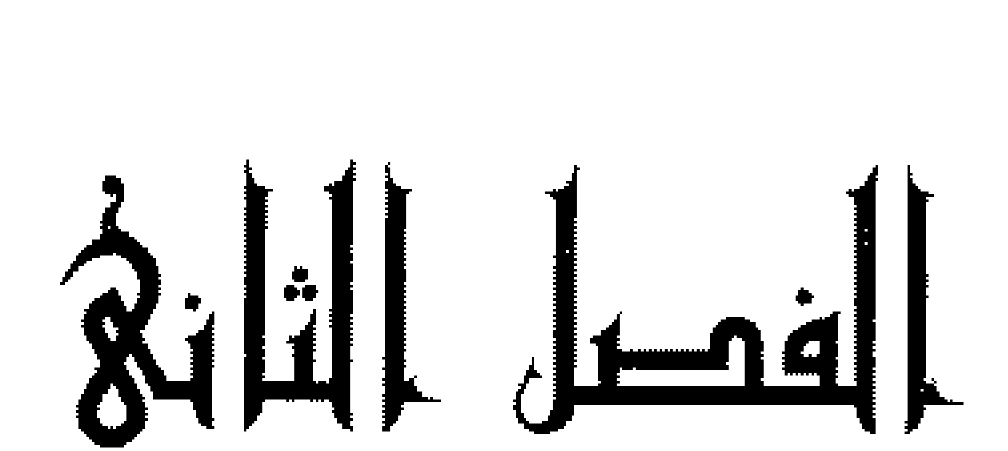
[1] Giorges mounin Histoire de linguistique des origines au siecle. p u f ,Paris, 1970, p170

المقدَّم في جامعة برلين من (1836/1830) حجر الأساس في ترسيخ علم اللسانيات العامة وقد وسم عمله بـــ: "حول اختلاف بناء اللغة الإنسانية وتأثيره في التطور العقلي للجنس البشري" المحدثون من أمثال صاحب كتاب «فلسفة اللغة اليوم» و"فايجربر" صاحب كتاب: "الصورة العالمية للغة الألمانية"[1].

✿✿✿

[1] اتجاهات البحث اللساني، 65 وما بعدها .





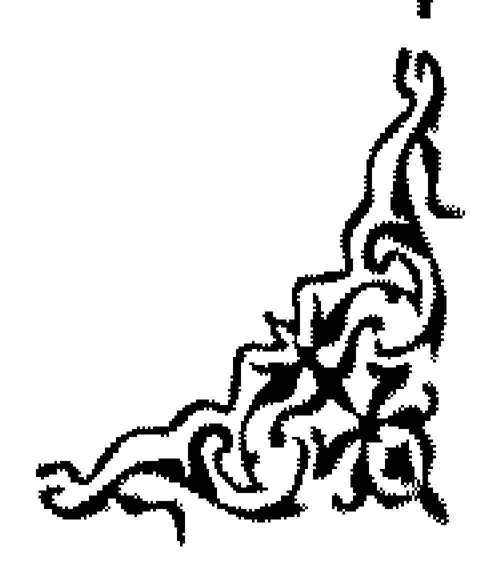
البنويـة فـي اللسانيـــات

أ- دي سوسيرواللسانيات الحديثة .

ب- المدرسة الوظيفية .

ج- المدرسة الغلوسيماتكية .





اللسانيات الحديثة Linguistique

تحديد المصطلح:

اللسانيات علم يدرس اللغة (الطبيعية والاصطناعية) دراسة علمية تقوم على الوصف، ومعاينة الوقائع بعيدا عن الترعة التعليمية والأحكام المعيارية، ولفظة "علم" الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى لتمييز هذه الدراسة عن غيرها، لأن أول ما يطلب في الدراسة العلمية هو اتباع طريقة منهجية، والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التحقق منها وإثباتها[1]. ويجب أن نقرَّ أن ما جعل اللسانيات علما حديثا وثوريا في الآن نفسه هو إخضاع الظواهر اللغوية لمناهج البحث العلمي، خلافا لما كان عليه الحال من قبل إذ كانت العلوم في أوروبا تتصف بالذاتية والتخمين والتأمل العقلي البعيد عن الموضوعية في أغلب الأحيان، باستثناء محاولات لاتخلو من جدة ظهرت هنا وهناك في بلدان مختلفة من القارة الأوربية في القرون الثاني عشر والسادس عشر والتاسع عشر.

أهم مناهج اللسانيات الحديثة:

عندما حل القرن التاسع عشر، شهدت الدراسات اللغوية تطورًا كبيرًا، حيث عرفت منهجين هما:

1– المنهج الوصفي.　　**2**– المنهج التاريخي.

1ـ المنهج الوصفي:

إن أهم ما يميّز اللسانيات الحديثة التي تستخدم المنهج العلمي في دراسة اللغة عن المناهج التقليدية، هو أنها تنظر إلى اللغة نظرة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية الموجودة بالفعل، ولا تهدف من ذلك إلى وضع قواعد

---

[1] محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص 18 وما بعدها.

تفرضها على المتكلمين باللغة.

ويعود الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدرس اللساني إلى "دي سوسير"، فهو يعنى بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، وهذا ما قرره دي سوسير **أن موضوع الدراسة اللغوية الوحيد والحقيقي هو اللغة، التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته يبحث فيها لذاتها.** وابتعد بذلك عن النظر في اللغات من وجهة النظر التاريخية أو المقارنة[1].

كما أن الوصفيين لم يقتفوا أثر القواعد النحوية التقليدية لأنها تأسست على لغات قديمة لم تعد مستعملة، كما أن أصحاب هذه الدراسة عَدُّوا الصورة المكتوبة للغة أساسًا في البحث[2]. وفي هذا المجال يقول "ماريو باي": «إن علم اللغة الوصفي يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن، ففيه توصف اللغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في صورة زمنية معينة ليس ضروريًا أن تكون في الزمن الحاضر»[3].

وللمنهج الوصفي أسس عامة تتوزعها أفكار تنظيمية للمنهج، وقواعد عملية في التحليل، منها أن الوصف لأي لغة ينبغي أن يبدأ من الصورة المنطوقة إلى الصورة المكتوبة باعتبار أن اللغة لها وجهان: وجه الكلام، ووجه الكتابة، متخذا ثلاثة طرق متكاملة في تحليل الظاهرة اللغوية وهي: استقراء الظاهرة (المادة اللغوية) مشافهة، ثم تقسيمها أقساما وتسمية كل قسم منها، ثم وضع المصطلحات الدالة على هذه الأقسام لتصل بعد ذلك إلى وضع القواعد الكلية والجزئية التي

(1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، بغداد، ط 1، 1986، ص 10 .

(2) محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، ص 135 بتصرف.

– ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط 8، 1998، 3 ص 137.

تنتج عن الاستقراء، ولعالم اللغة الوصفي قواعد عملية يجب أن يتبعها في التحليل اللغوي وهي كالتالي:

أ) الاهتمام الخاص بالأصوات والصيغ النحوية للغة المتكلَّمة.

ب) معرفته بالأسس الفونيمية والمورفيمية التي تسمح بوصف تفصيلي دقيق[1].

ج) إن مجال بحث اللساني الصوتي يتمثل في حقل اللغات الحية حيث يمكن تزويد الباحث بأحد أبناء اللغة الذين يتكلمون بها وهو الراوي اللغوي **informant**.

د) **الخطة المزدوجة** التي تجمع بين جمع المادة ثم فحصها ومقارنتها تبدأ على شكل أسئلة صيغت خصيصًا ليمكن عن طريق توجيهها إلى الراوي أن تكشف عن كيفية التعبير عن أشياء معينة في لغته، وعادة ما يندرج الباحث من الكلمات القصيرة السهلة إلى التعبيرات الأطول والجمل الكاملة، أما الإجابات فيجب أن تكتب بالرموز الصوتية، وكلما سجلت تفصيلات أكثر كان أفضل، وربما استخدم جهاز التسجيل أو الاسطوانات[2].

ولقد حققت اللسانيات الوصفية في القرن العشرين نهضة كبرى أدت إلى كثير من التطورات المهمة في اللسانيات المعاصرة، وكان القرن التاسع عشر حاملاً لكثير من الإرهاصات لهذا العلم الحديث [3].

هذا وقد شهد القرن العشرين ميلاد مدارس وصفية متعددة، أهمها:

1) المدرسة البنوية بمختلف اتجاهاتها......... **structure linguistique**

(1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 11 .

(2) – المرجع نفسه، ص 12 .

(3) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1980، ص 182 .

2) مدرسة النحو التوليدي التحويلي
grammaire générative......... Transformationnelle
3) اتجاه القوالب [1]......................... **tagmemmique**

2ـ المنهج التاريخي:

إن الدراسة التاريخية لا تقوم إلا بعد الفراغ من دراسة المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة دراسة وصفية. ومن النظر في هذه الدراسات الصوتية للمراحل يأتي تدوين تاريخ هذه اللغة صوتيًا وفونولوجيًا ونحويًا ومعجميًا ودلاليًا[2].

والمنهج التاريخي يدرس اللغة دراسة طولية، بمعنى أنه يتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من التطور، محاولا الوقوف على سر هذا التطور وقوانينه المختلفة [3]. يقول ماريو باي: «إن علم اللغة التاريخي يتميز بفعالية مستمرة، فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة»[4]. ويعنى المنهج التاريخي في دراسة اللغات بالتغير الدلالي للغة ومراحل تطور لغة واحدة أو مجموعة من اللغات عبر مسيرتها. ومن أهم الأسس التي اعتمد عليها في التحليل هو مفهوم الحركة أو الفاعلية المستمرة، بهدف الكشف عن الاتجاهات المختلفة في التغير اللغوي من خلال الوصول إلى العوامل التاريخية التي ساعدت على التغير[5]، ويعد (علم اللغة) أو (علم المعنى) من الفروع الأساسية في البحث اللغوي التاريخي وبخاصة ما يتعلق منه بالمفردات وأصولها التاريخية الاشتقاقية، وتغيرها الدلالي في المراحل المختلفة من عمر اللغة المعنية.

---

(1) المرجع نفسه، ص 183 .

(2) محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، 1999، ص 198

(3) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 196 .

(4) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 137 .

(5) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 37 .

فرديناند دي سوسير واللسانيات الحديثة

أصبح من التقليدي القول بأن فرديناند دي سوسير هو أب للسانيات الحديثة، فبفضله أصبحت دراسة اللغة تتم وفق منهج علمي وصفي آني يتوخى الشمول والدقة وعدم التناقض[1]، وقبل الحديث عن هذه الشخصية وأثرها في حقل الدراسات اللسانية، لا بد أن نقف مع الجو العام الذي ميزَّ أواخر القرن 19م وبداية القرن العشرين.

ففي 1890 ظهرت اتجاهات جديدة في التحليل العلمي للظواهر الاجتماعية وبصفة خاصة الأحداث الاقتصادية، وقد بني في أغلبها على فكرة تقدم المجتمع على الفرد وأسبقية المؤسسة من حيث الوجود على الشخص الذي هو وليد الاجتماع والعمران، يقول أوغست كونت زعيم هذه النظرية في كتابه «روح الإيجابية»: "إن الإنسان الحقيقي لا وجود له إنما الموجود هو الإنسانية"، ويقول كارل ماركس: "إن وجود الإنسان الاجتماعي هو الذي يسبب وعيه وليس العكس"، وإن كان ليس من المهم التوغل في هذه الآراء الفلسفية ونحن بصدد دراسة المدارس اللسانية إلا أننا ننبه إلى ذلك الأثر الكبير الذي تركته فكرة تبعية العنصر إلى المؤسسة، والذي لا تثبت له قيمة إلا من خلال علاقته بها في العلوم الإنسانية وخاصة اللسانيات كما نبه "إميل دور كايم " اللغويين إلى فكرة "العامل الاجتماعي " بعد أن كانوا غافلين عنها[2]، ويهتمون فقط باللغة في مستوى

---

(1) علم اللغة نشأته وتطوره، ص84. وأنظر دانييل مانيس، علم اللغة ـــ سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصفر، مجلة الموقف الأدبي، عدد135-136،سنة 1982،ص212. وانظر كاترين فوك وبيار لي كوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعريب المنصف عاشور، ص17.

(2) مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلد 02، سنة 1972،ص2 وما بعدها.

الأفراد، فربطوا — مثلاً – تطور اللغة عبر الزمان والمكان بتطور مخارج الأصوات عند الأفراد وتطور العقل البشري، متناسين أن هؤلاء الأفراد يكوِّنون وحدة شعورية أو وعيا جماعيا سابقا على وجود الفرد وباق بعده، وهذا الوعي الجمعي له قوة يفرضها على الفرد، ويبدو أن التحول في الرؤية بدأ مع «أنطوان ماييه» الذي صرّح لأول مرة بأن اللغة حدث اجتماعي بالدرجة الأولى، فكان أن كرَّس هذه النزعة الاجتماعية وقد تابع سوسير بنفسه بكل عناية واهتمام هذه الآراء التي انعكست بجلاء في تعريفه للغة.

ويبدو أن اللغويين تأثروا أيضا بمفهوم المجموعة عند الرياضيين، وكانت هذه النظرية قد ظهرت على يد العالم"كانتور" (1918/1845)، كما انتهى الكثير منهم إلى ضرورة الانطلاق من الدراسة الآنية للظاهرة اللسانية، لأن المنهج التاريخي بات غير قادر على تحديد طبيعة الأشياء والظواهر فهو يقول لك: كيف كانت تلك الظاهرة وذلك العنصر في فترة ما، وكيف أصبح في فترة لاحقة، ولكنه لا يبين حقيقتها ولا صفاتها وآلية حركتها (وظيفتها)، فأنطوان ماييه تمنى أن تستبدل المفاهيم القديمة بمفاهيم علميَّة دقيقة قريبة من روح العلم يصطلح على تسميتها باللسانيات العامة، والتي يجعلها –في زعمه– مقدمة تمهيدية لدراسة اللغات تاريخيًا.

ونحن نتحدث عن الظروف المتصلة بنظرية دي سوسير لاتنسىتلك الفكرة التي نادى بها "وتني" عالم الأنثربولوجيا الأمريكي، والتي تقول بوجود نظام باطني يمثل الصورة أو الصيغة الناتجة عن التركيب والذي يخالف مجموعة العناصر الجزئية، وهذه الفكرة نفسها كانت منطلقًا لسوسير ليعرض النظام (البنية) باعتباره كيانًا على حدة مؤسَّس على التناسق ويفرض على عناصر المجموعة الخضوع لعلاقاته.

إن أول من وضع وحدد معالم هذه الأفكار اللسانية الجديدة هو دي سوسير

–كما سبق الذكر– الذي أخرج للناس نظامًا منسجم الأطراف، جعلنا نعجب كل العجب لقدرته على توضيح المفاهيم المتداخلة والتمثيل لها والتوفيق بين المتناقضات، ورغم قيمة ما خَلّفه هذا اللساني إلا أن آراءه لم تشتهر إلا بعد 1929 وذلك للأسباب التالية:

1) المحاولات الأولى لقراءة دي سوسير كانت حَدَّ سطحية بسبب هيمنة التفكير التاريخي على العقول وكتابات ماييه وماروزو ويسبرسن من هذا القبيل.

2) وكان من حظ هذه النظرية أن قيِّض لها القدر عالمان روسيان تفطنا لقيمتها في ترقية العلوم الإنسانية، وهما "رومان جاكبسون" والأمير "نيكولاي تروبتسكوى "بعد أن اطّلعا على آراء دي سوسير بفضل تلميذه "كارسفسكي" الذي سافر إلى روسيا سنة 1917، وأعلن عن هذه الآراء أمام أعضاء المؤتمر الدولي للسانيات في لاهاي 1920، ومن ذلك الحين توالت ترجمات تلك المحاضرات إلى لغات شتى في العالم كاليابانية 1928 والألمانية 1931 والروسية 1933 والإسبانية 1945 والإنجليزية 1959 والإيطالية 1967 والعربية 1985[1].

نبذة عن حياة دي سوسير:

ولد دي سوسير في جنيف 1857 في أسرة لها حظ في العلم، درس في جامعة لايبزيش الألمانية 1876، وكتب له أن يحضر ذلك النقاش العلمي الذي وقع بين كورتيوس ونخبة من النحاة الجدد على رأسهم كارل بروجمان، وكان قد أنهى عمله 1878 المسمى: "رسالة في نظام الصوتيات في الهند وأوروبية" وتحصل بعدها وهو ابن 22 سنة على درجة دكتوراه حول موضوع حالة الجر المطلق في

(1) عبد السلام المسدي، ماوراء اللغة –بحث في الخلفيات المعرفية، تونس 1994،ص9-31.

السنسكريتية، و لم يعن خلال فترة التدريس 1891/1880 بفرنسا إلا بالنحو المقارن والتاريخي، وكذلك كان حاله بعد عودته إلى جنيف إلى غاية 1896، وفي 1907 قرر العودة بعد انقطاع للتدريس لأسباب اجتماعية مر بها كان لها أثر في نفسه، وخلال هذه الفترة قدم بكل دقة آراءه التي طالما حلم بأن تكون نظرية عامة لتفسير اللغة ودراستها[1].

ولسائل أن يسأل ماذا يمكن أن يضاف من قول عن دي سوسير، فقد بات معروفا لدى العام والخاص، إلا أنه يجب أن نعلم أن الصورة المثلى التي خُصَّ بها لم تكن تتصف بالصفاء التام؛ ذلك أن نظرياته لم تحظ جميعها بالموافقة المطلقة، بل قام بعض الدارسين بنقدها والتعديل فيها أو دحضها وتجاهلها، وكذا العدول عن قرن نشأة اللسانيات به، فإن جاز لنا القول: "بوجود أب للسانيات فإنه يجب أن نقر كذلك بأن لها أجدادا سابقين " ويمكننا حصر اتجاهات الأعمال المهتمة بآثار دي سوسير فيما يلي:

أ) اتجاه لا يخلو من موقف دفاعي عن نظريات دي سوسير بالصفة التي نشرت عليها (ج. مونان).

ب) اتجاه تحمل عبء نشر تقييدات دي سوسير ومنشورات دروسه وإعادة تحقيق كتاباته (ر. قودال، رانقلار).

ج) اتجاه يحاول إعادة قراءة دي سوسير على ضوء من دروسه ومخطوطاته وسيرته (ر. أمكار، توليودي دي مورو و. ج ستاروبنسكي).

د) اتجاه يطعن صراحة في قيمة النص والنظرية ذاتها (ج ل، كالفي)[2].

وما يمكن التذكير به ونحن بصدد وصف الإطار الثقافي الذي ظهرت خلاله

---

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص40 .

(2) أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ص06 .

نظرية دي سوسير اللسانية، أنه أولى الشعر عناية بالغة في بعض ظواهره الفنية كالجناس وظاهرة الترجيع الصوتي فيما يربو عن 140 كراسًا، بالإضافة إلى إحجامه عن الكتابة في موضوع اللسانيات ردحا من الزمن، معللاً ذلك بعدم وجود كلمة واحدة في هذا الميدان يمكن إطلاقها على موضوع محدد، وأن المرء لا يكاد يفرغ من الجملة التي بدأها حتى تخامره فكرة العدول عنها وإعادتها خمس مرات أوستا[1]، لقد كان دي سوسير كسقراط واليسوع لم يكتب أبدًا[2].

النظام والبنية عند دي سوسير[3]:

كان لهذا العالم السويسري الفضل في كونه أول من دعا إلى دراسة المنهج الوصفي في اللسانيات، من حيث هو بديل منهجي عن المنهج التاريخي في رصد الظاهرة اللسانية والكشف عن أنظامها ووظيفتها. وتطور هذا التفكير المنهجي على يد تلاميذ دي سوسير والمتأثرين بآرائه العامة في نقد الدراسات السالفة ليخرج في شكل جديد اصطلح على تسميته بالبنيوية (structuralism)، والبنيوية في أصلها اللغوي اشتقت من كلمة Struere ومعناها البناء، ولهذه الكلمة في اللغة الفرنسية Structure دلالات مختلفة منها: النظام Ordre والتركيب Constitution والهيكلة Organisation والشكل Forme، بالإضافة إلى هذا فإن علومًا أخرى غير اللسانيات قد استعملت هذا المصطلح كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والكيمياء، والجيولوجيا والرياضيات والفلسفة،

---

(1) من مسودة لخطاب وجهه دي سوسير إلى أنطوان مايه بتاريخ 1894/01/14،وذكره ستراوبنسكي في كتابه الكلمات وراء الكلمات، ص13 .

(2) روبير توسان، ما هي السميولوجيا، ترمحمد نظيف،ص39 .

(3) للزواوي بغورة دراسة مهمة في رأينا يمكن مراجعتها بعنوان المنهج البنيوي –بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، عين مليلة، ط1،سنة2001 .

مما يعني تحول البنيوية إلى إطار نظري ومعرفي يهيمن على تفكير تلك المرحلة.

والواقع أن المعنى الدقيق لكلمة **Structure** لم يتم تحديده إلا في عام 1926 وعلى يد مدرسة «براغ» اللسانية، ويفيد هذا المصطلح معنى الترتيب الداخلي للوحدات التي تكون النظام اللساني. ولقد تعرض عدد من الباحثين اللسانيين لهذا المصطلح، منهم «جورج مونان George Monane » الذي يرى أن كلمة بنية ليست لها أية رواسب أو أعماق ميتافيزيقية فهي تدل عنده على البناء بمعناه العادي[1].

هذا وترى النظرية البنوية التي بدأت عند «دي سوسير» وازدهرت عند "بلو مفيلد" Bloomfield، و"لويس هيلمسليف"، أن دراسة المادة اللغوية التي أمامنا باعتبارها الشيء الحقيقي تم دراستها في إطار سلوكي يؤكد أن أي فعل لا يفهم إلا في ضوء المثير «Stimilus» والاستجابة «Réponse»، وقد أفضى ذلك بطبيعة الحال أن يكون المنهج البنيوي منهجًا استقرائيًا يبدأ أولا بجمع المادة ويصل بعد ذلك إلى القاعدة أو إلى النظرية[1].

الثنائيات السوسيرية:

لم يكن ولوع دي سوسير بإبراز أوجه التناقض في اللسان بمجرد رغبة أو إشباع نزوة أو هوسًا على حد تعبير فيكتورهنرى، بقدر ما كانت تلك الثنائيات نتاج تمحيص لبنى اللغة، ويبدو أن هذه الثنائيات لا تمثل تطابقًا واختلافًا جذريا كما يتصورها البعض أن تكون، فهي متداخلة وتبدأ حين تنتهي سابقتها وليس لأحدهما قيمة إلا بالأخرى، فالفصل الذي يقيمه الدارس بين الدراسة التاريخية والآتية لا يحدث على مستوى الأشياء المدروسة لغويًا وإنما في مستوى الذهن، فهي كخطوط الطول والعرض تسهل على الدارس جغرافيا الأرض فقط وإن لم

(1) علم اللغة نشأته وتطوره، ص93.

يكن لها وجود واقعي إلا أن «كالفي» يصرُّ على وجودها المادي المتحقق، إن ثنائياته المشهورة هي التي تكشف عن مجمل تصوره للغة، وكانت منطلقات أساسية ذات طابع راديكالي بالنسبة إلي اللسانيين في بناء نظريات لسانية محدثة. وهي كالآتي[1]:

1) التمييز بين اللغة والكلام.
2) التمييز بين الدال والمدلول.
3) التمييز بين الدراسة الآنية والزمانية.
4) التمييز بين العلاقة الجدولية والعلاقة الأفقية.

أ. اللغة والكلام:

فرق «دي سوسير» بدقة بين الثنائي الذي كان مترادفا عند علماء اللغة التقليديين وهو اللغة**Language** والكلام **Speech** أو كما قال **Langue et Parole**، على أساس أن اللغة في حقيقتها نظام اجتماعي، في حين أن الكلام هو الأداء الفردي الذي يتحقق من خلال هذا النظام، وأن الصلة بينهما هي عين الصلة بين الجوهري «اللغة » والعرضي وهو «الكلام ».

أي أنه ميز بين لغة بمجموع الجماعة المتكلمة - التي توجد في الوعي الكلامي لكل فرد - وظاهرة الكلام الفردي الذي يعكس نموذج اللغة **Langue**[2].

وإذا لم نحاول إقامة تفريق بين اللغة والكلام، واعتبرنا العلاقة بينهما علاقة تكامل، نكون قد انطلقنا من تصور وهو أن اللغة ملك لمجموع الجماعة المتكلمة، ولكنها تتحقق فعلا عن طريق الكلام الفردي **Parol**، والكلمات المنطوقة بالفعل تنسجم من حيث المبدأ مع المعايير التي تفرضها لغة المجتمع المتكلم، فالكلام تجسيد للُغة في المجتمع.

(1) ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 214 .

(2) حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص16 .

2. الدال والمدلول وطبيعة العلامة اللغوية:

العلامة اللغوية ذات طبيعة مركبة، وهي توليفية من الشكل الصوتي الذي يشير إلى المعنى (وهو الدال Signifiant)، والمعنى نفسه (وهو المدلول Signifie)[1].

أما عن موقف «دي سوسير» من طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول فنجده معارضًا للاعتقاد القديم الذي كان يرى أن اللغة ليست سوى قائمة أشياء مناسبة للأشياء الطبيعية، فالعلاقة بينهما ما هي إلا علاقة اعتباطية (Arbitraire).

مبدأ الاعتباطية:

إن القول بطبيعية اللغة يفضي بنا إلى اعتبارها قائمة من الكلمات توافق عددًا من الأفكار والأشياء، وهذا التوافق إلزامي ناتج عن كون اللغة من هذا المنظور مرآة عاكسة للفكر وأداة تمثيل لمقولاته في الواقع، أما القول بأن اللغة اجتماعية تواضعية فإنه يفضي إلى مبدأ عدم تناسب نظام اللغة وانتظام الأفكار في العقل والأشياء في الواقع، وهذا ما شاع – فعلاً – بين العلماء، ودليلهم هو إمكانية تطور الدال والمدلول بمعزل عن بعضهما وكذا اختلاف اللغات في تسمية المسميات، ويبدو أن ما ذهب إليه دي سوسير في هذه المسألة طريف إلى حد يخالف فيه هذه الفكرة التي نجدها عند السابقين من عهد أرسطو، مرورًا بالغرب إلى مشارف القرن العشرين عند «وتني» الأمريكي.. فمبدأ الاعتباطية –عنده– مبدأ جذري ذو أهمية قصوى لا يتم على مستوى العلاقة بين الصوت والمعنى وإنما على مستوى الشكل (النظام الذي يمثل اللغة ذاتها) وعلى هذا الأساس فإن «دي سوسير» يُخطِّئ هذه النظرية ويأتي بالحجج الآتية:

أولاً: إنه لمن الخطأ أن نقول بأسبقية الفكر في إشكالية العلاقة القائمة بين الفكر واللغة، فهو يرى أن الفكر ليس سوى «كتلة عديمة الشكل» أو «سديم

[1] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص49 .

غير واضح المعالم»، بحيث لا يمكن لأي كان أن يميز بين الأفكار دون الاستعانة بالعلامات اللسانية، فلا شيء يوجد بدون لغة، فيصبح من غير اللائق إذًا أن يتحدث عن أولوية أو أفضلية أحدهما على الآخر، بل يجب اشتراكهما في عملية واحدة تكون شبيهة بالورقة وجهها الفكر وظهرها اللغة[1].

ثانياً: هي تفترض أن العلاقة القائمة بين الاسم والمسمى عملية سهلة للغاية، وهذا غير حقيقي، لكن تقترب هذه النظرية البسيطة من حقيقة كون الوحدة اللسانية مزدوجة، أي قائمة على التقارب بين الأمرين، وينجم عن هذا كله أن الدليل اللساني عملة ذات وجهين متحدين ومتداعيين: أحدهما الدال والآخر مدلول، ويرى في هذا المجال[2] أن العلامة اللسانية لا تربط شيئًا باسم بل تصورًا بصورة سمعية، وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي، الذي هو شيء فيزيائي صرف؛ بل هي الدفع النفسي لهذا الصوت أو المتمثل الذي تهبناإياه شهادة حواسنا، إن الصورة السمعية هي حسية، وإذا ما دعوناها «مادية» فإنما تكون في هذا المعنى فضلاً عن مقابلتها مع التصور الذي هو العبارة الأخرى للترابط الأكثر تجريدًا بشكل عام، وعندما نلاحظ لساننا الخاص، فإن الصفة النفسية لصورنا السمعية تتضح جليًا.

.1 -دي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة

ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص220،وانظر مجلة عالم الفكر، مجلد 03،

2- عدد01،1972،ص227.

3 ـ الآنيـة والزمانيـة: *Synchronic et diachonic*

يمكن تحليل بنية اللغة بنوعين من المقاربـــة[1]:

أ ـ المقاربة الآنية أو التزامنيـة *Synchronic*:

تعالج الموقف اللساني في لحظة بعينها من الزمان، أي أنها تعني بوصف الحالة القائمة للغة ما، وتتجلى اللغة في هذه الحالة في هيئة نظام نسقي يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع بعينـــه.

ب ـ المقاربة التعاقبية *Diachronic*:

هي التي تعني بتاريخ اللغة أي أنها تعني بالظواهر اللغوية غير المختزنة في الوعي اللساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم، وهي التي يحتل بعضها مكان بعض دون أن تتجاور بالضرورة في نظام واحد[2]. ويطلق اللسانيون على الأول اسم المنهج الوصفي أو المنهج البنيوي الذي يهدف إلى تحديد المبادئ الأساسية للنظام المتزامن، في حين يطلق على الثاني اسم المنهج التاريخي الذي يهدف بدوره إلى البحث في العناصر المتتابعة زمانيًا، لقد صرح هرمان بول بأن الطريقة الوحيدة لدراسة اللغة دراسةعلمية هي المنهج التاريخي[3]. واللسانيات الحديثة تجعل البحث الوصفي أو التزامني مقدمًا على المنهج التاريخي من حيث إجراءات البحث، لأن وصف نظام لغوي في زمن ثان، ثم وصف نظام لغوي من اللغة نفسها في زمن ثالث،يُمكّن،بعد ذلك من إجراء دراسة لغوية تاريخية توضح الأصل والنشأة

(1) التفكير اللغوي بين القديم والجديد نص77-78. وانظر محمود فهمي حجازي، أصول البنيوية في علم اللغة والدراسات الإتنولوجية، مجلة عالم الفكر، الكويت مجلد03،عدد01، سنة 1976 .

(2) محاضرات، ص88 .

(3) جورج مونان، تاريخ علم اللغة، ص217 .

واتجاهات التغير[1].

كما يدعو سوسير إلى ضرورة أن يميز بدقة بين الظاهرة الآنية أو الثابتة (Static) وبين التعاقبية والحركية (Dinamic)[2].

العلاقة الجدولية والعلاقة الأفقيـة:

اللغة تتابع من العلامات، وكل علامة تضيف شيئا إلى المعنى الكلي، وهذه العلامـــات ترتبط بعضهـــا ببعض بعلاقات يحددها النظام اللغوي في كل لغة، وحين ينظر إلى العلاقات في تتابع خطي يطلق على العلاقة بينها اسم العلاقات الخطية أو الأفقية (Syntagmatique) مثل علاقات الكلمات الآتية في الجملة[3]:

أنجز الطالب البحث.

حين ننظر إلى العلامة الموجودة بوصفها مقابلة لعلامات أخرى في اللغة تسمى العلاقة بينهما استدعائية (Associative) أو جدولية (Paradigmatique)، وفي الجملة السابقـــة يمكن أن نستبدل الكلمات على النحو الأتـــي:

أنجز/ أكل / صحا / لعب / بدأ... إلخ.

الطالب/ البنت / الرجل / الكلب... إلخ.

البحث / العمل / اللعب / النوم... إلخ.

فالكلمات التي يمكن أن تتخذ الموقع نفسه تنتظم في عقل المتحدث ليختار منها المناسب، ويتخذ الرمز اللغوي مكانه في نظام اللغة من حيث موقعه، وكل نظام يحدد أدوارا واضحة لعناصره، ويمثل « دي سوسير» لذلك بلعبة الشطرنج،

(1) محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، ص35 .

(2) عالم الفكر، مجلد 3، عدد01،ص227.

(3) علم اللغة نشأته وتطوره، ص102ومحمد الخناش، البنيوية في اللسانيات، ص227 .

فسواء جعلنا الوزير من العاج أو الخشب أو الحجر فله حركته المحددة في إطار قواعد اللعبة[1].

القيم الخلافية[2]:

يقوم النظام على جملة من القيم الخلافية التي تميز الوحدة اللغوية عن غيرها، وتمثل هذه القيم جملة من السمات التي تختلف فيها وتتقابل سائر عناصر النظام، يقول دي سوسير: "ليس في اللغة إلا الاختلافات بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فوجود اختلاف ما يفترض بصورة عامة وجود عناصر إيجابية، أما في اللغة فإنك لا تجد إلا الاختلافات بدون وجود لعناصر إيجابية، فسواء اعتبرت الدل أو المدلول فإنك لن تجد في اللغة أفكارًا ولا أصواتا وجودها سابق لوجود النظام، إنما تجد فيها اختلافات متصوّرية وأخرى صوتية نابعة من النظام"[3]، وما يمكن الخلوص إليه أن اللغة نظام تحدد عناصره بعضها البعض.

مفهوم الملَكة:

لكل إنسان مَلَكة يمكن أن تطلق عليها اسم ملكة الكلام" المقطع" تقوم على أعضاء، وعلى ما يمكن أن نحصل عليه من عملها ويتعذر استعمالها مباشرة إلا إذا توفر للمرء شيء آخر هو اللغة، وهذه الملكة من جهة ثانية ليست كافية لوجود اللغة، إذ لا يتصور وجودها على مستوى الفرد،وقد ورد في بعض تفسيرات دي سوسير المخطوطة أن " الطبيعة تمدنا بإنسان فيه ما يمكنه من الكلام المقطع لكنه إنسان بدون كلام مقطع، فاللغة ظاهرة اجتماعية والفرد المهيأ للكلام المقطع لن

(1) محاضرات، ص125.

(2) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص104.

(3) دروس في اللسانيات العامة، ص183 .

يتمكن من استعمال جهاز إلا بواسطة المجموعة المحيطة به[1].

الشكل والمادة:

المادة الصوتية ليست أكثر ثبوتًا وصلابة، إذ ليس في المستوى الصوتي أيضا وحدات مضبوطة الحدواد بّينة المعالم محددة سلفًا ومن الخطأ أن نعتبر سلسلة من الأصوات في حد ذاتها قالبًا، بل هي مادة مبهمة إبهام الأفكار المجردة والدليل على ذلك أن المادة الصوتية لا تقطع بنفس الطريقة في جميع اللغات، وعن طريق اللغة تتشكل هاتان المادتان (الصوت والفكر) بطريقة يستحيل الفصل فيها بين هاتين المادتين، فمثلهما كمثل الموجات التي تحدث عن اتصال المواد بصفحة الماء والتي هي أمر خارجي متميز عن الماء والهواء، وبالتالي فإن الشكل الذي يقع حسبه التقطيع والتجزئة في مستوى الفكر والصوت هو اللغة[2] التي اعتبرها دي سوسير موضوعًا للدراسة اللسانية بمقولته الشهيرة: «دراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها».

۞ ۞ ۞

(1) دروس نص28-29 .

(2) دروس، ص172-181 .

ب - اللسانيات الوظيفية
حلقة براغ

النشأة والتحول:

التف حول "ماتيسيوس" مجموعة من الباحثين المثقفين فكريًا، وبدأوا يعقدون مؤتمرات للبحث اللساني المنظم بداية من العام 1926، معلنين عن ميلاد حلقة براغ اللسانية إلى أن تفرقوا عند قيام الحرب العالمية الثانية[1]، وقامت هذه الحلقة على الأصول النظرية التي أرسى دعائمها "دي سوسير"، كما اتخذت من تصور "بودوان دي كورتناي" [2] للفونيم نظرية كاملة للتحليل الفونولوجي، وهو العمل الذي اضطلع به عالمان من أكبر علماء هذه المدرسة هما: نيكولاي تروبتسكوي، ورومان جاكوبسون[3]، وكفل النجاح لهذا المشروع ما تمتعت به "براغ" من تقاليد راسخة في الفكر اللساني، ولم يستغرق تطور النشاط الخصب الذي قامت به المدرسة إلا قرابة عشر سنوات، غير أن أفكارها واصلت ازدهارها في " هارفرد" بالولايات المتحدة التي صارت – بحكم الظروف – وطنا لجاكوبسون [4]، وكان لمدرسة " براغ " الصدى الكبير في الأوساط اللسانية

---

(1) جيفري سامبسون، المدارس اللغوية، التطور والصراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، ص 106.

(2) بودوان دي كورتناي Baudoin de courtnay (1845 - 1929): لساني بولوني، رائد اللسانيات، يعدّ من مؤسسي علم الفونولوجيا، درس الأصوات المكونة للكلام من حيث وظيفتها في التواصل.

(3) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، ص 104.

(4) وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، المجلد 26، العدد 2، الكويت 1997، ص 232 - 233.

العالمية، ولدى عدد كبير من منظري ومثقفي العصر، من بينهم مؤسس اللسانيات الرسمية الفرنسية " أندريه مارتيه"[1]، وقامت طائفة من علماء اللغة في تشيكوسلوفاكيا بتكوين هذه الحلقة الدراسية، ضامة عددا كبيرا من الباحثين من أقطار مختلفة منها: روسيا، وهولندا، وألمانيا وأنجليترا، وفرنسا، وصاغوا جملة من المبادئ الهامة، وتقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة، الذي عقد في "لاهاي" سنة 1928، تحت عنوان: "النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية"، وفي العام التالي قدموا الجزء الأول من الدراسة الجمالية بعنوان "الأعمال"، وفي عام1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية أعدها " جاكوبسون "، وعقد في " براغ " مؤتمر الصوتيات، ثم تأكدت الحركة الصوتية على مستوى دولي بمجموعة من المؤتمرات اللاحقة وتبلورت في ثمانية أجزاء عن أعمال "حلقة براغ" تباعا حتى عام 1938 [2]، وهي السنة التي حُلّت فيها الحلقة لأسباب يبدوأنها كانت ذات طابع أيديولوجي[3]، وقد صقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا على يد" أندريه مارتينيه" و"إميل بانفنيست"[4] الفرنسيّين[5]، وطُوِّر اتجاه الحلقة حديثا إلى نظرية معقدة بواسطة الأمريكي "وليان لابوف"

---

(1) محمد نظيف، ما هي السيميولوجيا ؟، دار إفريقيا الشرق، الرباط، ط 1، 1994، ص 40.

(2) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (د.ت)، ص 118.

(3) محمد نظيف، ما هي السيميولوجيا ؟، ص 40.

(4) إميل بانفنيست Emile Benveniste (1902 – 1975): لساني فرنسي، اهتم بالنحو المقارن الهندوأوربي، واقترح نظرية الجذر الثلاثي (صامت، صائت، صامت)، ناقش نظرية دي سوسير حول اعتباطية الإشارة، من مؤلفاته: "مسائل في اللسانيات العامة".

(5) عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، ط 2، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1990، ص 41.

الذي اتفق مع لغوييها في النظر إلى البعد الاجتماعي بصورة جدية، وتم التوصل إلى تحطيم الفصل الصارم الذي أقامه "دي سوسير" بين التاريخية والوصفية [1].

وعنيت حلقة"براغ" بالبعد الوظيفي للغة ممثلا بكيفية استخدام اللغة من حيث هي وسيلة اتصال، يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة، ومن أهم مبادئها ما يلي:

أولاً ـ المبادئ الجمالية:

لعل الفيلسوف " جان موكاروفسكي " أهم من وضّح المبادئ الجمالية للمدرسة والتي تتلخص فيما يلي:

الفن وطبيعته السيميولوجية: يدعو هذا الناقد إلى ضرورة فهم علم الجمال البنيوي على أنه جزء من مذهب الرموز والعلامات (السيميولوجيا)، فلم يبق الأمر قاصرًا على الأدب، بل تعدى إلى دخول تحليلات اجتماعية ونفسية، وأصبح شاملاً لما يسمى بشخصية الفنان والبيئة الداخلية للعمل الفني معًا، دون إهمال لعلاقة الفن بالمجتمع، وقد نادى "موكاروفسكي" بضرورة دارسة الدلالة الرمزية للعلامة، ومنه فعلى علم الجمال أن يتناول الأعمال الفنية كمركز وبنية وقيمة في الوقت نفسه.

دور الفاعل في الفكر الوظيفي: يرى "موكاروفسكي" أن الفاعل الذي يظهر في جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يتجسد في شخص واقعي، ولا في شخصية المؤلف، وعليه فالبنيوية الجمالية تخلصت من وهم الفاعل المستقل، الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث، وقصرته على نطاق الوظائف التي يقوم بها، كما توضحها بداية العمل الفني نفسه.

[1] جيفري سامبسون، المدارس اللسانية، التطور والصراع، ص 131 - 133.

خواص الوظيفة الجمالية وعلاقتها بالوظائف الأخرى: يرفض فلاسفة "براغ" تبعية الفن للتطور الاجتماعي، رغم اعترافهم بالقوى الخارجية التي تمارس تأثيرًا على الأبنية الفنية، لأن هذا التأثير خاضع لعوامل جمالية منبثقة من الفن في حد ذاته، وهي التي لا تسمح بقيام علاقة سببية بين الفن والمجتمع، فالنظام الاجتماعي لا يُولّد بالضرورة شكلاً معينا من الإبداع الفني، وعليه يجب أن يُوضَع في الاعتبار قطاعان من الواقع، أولهما: واقع الرمز أو العلامة، وثانيهما: الواقع الذي يشير إليه هذا الرمز، واتحادهما هو الذي يمثل الفن في مدرسة براغ، ولذا حرصوا على استقلالية الرمز وقدرته التواصلية في حدود السياق الاجتماعي ومقتضياته السياسية والاقتصادية والفلسفية لبنية اجتماعية معينة.

مع أن الحلقة اشتهرت في ميدان اللسانيات بدراساتها الصوتية الدقيقة، إلا أنها اهتمت بلغة الشعر والأدب بصفة عامة، وامتدت إلى مجالات اجتماعية، وفلسفية، ونفسية، ومن أهم مكاسبها: دعوتها إلى تطوير فكرة تعدد الوظائف للوحدات البنيوية واعتمادها على بعض العناصر الرياضية في تحليلاتها، ولم تعد تقتصر على ما يُلاحظ في الواقع مباشرة، بل ركزت على العلاقات التجريدية النظرية وما يمكن أن تسفر عنه من علاقات فرضية [1].

ثانيًا ـ المبادئ اللسانية:

من أهم المبادئ اللسانية للمدرسة ما يلي:

- تصور المدرسة عملية التطور على أنها كسر لتوازن النظام القائم وإعادته مرة أخرى، فجاكوبسون يرى أن استغلال الفوارق الصوتية يؤدي إلى الوصول للقدرة التعبيرية للقول الانفعالي، وأن للطاقة التعبيرية للأصوات دورًا مهمًا في إدخال

[1] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 124 - 128.

تعديلات مهمة على الكلمات والأنظمة السياقية والموسيقية.

- تتصور المدرسة أن البنيوية اللسانية كل شامل، تنتظمه مستويات محددة.
- ترى أن العناصر اللسانية والعلاقات القائمة بينها متعايشة ومترابطة، ولا يمكن فصلها.
- ترى أن اللسانيات البنيوية تتصور الواقع على أنه نظام سيميولوجي رمزي، وتميز بين إجراءين مختلفين، **أولهما**: التقاط العناصر الواقعية المحددة والذهنية المجردة، وإمكانية التعبير عنها من طرف المتحدث بكلمات من اللغة التي يستخدمها، **وثانيهما**: وضع العلاقة المختارة التي تشكل كُلاً عضويًا (الجملة)، ويمكن أن تقوم الكلمة مكان الجملة للتعبير عن الهدف نفسه.
- دعت المدرسة إلى ضرورة بحث المعالم البنيوية لدلالة الكلمات المعجمية، ورأت أن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة وإنما هو نظام تتناسق في داخله هذه الكلمات وتتعارض فيما بينها[1].

ورغم وجود التباين بين المنهجين التاريخي والوصفي، إلا أنهما يتفقان على أن اللغة يجب أن تدرس باعتبارها نظاما تتحرك به الألسنة بطريقة معينة، لتتمكن من التواصل، إلا أن أعضاء مدرسة "براغ" يرون أن المنهج التاريخي لا يجدي نفعا في هذا المجال، لأنه يقتصر على عرض تطور اللغة وتغير عناصرها عبر التاريخ ولا يمدنا بما تفهم به نظامها، ويعتبرون اللغة نظاما لا يمكن الفصل بين عناصره انطلاقا من مبدأ "دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها"، وعليه فإن منهجهم ينطلق من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يهدف إلى تحقيق التواصل والتعبير، الذي

(1) المرجع نفسه، ص 111 - 113.

يقتضي أن تحمل العناصر اللسانية شحنة إعلامية [1].

وإذا كان التحليل الوصفي للوقائع الحالية التي تقدم بيانات كاملة عن هذه اللغة أفضل طريقة لمعرفة جوهرها وخواصها المميزة، فإنه ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار تصور اللغة كنظام وظيفي عند دراسة حالات لغوية ماضية، وعليه فالدراسة التاريخية «لا يمكن أن تهمل فكرتي النظام والوظيفة، كما أن الوصف لا يمكن أن يلغي فكرة التطور، إذن لا يمكن الفصل بين المنهجين التاريخي والوصفي»[2].

ثالثا- برنامجها:

يعد برنامج" مدرسة براغ" إسهامًا في لون جديد يتصل بأهداف النظرية اللسانية، وقد وجّه أنظار اللسانيين إلى ميادين من البحث اللساني لم تظهر إلا في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين، ويتمثل فيما يلي:

أ) التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في الاتصال (كيفيته، ومناسبته، ولمن يُوَّجه)، لأن اللغة — بالدرجة الأولى- نظام للاتصال والتعبير من أجل الرقي والتفاهم المشترك.

ب) اللغة حقيقة واقعية ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية، بعضها يتعلق بالسامع، والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام، وهكذا يكون من الضروري التمييز على المستوى النظري والعلمي بين لغة الثقافة بصفة عامة، ولغة الأعمال الأدبية، والمجلات العلمية والصحف، ولغة الشارع.

ج) على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين البنية اللسانية والأفكار

(1) عبد القادر المهيري، أهم المدارس اللسانية، ص 39 - 40.

(2) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 118.

والعواطف، التي توصلها هذه البنية، لأن اللغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية والنفسية للشخصية الإنسانية.

د) اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، فلكل منها خصائصها المميزة، ومن ثمة فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.

هـ) يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة التقابلات الفونيمية، ولا ينبغي فصل الظاهرة المورفولوجية عن الظاهرة الفونولوجية [1].

و) إعطاء الأولوية للبحث الوصفي لما له من تأثير على الواقع اللساني الفعلي، دون استبعاد الدراسة التاريخية، لأن النظام اللساني الكامل لا بد أن يكون تاريخيًا في ضوء الوصفية.

ز) المنهج المقارن في اللغة يجب أن يتخلص من محدودية الملاحظة، وعليه يُمَكِّن الباحثين من بناء أنماط مميزة للغات [2].

رابعًا أعلامها:

من أعلامها: ف. ماتيسيوس (V. Mathesius) 1882 - 1945، وب. ترنكا (B. Trinka)، وب. هافرانيك (B. Havranek) وي. موكاروفسكي (Y. Mukarovsky) الذي كان منظرًا في مجال الدرس الأدبي [3]، إضافة إلى العالمين الفرنسيين: أندريه مارتينيه (A. Martinet) وإيمل بانفنست (E. Benveniste) 1902 - 1972.

وسنقصر الحديث على الأعلام الثلاثة: تروبتسكوي وجاكوبسون ومارتينيه، لما قدمه هؤلاء من جهود مهمة للبحث اللساني البراغي، بخاصة في مجال الفونولوجيا.

(1) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 111 - 112.

(2) وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، ص 221.

(3) المرجع السابق، ص 232.

أولًا تروبتسكوي نيكولاي سيرجيفيتش *Troubestkoy N. Sergeievitch*

1. حياته:

تروبتسكوي عالم لساني روسي ولد سنة 1890 بموسكو وتوفي سنة 1938 بفيينا وهو من عائلة عريقة تنتمي إلى أمراء روسيا، تولى والده منصب عميد جامعة موسكو، انكب على الدراسات اللغوية منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره [1]. وكان طالبًا في قسم اللغة الهندو أوروبية في الجامعة التي كان يديرها والده، وأصبح في سنة 1916 عضوا في هيئة التدريس، فر إلى إقليم «روستوف» على نهر الدون –بعد قيام الثورة– أين حصل على منصب في الجامعة الإقليمية، وبعدها فَرّ إلى أسطنبول سنة 1919، ثم انتقل إلى فيينا سنة 1922، حيث درس فقه اللغة السلافية، وأصبح عضوا في "مدرسة براغ"[2].

يعد تروبتسكوي مؤسس علم الفونولوجيا، ففي مؤتمر اللسانيات العالمي الأول الذي عقد بمدينة (لاهاي) سنة 1928، تقدم بالاشتراك مع جاكوبسون وكارسفسكي ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية، نشأت حوله مدرسة براغ اللسانية، وأصدر سنة 1939 كتابه "مبادئ الفونولوجيا" الذي ترجم إلى الفرنسية سنة 1949 تحت عنوان: Principes de phonologie[3]، تندرج أفكاره في إطار المفهوم الوظيفي الذي نادت به مدرسة براغ، والذي ينظر للغة على أنها تنظيم وظيفي قائم على وسائط تعبيرية، مستعملة بهدف إقرار غاية معينة، لذا شملت دراسته كل المستويات اللسانية (الفونولوجية والصرفية والمعجمية)[4].

(1) ميشال زكريا، الألسنية، علم اللغة الحديث، ص 235 - 236.

(2) جيفري سامبسون، المدارس اللغوية، التطور والصراع، ص 110.

(3) المرجع السابق، ص 236.

(4) فاطمة البطال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، دراسة ونصوص، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 278.

2. جهوده:

يعد "تروبتسكوي" المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي، ويرى أن الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس، وانتهى إلى جملة من القواعد تتعلق بهذا المفهوم منها:

1) إذا كان هناك صوتين من اللسان نفسه والإطار نفسه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل: قال وقال فاختلاف القاف والقاف لا يؤدي إلى تغير المعنى.

2) إذا كان الصوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صورتان واقعتان لفونيمين مختلفين مثل: حال، جال، فالحاء والجيم فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما، وهما قادران على تغيير الدلالة.

3) إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران في الإطار الصوتي نفسه، فهما تركيبان لفونيم واحد، مثل صوت النون في العربية التي تتعدد صورها بتعدد الأصوات الموالية لها [1].

ويرى "تروبتسكو" أن الفونيم عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات، وأشكالها، والأنماط الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات، ومنه فكل فونيم يؤدي وظيفتين:

أ) وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

ب) وظيفة سلبية: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى.

ومثال ذلك فونيم النون (ن) يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة نام،

---

(1) أحمد حسان، مباحث في اللسانيات، ص 91 - 92.

لتحديد معناها ومدلولها، وهي الوظيفة الإيجابية، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة نام مختلفة عن كلمات مثل: قام، صام، حام.

وتظهر الوظيفة الإيجابية (الأساسية) بشكل جَليٍّ – أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بآخر – في تغير المعنى، مثلاً: استبدال فونيم الصاد في كلمة صام بالقاف فتصبح الكلمة قام، فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة، قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها بفونيمات أخرى وبترتيبها وموقعها في بنية الكلمة، وهو ما يشبه فكرة التقاليب والتباديل في الاشتقاق الأكبر في العربية [1].

ج- الوظيفة التمييزية للفونيم (القيمة الخلافية):

يرى "تروبتسكوي" أن الوظيفة التمييزية هي الوظيفة الأساسية للوحدات الفونولوجية، ويعرف الفونيم من حيث وظيفته اللسانية على أنه: أصغر وحدة يمكنها أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين، ويفترض هذا الاختلاف وجود تضاد بين الوحدات المميزة، إذ أنه ليس بإمكان أي فونيم تأدية وظيفة تمييزية إلا إذا كان مضادًا لفونيم آخر، مثل كلمة: تاب، ناب، فوجود تضاد صوتي بين الفونيمين التاء والنون، ميَّز بين التاء والنون وميز بين دلالة الكلمتين، وعليه ركَّز على أن مفهوم الفونيم يأتي من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي [2]، فالوظيفة التمييزية هي أساس التحليل الفونيمي بين الوحدات المفيدة [3].

إثر هذا الجهد حاز "تروبتسكوي "شرف المؤسس الأول للفونولوجيا، وقاده إلمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط واستخلاص ملاحظاته الهامة الأولى، على

---

(1) حلمي خليل، مقدمة لدراسة اللغة، ص 227 - 228.

(2) ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، ص 237 - 238.

(3) عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، ص 45.

النظم الصوتية، ووصف منهجه في تحليل اللغة بأنه علم جديد وسماه Phonologie، وقد كان هذا التحليل الفونولوجي رائدًا في مجال الدراسات البنيوية المنهجية، من حيث دقته وصرامته ونتائجه حتى راحت تحتذيه باقي الدراسات اللسانية الأخرى [1]. فقد حدث على يده تحول الدرس الفونولوجي من الجزئيات المعزولة إلى النظام والبيئة التي ينبغي الانطلاق منها، ثم بحث هذه الجزئيات من خلال علاقاتها المختلفة [2].

3 ـ آثاره:

أشهر أثر لساني خلفه «تروبتسكوي» "كتاب" مبادئ الفونولوجيا "الذي نشرته جماعة "براغ"بعد وفاته بسنة، لأنه خلّفه غير كامل في صورته التي رسمها له، وقد بدأ أبحاثه من حيث انتهى "دي سوسير"، وأقام تصوّره للفونيم على أساس التفرقة التي وضعها هذا الأخير بين اللغة والكلام حيث ينتمي الفونيم إلى مفهوم اللغة بالمعنى السوسيري، أما الأصوات فتنتمي إلى الكلام، وعليه فرق "تروبتسكوي" بين علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا ورأى أن **الأول**: هو العلم الذي يحلل ويصف أصوات اللغة، وهي في حالة التجريد، وهي مستقلة عن غيرها، ومعزولة عن البنية اللغوية، بغض النظر عن دورها في المعنى، **والثاني**: هو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية انطلاقا من وظيفتها داخل البنية اللسانية، **ومثال ذلك قولنا**: النون صامت، مجهور، سني، أغن، نكون قد وصفناه على أنه وحدة صوتية معزولة عن غيرها من الأصوات، وهو ما يهتم به علم الأصوات؛ بينما علم الأصوات الوظيفي Phonologie يهتم بتنوعات الصوت

(1) وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، ص 233 - 234.

(2) حلمي خليل، مبادئ اللسانيات، ط 1، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1996، ص 95 - 96.

حسب السياق، فالنون مثلا في كلمة (نمر) من الناحية الصوتية والتكوين النطقي الفيزيولوجي تختلف عن النون في كلمة (منك) و(عنك)... إلخ [1]

واسس التحليل الفونولوجي عند "تروبتسكوي" هي:

1) الفونيم phonème أصغر وحدة فونولوجية، وهو علامة لسانية مهمتها حمل معنى الكلمة.

2) ينبغي التمييز بين الوحدة اللسانية غير المتغيرة (الفونيم) وتحقيقات الصوت الفعلية والمتنوعة. **(R. Jakobson) 1896 - 1983**، وس. كارسيفسكي **(S. Karcevsky) 1884-1955**، وتروبتسكوي **(A. Troubetskoy) 1890 - 1945**، بالإضافة إلى:

3) الفونيمات المنتمية إلى لغة واحدة، متضادة فيما بينها، ويتم التعبير عنها بواسطة عناصر الحركات والصوامت والإيقاع.

4) تودي التقلبات الثنائية دورًا جوهريًا، تظهر في سلسلة من المكونات المتوازية، ويؤدي أحد طرفي التقابل وظيفة الطرف الموسوم، الذي يدخل في تميز بالضد مع الطرف غير الموسوم [2]. حدد " تروبتسكوي" بدقة متناهية "الفونيم"، وقد كان لتمييزه بين الفونولوجيا والفونيتيك الأثر الكبير في تطوير النظرية البنيوية.

ثانيا ـ جاكوبسون رومان *Jakobson , Roman*

ولد "جاكوبسون " بموسكو عام 1896 من عائلة يهودية روسية برجوازية، تمتع والده بثقافة متنوعة، مما انعكس على شخصية جاكوبسون، فقد كان مولعًا بالمطالعة منذ الصغر، فأتقن اللغة الفرنسية وتعلم الألمانية واللاتينية، كما اهتم

(1) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 105.

(2) وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، ص 234.

بالشعر، وقرأ لكبار الشعراء الروس خاصة، حتى أنه حلل شعر: "مالارميه" وهو في سن الثانية عشر، ونظم الشعر وهو في الخامسة عشر، واهتم بالفولكلور وهو ابن السادسة عشر، وهكذا بدأ بتكوين شخصيته المتميزة وعالمه الخاص[1]، وتخصص "جاكوبسون" في جامعة موسكو في مجال القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية، كما اهتم بالعلاقة بين اللغة والأدب وبدروس "دي سوسير" وشارك في إنشاء مدرسة "براغ" اللسانية عام 1915، ويعد من أوائل اللسانيين في تناول التحليل البنيوي للأشكال الأدبية، ودراسة النص الأدبي لذاته بمعزل عن صاحبه.

وفي عام 1920 توجه إلى تشيكوسلوفاكيا، عندما شارك في تأسيس نادي براغ، وأصدر عام 1921 دراسة تناولت الشعر الروسي الحديث، وفي سنة 1928 وضع مع "تروبتسكوي" و"كارسيفسكي" النظريات اللسانية التي اعتمدتها مدرسة براغ، وفي عام 1938 شغل منصب نائب الرئيس لهذه المدرسة. وفي سنة 1942 انتقل إلى الدنمارك والنرويج، ثم الولايات المتحدة حيث درس في معهد الدروس العليا في النيويورك إلى غاية سنة 1946 ثم في جامعة كولومبيا إلى غاية سنة 1949 و"هارفرد" إلى غاية 1957، وقد وجد "جاكوبسون " المجال الخصب للبحث اللساني في الولايات المتحدة الأمريكية[2].

تأثر "جاكوبسون"بعدد كبير من العلماء، منهم: بوغدانوف (Bogdanof) أستاذ اللغة الروسية والفولكلور الروسي، والكسندر بلوك (Block)، وكليبنيكوف (Khlebnikov)، وتأثر في دراسته بـــ دي سوسير (De Saussure)، وبيكاسو (Picasso)، وجويس (Joyce) وسترافنيكي (Stavinski)، وبراك (Braque).

(1) فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 17 - 19.

(2) ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 163 - 164.

كان لقاء جاكوبسون في الولايات المتحدة الأمريكية ببعض تلاميذ فرويد وبعض العلماء البارزين، أمثال تشومسكي (Chomsky)، وهال (Hall) ولفي ستراوس (Levi Strauss) الأثر الكبير في تطوير اللسانية الحديثة، إضافة إلى تعرّفه على علماء في الرياضيات والفيزياء وعلماء الأعصاب، فكان وسيطا بين العلوم الدقيقة والعلوم اللسانية الحديثة[1].

وقد ساعد "جاكوبسون" الظروف التي أحيط بها منذ طفولته وكذلك أسفاره ومقابلاته الكثيرة، على إغناء دراسته وتعميقها وتنويعها، لاسيما أنه يتمتع بذاكرة قوية. وتوفي "جاكوبسون" سنة 1983 بعد أن أمضى حياته في العمل الدائب والبحث المستمر والدراسة الجادة.

أ- جاكوبسون والفونولوجيا:

يعد جاكوبسون من مؤسسي " الفونولوجيا " في مدرسة براغ، ولولا ديناميكيته الفعالة لما استطاعت أن تحقق ذلك النجاح الكبير، ولاستغرقت وقتا طويلا لتفرض نفسها خارج براغ، ففي كتابه "مبادئ اللسانيات العامة " أعطى أهمية لدراسة الخصائص المشتركة بين الأنظمة اللسانية في المجال الفونولوجي، بعد ملاحظة الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها، ثم ضبطها وفق التضاد القائم بينهما على المستويين السمعي والنطقي[2]، التي هدته إلى فكرة "الملامح المميزة" التي يقصد بها مجموعة الخصائص الصوتية التي تميز فونيمًا عن آخر، وعليه فمفهوم الفونيم عنده هو مجموعة من الملامح المميزة التي تُتبع من الخصائص النطقية والسمعية، وتحدد كل صوت من أصوات اللغة، مثل موضع النطق وصفته.

ونظرا لدقة الملامح المميزة لكل فونيم والحاجة الماسة إلى تحديدها الدقيق، لجأ جاكوبسون إلى الاستعانة بالآلات وإدخال الأجهزة في الدراسة الصوتية، ونتج

(1) فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 16 - 22.

(2) سامي عياد حنا، معجم اللسانيات الحديثة،إنجليزي –عربي،مكتبة لبنان ناشرون،ص41.

عن ذلك تطور هذه الدراسة التي أصبحت تعرف بـــ علم الأصوات التجريبي أو الآلي (La phonétique instrumentale)، وعليها بنى نظريته الفونولوجية على مبدأ الازدواجية أو الثنائية (binarisme)، التي تحدث نتيجة لتقلبات صوتية معينة إذا وجدت فالوحدة الصوتية معلمة، وإذا غابت فهي غير معلمة، وحاول جاكوبسون تطبيق فكرة الملامح المميزة في التحليل المورفولوجي، فقد وضع نظامًا مورفولوجيا من خلال دراسته لنظام الفعل في اللغة الروسية [1]، ولكن جهوده في المورفولوجيا لا تقارن بجهوده في ميدان الفونولوجيا [2].

أعطى جاكوبسون الأولوية للدراسات التاريخية، وذلك عكس "دي سوسير" الذي أولى الاهتمام لدراسة التنظيم الفونولوجي الحالي للغة، وحاول أن يدرس هدف التغير الطارئ على الفونيمات عبر المسار التاريخي للغة، أكثر من محاولة فهم أسبابه ومصادره، فتوصل إلى وضع تنظيم فونولوجي كلي يحتوي على اثنتي عشرة سمة ثنائية سمعية صالحة لوصف النظام الفونولوجي في كل اللغات الإنسانية، فهذه السمات كلية، تختار اللغة على إثرها نظامها الفونولوجي، وتأخذ هذه السمات شكل (+) مثلا (+صوت)، وهذه السمات هي المتضادات التالية:

(مجهور/مهموس)، (غليظ/حاد)، (رخو/شديد)، (مزيد/غير مزيد)، (شفهي/غني)، (متكثف/ منفلش)، (صائت/ صائب).

وقد تبنت المدرسة التوليدية التحويلية لمؤسسها نوام تشومشكي مبادئ جاكوبسون الفونولوجية [3].

---

(1) المورفيم المعلم: هو الذي يتحقق معه ظهور ملمح معين من ملامح المعنى الذي يحدد بدوره نوعه وحدود استعماله، في مقابل المورفيم غير المعلم، الذي يتحدد بغياب نفس الملمح الدلالي.

(2) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 109 - 110.

(3) ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 167 - 168.

ب ـ وظائف اللغة عند جاكوبسون:

يرى "جاكوبسون" أن اللغة وسيلة للتواصل الإنساني، الذي لا يتحقق إلا بتوفر العناصر التالية:

- **المرسل:** يقوم بأداء الرسالة.
- **المرسل إليه (المتلقي):** يستقبل الرسالة.
- **إقامة الاتصال** بين المرسل والمتلقي: كي ينجح هذا الاتصال لا بد من وحدة التجربة بينهما، وذلك وفق قناة التحويل التي تحقق الاتصال وتبقيه قائمًا.
- **لغة مشتركة** يتكلمها المرسل والمتلقي معًا: وهو ما يساعد ويسهل عملية التواصل.
- **رسالة لغوية:** وهي ظرف للمحتوى الكلامي، الذي تشير إليه، ويفهمه المتلقي في الوقت نفسه.
- **محتوى لغوي** ترمز إليه الرسالة: وتشكله اللغة المشتركة بين المرسل والمتلقي[1]" ونستطيع تمثيل هذه العناصر اللازمة لتحقيق عملية التواصل كما يلي:

إن كل عنصر من هذه العناصر يولد وظيفة لسانية مختلفة، وعليه ميز "جاكوبسون " بين ست وظائف للغة، هي:

الوظيفة التعبيرية (الانفعالية) *Fonction émotive*

وهي التي تحدد العلاقة بين المرسل والرسالة، وموقفه منها؛ لأن الرسالة تعبر عن مرسلها وتعكس حالتها، إضافة إلى ما تحمله من أفكار تتعلق بشيء ما (المرجع)، الذي يعبر المرسل عن مشاعره تجاهه.

---

(1) المرجع السابق، ص 171 - 172.

الوظيفة الندائية (الانتباهية) Fonction conative:

توجد في الجمل التي ينادي بها المرسل المتلقي، لإثارة انتباهه، أو لطلب القيام بعمل ما، وتدخل الجملة الأمرية ضمن هذه الوظيفة.

وظيفة إقامة اتصال Fonction phatique:

وذلك حين يحاول المرسل إبقاء الاتصال مع المتلقي، عن طريق ألفاظ بسيطة لا تحمل أفكارا مثل: "ألو"، و"هاه"، والعبارة الشكسبيرية "أعرني أذنك".

وظيفة ما وراء اللغة (المعجمية) Fonction métalinguistique:

تظهر هذه الوظيفة في الرسائل التي تكون فيها اللغة مادة للدراسة فتعمل على وصف اللغة، وذكر عناصرها وتعريف مفرداتها على أنها وظيفة كلام اللغة عن اللغة نفسها.

الوظيفة المرجعية Fonction réferentielle:

هي أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل ذاتها، وتسمى أيضا (تعيينية) أو (تعريفية)، وتعتبر العمل الرئيسي للعديد من الرسائل، تتجه في العملية للمرجع أو الموضوع.

الوظيفة الشعرية (الإنشائية والأدبية) Fonction poétique:

هي إحدى الوظائف الأساسية للغة، لما تدخله من ديناميكية في حياتها، وبدونها تصبح اللغة ميتة وسكونية، وهي موجودة في كل أنواع الكلام، وتتحقق حينما تكون الرسالة معدة لذاتها، كما في النصوص الفنية اللغوية، مثل القصائد الشعرية، وهي ليست الوظيفة في الشعر، بل هي المهيمنة فيه، إن هيمنة إحدى هذه الوظائف (انفعالية، ندائية، تواصلية، ما ورائية، مرجعية، شعرية) لا تنفي وجود الوظائف الأخرى، بل تحدد نوع الرسالة ويمكننا تمثيل هذه الوظائف بالرسم البياني:

مرجعية

انفعالية ——— ◄ شعرية ◄——— ندائية [1]

إقامة اتصال

ما وراء اللغة

ج- اهتمامات أخرى لـ "جاكوبسون":

كان جاكوبسون من أعضاء جمعية "أبوجاز" (OPOJAZ)، التي تهتم بدراسة اللغة الشعرية، واهتم بالدراسات الخاصة بعلم الأجناس السلافية، والفنون الشعبية، وكان شديد التطلع للحركة العلمية المنبعثة من أوروبا الغربية، خاصة في مجال الدراسات اللغوية والفلسفية [2]، وأولى اهتماما بقضايا الشعر، ويظهر ذلك في بحثه الموسوم بـــ "عن الشعر" عام 1933 ويرى أن لغة الشعر تمثل بنية وظيفية، لا تفهم عناصرها خارج نظامها المتكامل [3].

وكان جاكوبسون من أوائل المهتمين بنظرية الحقول الدلالية فركز على المكونات الداخلية في العلاقات المجازية، وبين أن تشبيه (الشجاع) بالأسد، و(الأبله) بالحمار و(الرجل السياسي) بالثعلب، إنما هو من قبيل التشابه الموجود بين المكونات للمفردات اللسانية، لأن الحقل الدلالي للأسد يحتوي على الوحدة المعنوية الصغرى "شجاعة"، والحقل الدلالي للحمار على "بلاهة"، والحقل الدلالي للثعلب على "مكر"[4].

---

[1] تسمى الوظيفة الندائية (التروعية)، ووظيفة إقامة الاتصال (توكيدية)، والوظيفة المرجعية (الإدراكية)، انظر دليلة مرسلي، مدخل إلى التحليل البنيوي، ص 21 - 22.

[2] فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 66 - 67، 74 - 75.

[3] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 221.

[4] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 308.

وخصص "جاكوبسون" سلسلة من أعماله للغة الأطفال والحبسة اللسانية (Aphasie).

وخلاصة القول أن "جاكوبسون" لعب دورًا هامًا في مجال اللسانيات الحديثة خاصةً، والفكر البشري عامةً، فكانت أراءه الشرارة الأولى والدعامة الأساسية لجانب كبير من الدراسات الإنسانية المعاصرة، وكان تأثيره كبيرًا في ميادين عديدة من العلوم الإنسانية وكان القسط الأكبر من تفكيره موجهًا للنظرية اللسانية[1].

لقد تحول جاكوبسون في أعين البعض إلى شخصية أسطورية لعمق الشخصيات الأساسية فيها، وهم الثلاثة الروس المهاجرون: ولرومان جاكوسون تأثيره في الفكر اللساني الحديث، حتى أن بعض الباحثين يلخصون تاريخ نشأة البنوية وتشكلاتها المختلفة في شخصيته، ومغامراته العلمية، منذ مطلع شبابه في "موسكو" حتى تخرج على يده أجيال من الباحثين في أوروبا وأمريكا، فأصبح الحجة الأولى والمرجع الأخير في اللسانيات الحديثة.

مؤلفاته:

كان للاطلاع الواسع الذي سمح لــ جاكوبسون خلال عمره المديد، والسفر المتواصل، أكبر الأثر في مضمون مؤلفاته، ودراساته، فقد كان غنيًا في علمه، متشبعًا في معارفه، غزيرًا في إنتاجه، موسوعيًا في معلوماته، وزاد ما كتبه على أربع مئة وأربعة وسبعين عنوانًا منها ثلاث مئة وأربعة وسبعون كتابًا ومقالاً، فضلاً عن مئة من النصوص المختلفة في موضوعاتها، ومن أبرز مؤلفاته ما يلي:

1) مقالات في اللسانيات العامة سنة 1963 جمع فيه مقالات في المجال اللساني.

(1) فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 145.

2) مبادئ الفونولوجيا التاريخية سنة 1931، تناول فيه تطور الأصوات اللغوية.
3) تحليل فونولوجي للغة الروسية الحديثة، سنة 1934 درس فيه اللغة من الناحية الصوتية.
4) المفخمة: الفونيمات المفخمة في اللغة العربية، سنة 1957 مقال تناول فيه قضايا صوتية عامة.
5) المظاهر اللسانية في حقل الترجمة، سنة 1966.
6) مسائل الشعرية، سنة 1973 مجموعة مقالات، 29 دراسة متنوعة.
7) تأثير الكليات اللغوية في اللسانيات، سنة 1963. مقال يتناول السمات اللسانية الكلية.
8) الحبسة وأمراض الكلام [1].

وقد دارت دراساته حول أربعة مجالات هي:

1) الفونولوجيا.
2) نمو الطفل اللغوي وأمراض الكلام.
3) الوظيفة الشعرية أو الإنشائية.
4) منهجية تحليل النصوص [2].

ثالثًا ـ أندريه مارتينيه:

ولد "مارتينيه" سنة 1908 في مقاطعة السافوا بفرنسا [3]، واختص باللغة الإنجليزية ثم اللسانيات العامة، ودرس في الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة

(1) ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 164 - 165.
(2) المرجع نفسه، ص 166.
(3) ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، ص 252.

"كولومبيا" حيث تأثر باللساني "بلومفيلد" مؤسس المدرسة التوزيعية.

يعد "مارتينيه" من أعلام الفونولوجيا، وشارك في أعمال مدرسة "براغ" اللسانية، قبل أن يدرس في جامعة الدانمراك وبعدها في جامعة كولومبيا، وشغل سنة 1984 منصب مدير المجلة اللسانية النيويوركية "الكلمة"، وفي سنة 1960 شغل منصب أستاذ في السربون ومنصب مدير الدراسات اللسانية في معهد الدراسات العليا بباريس [1]، واعتمد "مارتينيه" في دراسة الأصوات الوظيفية على مبادئ مدرسة "براغ"، فتطورت على يده اللسانيات في أوربا بصفة عامة، وفي فرنسا بصفة خاصة، وقد ركز على الوظيفة في اللغة أثناء عملية التبليغ والتواصل.

أما آراؤه اللسانية فيمكن إجمالها فيما يلي:

أ- وظيفة اللغة *la fonction de la langue*:

يعد "مارتينيه" الوظيفة التواصلية الوظيفة الأساسية للغة في المجتمع اللغوي، وهذه الوظيفة تؤديها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية، رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغويّ إلى آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقية الوظائف التي تؤديها اللغة، بل يُقِرُّ بها ويعتبرها ثانوية، كما يرى أن اللغة ليست نسخًا للأشياء ونقلاً آليًا لها، بل هي بنىً منظمة ومتراصة ومتكاملة يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية فتعلُّم لغةٍ أجنبية مثلاً، لا يعني وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة، وإنما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة بالتعرف على بنى لغوية تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللغة الأم [2].

---

[1] فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 270.

[2] ميشال زكريا، الألسنية، ص 253 - 254.

ب- التقطيع المزدوج *la double articulation*:

هذا التقطيع يظهر في ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره ورغباته الذاتية واهتماماته الشخصية التي تمثل تجربة في جوهرها يسعى لإيصالها للغير، ويكون ذلك إما بصيحة فرح أو صرخة ألم، وإما بحركة دالة، وهذا السلوك لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي؛ لذلك تفكك التجربة الإنسانية التي تيسرت صياغتها في اللغة إلى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم إلى عدد من الوحدات الصوتية [1].

يعتبر التقطيع المزدوج أساس نظرية "مارتينيه"، الذي يرى أن اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية، لكونه مزدوج التقطيع، أي أن الأقوال اللسانية تتكون من مستويين مختلفين هما:

مستوى التقطيع الأول [2]:

وفيه نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي (المدلول) وصوت ملفوظ (دال)، وتسمى هذه الوحدات مونيمات **monèmes**، مثال:

راجعـــ/ت در / ســـي

نلاحظ أن هذا المثال يحتوي على أربع مونيمات متتابعة، ويسمى معنى كل لفظة مدلولاً، وصيغتها الصوتية دالاً، وهي وحدات صغيرة يستحيل تحليلها إلى وحدات دالة أصغر منها، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى ضمن قائمة مفتوحة، مثل كتبت درسي، قرأت قصتي، .....إلخ.

---

[1] رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، الجمهورية العربية السورية، 1980، ص 82.

[2] يعرف مارتينيه التقطيع الأول في كتابه **éléments de linguistique générale** بقوله:
La première articulation: l'énoncé s'articule linéairement en unités douées de sens (unités significatives: phrases , syntagmes , mots).

و يمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات دنيا – أيضا – مجردة من كل دلالة ولكنها مميزة

تسمى بالفونيمات وهي محصورة في كل لسان [1]، مثال:

كتب عمر درسه.

نزل القرآن بلسان عربي

تقطع (كتب) إلى ست وحدات مميزة أي ستة فونيمات: ك/ ـَ/ت/ ـَ/ب/ ـَ

وكذلك (نزل): ن/ ـَ/ ز / ـَ/ ل / ـَ/.

انطلاقا من هذا يكون التقطيع المزدوج قانونًا أساسيًا من قوانين اللغة البشرية[2].

ج ـ المبادئ الوظيفية للدراسة اللسانية:

يحصرها " مارتينيه " في ما يلي:

الصلات القائمة بين الوحدات اللسانية:

يدرس التركيب اللساني الوظيفي العلاقات بين المونيمات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التراكيب وتتحدد وظيفة كل مونيم داخل الجملة انطلاقا من هذه العلاقات.

رتبة الوحدات اللسانية:

إن دراسة علاقة المونيمات في ما بينها وحدها لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها وانتظامها داخل تركيب وفق ترتيب معين، فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية.

---

[1] سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات الميسرة، ص 74.

[2] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 113.

محتوى الوحدات اللسانية:

يركز " مارتينيه " على المحتوى الدلالي للمونيم الذي يكسبه دلالة خاصة ومستقلة عن غيره، تجعله يؤدي وظيفة مميزة داخل التركيب.

مفهوم الملائمة:

تعتبر الملاحظة الموضوعية للمعطيات أساس كل علم، وهذه المعطيات متشابكة ومعقدة، لذا يجب التركيز على مظهر الموضوع، وعلى اللساني أيضا أن يتقصى السمات الخاصة والملائمة للموضوع الذي يسعى لدراسته، فاللغة كباقي العلوم لها سمات ملائمة أو مناسبة لتحليلها، (فالأعداد مثلا: هي السمات المناسبة في علم الحساب، والأشكال هي السمات التي يجب التركيز عليها في علم الهندسة)، وهذه الطريقة تحدد مستويات الدراسة بدقة ووضوح.

الاقتصاد اللغوي:

تطور اللغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجية أهمها: اتصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرئيسية الذي يساعد على تطور اللغة.

ويشير "مارتينه" هنا إلى أن هذه الأسباب الخارجية يكمن تأثيرها في اندراجها في إطار بنية اللغة، كما أنه يركز على وجوب المحافظة على التفاهم والاتصال الذي يضمن للغة البقاء والتطور [1].

الدراسة التركيبية *Syntaxe*:

استطاع "مارتينيه" أن يطور التحليل التركيبيّ للجملة، انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية، فوضع الخطوط الأولية لهذا التحليل الذي يقوم

---

[1] ميشال زكريا، الألسنية، ص 255 - 257.

على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب وطرق ترتيبها[1].

ومن الملاحظ أن التحليل التركيبي في اللسانيات قد تخلى –بصفة عامة– عن مصطلح (كلمة) لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم، ولأنه يطلق على وحدات صغيرة ليتم معنى كلمة مثل: من، على، هل...ويطلق أيضا على وحدات ليست صغيرة، وتتكون من عناصر لكل واحد منها وظيفته مثل: خرج، اخرج، فكلاهما تتضمن الحروف الدالة على الخروج، واخرج تتضمن زيادة على ذلك الصيغة الدالة على الأمر الموجه للمخاطب المفرد المذكر، لهذا كان من الضروري توخي مصطلحات أكثر دقة، تفي بمفهوم الوحدة الصغيرة، وقد اصطلحت النظرية الوظيفية على هذا المفهوم بالمونيم monème [2].

ويرى مارتينيه أن العلاقة التي تربط المونيمات في النظام اللساني تتجلى في حالات، هي:

اللفظة المستقلة *le monème autonome*

هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها، وتتمثل في الظروف مثل: اليوم، غدًا، أحيانًا،... والعلاقة التي تربط هذه الوحدات بغيرها من الألفاظ قائمة على أساس دلالتها الذاتية، لا باعتبار موقعها في التركيب، أو تقيدها بترتيب مثل:

كَرُمَ الأديب أمس.

فلفظة "أمس" يمكن أن تظهر في مواقع مختلفة، إذ يمكن القول أيضا:

أمس كَرُمَ الأديب.

وكَرُمَ أمس الأديب.

(1) أحمد حسان، مباحث في اللسانيات، ص 113.

(2) وهناك مصطلحات أخرى للفظة المونيم، منها الترجمة التونسية (اللفظم).

اللفظة الوظيفية *le monème fonctionnel*:

لا وظيفة لها في حد ذاتها، بل تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى، كما يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق اللساني الذي ترد فيه مثل: حروف الجر، وأدوات النصب والجزم في العربية، نحو: ذهب الطالب إلى الجامعة.

"إلى" لفظة وظيفية، لا وظيفة لها في حد ذاتها، لكنها تجلب للاسم الذي يأتي بعدها – الجامعة – وظيفة (فيعتبر اسمًا مجرورًا).

اللفظة التابعة *le monème dépendant*

هي اللفظة المقترنة باللفظة الوظيفية التي تحدد وظيفتها، مثل الاسم المجرور المقترن بحرف الجر، فلفظة (الجامعة) في المثال السابق هي لفظة تابعة مقترنة باللفظة الوظيفية (إلى)[1].

وهناك لفظة تابعة مقيدة بالموقع تحدد وظيفتها من خلال موقعها، فتغير الموقع يؤدي إلى تغير وظيفتها النحوية مثال:

زارنا عميد الكلية.

(الكلية) مضاف إليه وهي لفظة مقيدة بالموقع.

العبارة المستقلة *le syntagme autonome*:

تتألف من لفظة وظيفية مقترنة بلفظة تابعة، لا تحدد وظيفتها النحوية من خلال جزء واحد من عناصرها، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة، ومنه على سبيل الذكر: الجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه، والنعت والمنعوت..مثال:

زرت مع صديقاتي معرض الكتاب.

عبارة (مع صديقاتي) تدل على المعية لا تفهم من خلال جزء واحد من

(1) عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، ص 48.

العبارة، بل من خلال ارتباط العنصرين معًا، ويجوز تغيير موقعها.

المركب الإسنادي *le syntagme prédicatif*[1]:

هو النواة التي تقوم على أساسها الجملة، وترتبط ارتباطا مباشرًا أو غير مباشر بالعناصر اللسانية، مثال: **اليوم تنتصر على العدو.**

هذه الجملة تحتوي على لفظة مستقلة (اليوم)، وعبارة مستقلة (على العدو) ولفظة (تنتصر) مكتفية بذاتها قادرة على إنشاء رسالة دون أي إضافات أو إلحاقات، ومن ثمة فهي تسمى المركب الإسنادي، وكل ما يضاف لها يسمى فضلة أو إلحاقًا لأن الكلام يستقيم بدونها من الناحية الوظيفية، ولا يغير العلاقات بين العناصر السابقة، ولهذا فوظيفتها غير أساسية. وإذا تعلقت تعلقا مباشر بالمركب الإسنادي، فهي تؤدي وظيفة أولية (primaire)، وإذا تعلقت تعلقا غير مباشر به فهي تؤدي وظيفة غير أولية (non primaire).مثال:

اشترى الأستاذ كتابا قيما

فلفظة (كتاب) مفعول به مرتبطة ارتباطا مباشرا بالمركب الإسنادي، فهو يؤدي وظيفة أولية ولفظة (قيما) نعت، يتعلق تعلقا غير مباشر بالمركب الإسنادي عن طريق المفعول به، ولذلك فوظيفة غير أولية.وقد ميز "مارتينيه" بين نوعين من الإلحاق هما:

[1] يمثل مارتينيه للتركيب الإسنادي بالمثال الفرنسي التالي: Hier il y avait fête au village. فكلمة (hier) لها دلالة مستقلة، وتركيب الجار والمجرور (au village) له استقلال عن مضمون الجملة الأساسي، ولذلك يمكن الاستغناء عن لفظة (hier) وعن تركيب (au village) دون أن تمس دلالة الجملة الأساسية، وعبارة (il y avait fête) هي التركيب الإسنادي الذي لا يمكن اختصاره، إذ لا تستطيع كلمة (fête) أن تؤدي وحدها خطابا لغويا.

الإلحاق بالعطف *coordination*:

هو الذي يبقى الكلام مطابقًا لبنية الجملة النواة، إذا حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه)، مثال:

حضر العظماء والأشراف

فإذا حذف العنصر الأوّلي (العظماء) تصبح الجملة "حضر الأشراف" مطابقة للجملة الأولى.

الإلحاق بالتبعية *subordination*:

ويختلف عن الإلحاق الأول، ففيه يتميز الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع)، مثال:

كافأه بجائزة كبيرة من الكتب

لا يمكننا حذف العنصر الأولي (جائزة) لأن وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع (كبيرة).ومفهوم الإلحاق عند "مارتينيه" يتضمن وظائف مختلفة: كالنعت والمضاف إليه والمفعول والمعطوف. ومن منطلق التحليل الوظيفي للبنى التركيبية، يعرف الجملة بقوله: هي كل تركيب تتصل عناصره بركن إسنادي وحيد أو متعدد عن طريق الإلحاق [1].

أنواع الوحدات التركيبية *unités syntaxiques*:

تتخذ الوحدات التركيبية أشكالا مختلفة، فتارة تكون مجرد ألفاظ بسيطة، وتارة أخرى تطرأ عليها ظواهر تجعل منها ألفاظًا من نوع خاص، الألفاظ المميزة والعدمية، والمفروقة والمشتركة، وتارة تكون مؤلفة من جزئين فأكثر على شكل صيغ مركبة تعمل عمل الوحدة التركيبية الواحدة: الصيغة الاتحادية والصيغة التركيبية.

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 114 - 116.

أ. اللفظة البسيطة *monème simple*:

هي الوحدة الدنيا للتقطيع الأول مزودة بدال ومدلول، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي في المحيط نفسه، مثال:

أحمد طالب نجيب.

يمكن استبدال لفظة (نجيب) بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي، مثال:

مجتهد، كسول، ذكي، مجد.

كما يمكن للفظة البسيطة أن تقترن بوحدات أخرى على المحور التركيبي، مثل:

هذا طالب نجيب.

جاءت طالبة نجيبة.

التقيت بنجباء القسم.

ب. اللفظة الممتزجة *monème amalgame*:

ويكون فيها الدال منطويا على مدلولين أو أكثر ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية، مثلا: صيغة جمع التكسير في اللفظة (أبطال) لها مدلولان، أحدهما يمثل معنى لمفرد (بطل) والثاني يمثل معنى الجمع، ولا يمكننا التمييز الخطي بين المدلولين في حين يسهل ذلك لصيغ الجمع السالم، مثلا: مسلم، مسلمون، مسلمات، فمدلول المفرد ومدلول الجمع يمثلهما في جمع التكسير دال هو الدال الممتزج (أبطال).

ج. اللفظة المفروقة *monème disiontune*:

هي عكس اللفظة الممتزجة وفيها يتجزأ الدال إلى جزئين أو أكثر لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة، مثال:

ارتدت الممرضة مئزرها.

تدل على التأنيث في هذا المثال ثلاث علامات هي:

(ت) في (ارتدت)، و(ة) في (الممرضة)، و(ها) في (مئزرها).

د- اللّفظة العدمية أو الصفرية *monème zéro*:

هي غياب شكلية متوقعة، ويرمز لها أثناء التحليل بعلامة تفاضلية على شكل صفر(0)، ويتضح ذلك في اللغة المكتوبة بوجود علامتين شكليتين هما الفتحة والتاء المربوطة مع المؤنث وغيابها مع المذكر، مثل:

معلم Ø معلمة

أستاذ Ø أستاذة

كما تتجلى في الأفعال، مثال:

كتب Ø كتبتْ = كتب+تْ.

هـ. اللّفظة المشتركة:

هي دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر ولا يمكن استقلالها بمدلول واحد يحدده السياق، مثال: تبتسم، فصيغة المضارع نجده مع:

المخاطب المفرد المذكر "أنت".

مع الغائب المفرد المؤنث "هي".

و. الصّيغة الاتحادية:

هي وحدة قابلة للتحليل شكلاً ومعنويًا إلى وحدتين دالتين أو أكثر، إلا أنها تتصرف تركيبها كمفردة واحدة وتتحد لأداء وظيفة واحدة، مثال: جواز السفر، أم كلثوم، جملة القول... فقد تكون مضافًا ومضافًا إليه أو صفة وموصوف أو أسماء مركبة، أوصيغة جامدة، وهي تعامل معاملة اللفظة الواحدة.

ز. الصيغة التركيبية *syntagme*:

يرى "مارتينيه" بأنها مجموع لفظات لكل منها وظيفة خاصة، وتحتوي في أغلب الأحيان على وحدة وظيفية تحقق لها الاستقلالية، فتكون وظيفتها غير مرتبطة بالموقع؛ مثال: في السنة الماضية تؤدي الوظيفة نفسها فاستقطبت "مدرسة

براغ" العديد من علماء اللسانيات الشبان، إلا أن التراكيب التالية:

في السنة الماضية سافرت إلى مصر.

سافرت في السنة الماضية إلى مصر.

سافرت إلى مصر في السنة الماضية[1].

وبهذا تتضح لنا قيمة الجهود التي بذلها"مارتينيه" في البحث اللساني الحديث الذي أصبح يتسم بالموضوعية العلمية، بعد أن طغت عليه المعيارية في الماضي، فقد توصل إلى تمييز عناصر بسيطة بواسطة التقطيع المزدوج خاصة، واقترب بذلك من العلوم الدقيقة مما فتح أفاقا جديدة في ميدان البحث والتطبيق [2].

مؤلفاته:

من أهم مؤلفات "مارتينيه" ما يلي:

1. **عناصر اللسانيات العامة** ***Eléments de linguistique générale***

وهو من أهم مؤلفاته، وقد تعرض فيه للعديد من العناصر، منها: وظيفة اللغة، والملائمة اللغوية، والاقتصاد اللغوي، وتناول فيه أيضا ظاهرة التقطيع المزدوج، وقد أصدره سنة 1960.

2 – اللسانيات التزامية 1965 (التّزامنية):

La linguistique contemporaine

3 – الاقتصاد في التغيرات الصوتية 1955.

Economie des changements phonétiques

4 – وصف صوتي للكلام الفرنسي 1945

Prononciation du français contemporain

---

(1) سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات الميسرة، ص 74 - 79.

(2) المرجع نفسه، ص 95.

5 – التّغيّرات الصّوتية 1956.

La description phonologique

6 – اللّسانيات الوظيفية [1].

La linguistique fonctionnelle

۞ ۞ ۞

---

(1) فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 270.

ج-المدرسة الغلوسيماتيكية
Glossématique

أسس المدرسة اللغوية الدانماركية عام 1934 اللسانيان فيكو برو ندال (887/1942م)ولويس يلمسليف[1] الذي ألف كتابه المسمى Prolegomena to a Theory of language عام 1934، ثم ترجم إلى الإنجليزية عام1951 [2]ويسير منهج البحث في دراسة اللغة عند أصحاب المدرسة الدانماركية على نهج البنيوية بصفة عامة، وإن كان لعلماء المدرسة نظرتهم الخاصة في تناول الظواهر اللغوية وفي تحديدهم لبعض المفاهيم التي قد تحيد أحيانا عن المدارس البنوية الأخرى.

وقد احتذى كثير من اللغويين النظام البنائي الذي وضعه يلمسليف، هذا على الرغم من عدم تطبيقه هذا النظام على لغة ما، وذلك بسبب دقة المنهج وتنظيمه الفائق، وتبدأ دراسات يلمسليف وبروندال اللغوية بتحديد الأسس التي جعلت اللسانيات علما مستقلا بجانب العلوم الإنسانية الأخرى، وإذا كانت العلوم الإنسانية تستعمل اللغة وسيلة لكشف ما يخفى وراءها من ثقافة وفكر وتاريخ...إلخ، وتكون بهذا قد تسامت أو ارتفعت عن اللغة في بحثها ودراستها، فإن اللسانيات لا تدرس ما وراء اللغة، بل

---

(1) ولد لويس يلمسليف بكوبنهاغن سنة1899،وينتمي إلى أسرةها باع في العلم فقد كان والده مديرا لجامعة كوبنهاغن، وانصرف في بداية مشواره اللساني إلى اكتشاف اللساني المقارني راسموس راسك الذي اهتم بدراسة نحو اللغات البلطيقية، ويُعدُّ الدارسون يلمسليف أبرز لغوي أفاد من المناهج ... الرياضية والمنطقية في دراسة اللغة دراسة شكلية مجردة، من مؤلفاته المهمة كتاب البروليغومين، توفي عام1965..

(2) عن جذور حلقة كوبنهاغن وتطوراتها المدرسية ينظر ميلكا إيفتش، اتجاهات البحث اللساني ن تر سعد عبد العزيز المصلوح ووفاء كامل فايد نص317.

تسعى إلى إدراك اللغة ذاتها كتجميع لظواهر غير لغوية (فيزيائية وفسيولوجية ونفسية وسيكولوجية ومنطقيةو اجتماعية).

إن اللغة عند دي سوسير تقابل النظام في الغلوسيماتيكية أو النسقية على اختلاف الاصطلاحات الشائعة في الكتابات العربية، أما الكلام فيقابل العمليات اللسانية المنجزة أو سير الكلام، وبعبارة أخرى تقابل اللغة والكلام النظام والنص[1]، وليس النص عندهم سوى تركيب للعناصر الشكلية أو تركيب شكلي من عناصر متعددة، ومن ثم فإن النص عندما يتحققّ في جوهر ما فإنه ينتمي إلى جانب الكلام.

العلاقات الأفقية والعمودية (السينتاجمتيك والباراديجماتيك):

يلمسليف بداية بين أداتين من أدوات الربط: الواووأو فالأولى تسمى أداة ربط والثانية يطلق عليها أداة ارتباط relation، فإذا جاء العنصران اللغويان correlation، متجاورين من خلال أداة الربط فإنهما يشكلان تركيبًا، أما إذا ورد العنصران متجاورين وكانت العلاقة بينهما هي الارتباط فإنهما يكوّنان جدولاً أو علاقةً رأسية، فالعلاقة بين العناصر أو الفونيمات التي تتكون منها كلمة "قام" مثلا في اللغة العربية إنما هي علاقة تقوم على الارتباط، وحينئذ ينتج نموذج جدولي آخر وهو "نام".

هكذا يمكن تحديد التركيب والنموذج الجدولي بطريقة شكلية تمامًا، ويختلف هذا التحديد الشكلي عن تعريف دي سوسير شبه النفسي للنموذج الجدولي الذي سماه بالتشارك أو تداعي الأفكار والمعاني، ثم يرى أنه يمكننا بناء على هذا الأساس تحديد النظام اللغوي شكليًا على أنه تدرُّج من النماذج أو الجداول التي تتحدد على أنها تدرُّج من التراكيب.

---

(1) محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، الحلقة الأولى، دار الرشاد الحديثة، ص119 وما بعدها.

(التعبير والمحتوى) *EXPRESSION/CONTENU*:

إن تقسيم النص بناء على الشكل والجوهر ينتج جانبين هما: التعبير والمحتوى، وهما ليسا أكثر من أعضاء متكاملة في وظيفة خاصة، وهي وظيفة المساندة والتعاون بينهما، فعندما يوجد أحدهما يوجد الآخر، وهذا يتضح في النص بصفة خاصة وفي اللغة بصفة عامة، وترجع هذه الفكرة إلى دي سوسير والتي تبدو بوضوح من قوله بعدم الانفصال بين الصورة الصوتية أو السمعية التي سماها دي سوسير الدال، والتصور الذهني الذي أطلق عليه مصطلح المدلول، حيث ترتبط إحداهما بالأخرى ارتباطًا تلازميًا، فلا يتصور وجود إحداهما دون الأخرى، إنهما جانبان متلازمان يشبهان جانبي الصحيفة الواحدة أو العملة النقدية.

وفي إطار النظرية الغلوسيماتيكية يمكن أن توجد مستويات التعبير والمحتوى متوازية أو متماثلة الشكل، حيث يتساويان في التركيب إذا لم توجد أي خلافات تركيبية بينهما؛ ومن ثم لا يوجد سبب في بقاء الانفصال بين الجانبين، ويفرض هذا التشابه الشكلي بينهما أن تعالج مستويات التعبير ومستويات المحتوى على أنها موضوع متماثل ومتساو، وهكذا نخلص في النهاية إلى وجود نوعين متساويين من العلاقات والوظائف في كلا الجانبين.

إن هدف التحليل اللغوي في تلك النظرية إنما هو عرض أو تمثيل التقدير الجبري على أساس من كل إمكانيات الارتباط التي يمكن أن نتوقعها في النصوص التي لم تحلل بعد، وهو المقصود من قول يلمسليف: إن اللغة توجد قبل أن تتحقق في النص، ويرتبط بهذا قوله: إن وجود أي نص يفترض بالضرورة وجود نظام لغوي.

هكذا نصل في النهاية إلى أن الأفكار الأساسية عند دي سوسير تضمنتها نظرية يلمسليف، هذا على الرغم من أنها خالفته في تحرير البحث اللغوي من علم

الاجتماع، وحصرته في مجال علم الرموز أو في إطار علم السيميولوجيا، وبهذا يمكن القول بأن هذه النظرية تمثل البنيوية الشكلية الأوربية، وربما هذا ما جعل الكثيرين يسمونها بالسوسيرية المحدثة وأنصارها بالسوسيريين الجدد[1].

إن أهم ما تتميز به هذه النظرية هو تأكيدها القاطع على استقلال التحليل اللغوي عن المجالات الأخرى غير اللغوية، ومن ثم فإن تركيب اللغة لا يتحدد من معطيات خارج مجال اللغة أو يقوم على أسس بعيدة عن الظواهر اللغوية.

ويتنوع التحليل اللغوي في هذه المدرسة بالإضافة إلى ما جاء عند دي سوسير بالنظر إلى التعبير والمعنى في مستويات عدة، حيث ينتج من ربط الشكل بالمحتوى أو بالمادة أربعة مستويات:

1) جوهر المحتوى.
2) شكل المحتوى.
3) شكل التعبير.
4) جوهر التعبير.

ويمثل جوهر التعبير الجانب المادي الخالص، ويمكن تشبيهه بنقطة الحبر أثناء الكتابة، أما في النطق فيعني الموجات الصوتية الفيزيائية، أي أنه يمثل الجانب المادي في عملية النطق، أما شكل التعبير فهو الجانب التنظيمي للمادة الصوتية الخام، أو هو الإمكانيات المتاحة التي تتحقق من تنظيم جوهر التعبير أو المادة الصوتية، ويمثل شكل المحتوى المعنى أو المضمون، وأما شكل المحتوى وشكل التعبير فيمثلان معًا الرمز اللغوي بجانبيه (الشكل والمحتوى)، وهذا معناه أنه الموضوع الحقيقي للسانيات[2].

---

(1) اتجاهات البحث اللساني ن ص324 وما بعدها

(2) hjelmslev,prolegomenes:p84.

ويعني جوهر المحتوى الأفكار قبل أن تتحقق، أي قبل أن توضع في نظام اللغة، فمثلاً فكرة عدم المعرفة تمثل جوهر المحتوى، أما تنظيمها فإنه يختلف من لغة إلى لغة أخرى، فتمثيل الفكرة بقولك "لا أعرف" مثلاً إنما هو تنظيم للفكرة في هذه اللغة، ومن ثم فهذا هو الشكل الذي جاءت فيه الفكرة.

هكذا يشترك الناس جميعا في جوهر المحتوى مهما اختلفت لغاتهم أو تنوعت، على حين يختلفون في شكل المحتوى أي في التعبير عن هذا الجوهر، وعلى العكس من ذلك نجد جوهرًا تعبيريًا واحدًا في بعض اللغات.

ويسمى يلمسليف هذه التراكيب أو الأقسام التي نحصل عليها في الجانب التعبيري صورًا أو أشكالاً. Figures أو Figure. ومن الضروري أن نشير إلى أن كل وحدة لغوية تظهر في التحليل في درجتها المناسبة لقائمتها، وقد نعثر أحيانا على وحدات لغوية لا تتغير بدءًا من مستوى النص حتى مستوى الفونيم، وذلك مثل كلمة «i» في اللاتينية بمعنى "اذهب" التي تكتب بهذا الشكل من أعلى درجة وهي التحليل على مستوى النص إلى أقل درجة ممكنة وهي مستوى الفونيم.

ويقترح طريقة التحليل نفسها في جانب الآخر وهو جانب المضمون أو المحتوى، وينبغي لذلك تحليل الوفرة الكبيرة التي لا نهاية لها من خلال المحتويات الممكنة إلى وحدات صغيرة، يختار الإنسان صور الجانب التعبيري (الفونيمات) في اللغة من المجال الكبير للإمكانيات الصوتية، ثم تستعمل بعد ذلك في تأسيس الوحدات اللغوية الأعلى، هذا بالإضافة إلى سلوك اللغة في جانب المضمون، حيث تُضَمُّ هذه الوحدات لبناء الوحدات الأعلى وهي مثل (got) والتي تختلف معناها من لغة إلى أخرى، ففي الألمانية Gott بمعنى الله، وفي الانجليزية تعني got "حصل على "، ومعنى godt في الدنمركية يكون "جيد"، فهذه الكلمات الثلاث

وإن كانت تنطق نطقًا واحدًا، فهي واحدة بالنظر إلى جوهر التعبير، إلا أنها تختلف في المعنى. وهكذا يوجد عندنا في اللغات الثلاث جوهرا تعبيريا واحدا وأشكالا تعبيرية مختلفة.

هكذا تتفق اللغات في الجوهر وتختلف في تحققه بالاختلاف في المحتوى الشكلي من جهة وفي الأصوات وتراكيبها من جهة أخرى[1].

منهج يلمسليف في التحليل اللساني:

يمكن وصف المنهج بأنه استنتاجي تحليلي، حيث تقسم كل وحدة — تحلَّل — إلى وحداتها الأصغر التي تتكون منها؛ ومن ثم يحصل في كل درجة من درجات الاستنتاج أولاً على وحدات صغيرة وتقل ثانيًا الموجودات أو القوائم الجدولية.

إن تحليل المستوى التعبيري ينتج:

1) نصوصًا كثيرة لا نهاية لها[2].
2) جملاً كثيرة غير محدودة.
3) أجزاء من جمل غير محدودة.
4) كلمات كثيرة لا نهاية لها، وإن كانت محدودة في قوائم القواميس والمعاجم إلا أنها كلمات كثيرة غير محدودة من الناحية النظرية.

وفي مجال تحليل المضمون يمكننا استبعاد بعض الوحدات اللغوية من التحليل لأنها تتضح من خلال ارتباطها بوحدات لغوية أخرى، فمثلا لو أنتج تحليل المضمون لثروة الكلمات في لغة ما الوحدات التالية:

كبش نعجة

ولد بنت

---

(1) محمد حماد، محاضرات عن المدارس اللغوية الحديثة، مكتبة الثقافةالعربية، ص119.

(2) محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص251.

فرس   فرسة

خروف

طفل

حصان

هو .... هي

فإنه يمكننا حينئذ استبعاد الوحدات اللغوية في الأسطر الثلاثة الأولى، لأنها تتضح ارتباطيًا relational من خلال علاقتها بوحدات أخرى وهي الوحدات التي جاءت في الأسطر التالية، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن صاحب النظرية يتعامل مع محتويات الكلمات دون اهتمام بالكلمات ذاتها، أما طريقة الارتباط هذه فهي أن الكبش = هو خروف، بنت= هي طفل، فرس = هو حصان، فرسة = هي حصان.

ولا تعنى الصور الأدلة اللسانية، بل إن تركيب الصور بجانبيها (التعبير والمضمون) ينتج الأدلة، أما الوحدات الصغيرة سواء في الجانب التعبيري وهي العلامات الفونولوجية تُعامَل على أنها صفات للفونيمات أو في جانب المضمون، وإن لم توجد لها علامات دلالية صغيرة يمكن تناولها فإنها تسمى عنده. Glossemes.

إن مصطلح غلوسيم مأخوذ من اليونانية ويعني اللسان أو اللغة أو الكلام، أما عند ه فهو أصغر الوحدات اللسانية، إنه عبارة عن العلاقة الفنولوجية أو ما يسمى كينيم (Keneme) في الجانب التعبيري، ومجموعهما Plereme في الجانب الدلالي هو الفلوسيم. النظرية إلى تطبيق نتائج المنطق الشكلي والمنهج العلمي

الحديث على علم اللسان [1]؛ ومن ثم إلى بحث جانبي اللغة: التعبير والمحتوى بحسب أسس موحدة.

ويعتقد يلمسليف أن لغويي براغ بحثوا الشكل من خلال الجوهر أو ما يمكن أن نعبر عنه بأنهم بحثوا الجوهر الشكلي، أما هو فيرى أنه ينبغي أن تبحث اللسانيات الشكل منعزلاً عن الجوهر، ولذا فإنه لا يكترث بالجوهر الذي تتحقق فيه بقدر اهتمامه بالشكل الذي ورد فيه هذا الجوهر، حيث إن اللغة يمكن أن تتحقق في جوهر متنوع فقد تكون منطوقة كما قد تكون مكتوبة مدونة.

وإذا كان موضوع اللسانيات هو شكل المحتوى وشكل التعبير [2]في مستويات التحليل اللغوي — كما سبق القول- فإن الجانبين الآخرين (مادة المحتوى ومادة التعبير) يوديان إلى تداخل اللسانيات مع أسس علوم أخرى كالفلسفة وعلم النفس والطبيعة، وإن كان يلمسليف لم يلاحظ أن المتكلم كفرد أو كعضو في جماعة إنما يعنى أن تتداخل علم اللسانيات مع علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع، وهو مجال ستهتم به اللسانيات الاجتماعية.

لقد وجدت النظرية الغلوسيماتيكيةنفسها مضطرة بسبب احتضانها للأسس النظرية العلمية التي توجد في التجريبية المنطقية إلى الوصول إلى نتيجة، هي: أنه على الرغم من الشكلية الواضحة فإن النظرية لا تضع اللغة شكلاً وتركيبًا سابقًا الوجود على الإنسان الناطق ؛ حيث تتناولها حقيقة معطاة.

إن النظريات التي تقوم في المقام الأول على أسس منهجية في إطار المنهج البنيوي الوصفي، إما أن تكون نموذجية خالصة كما نجدها عند «فايسجربر»، أو

---

(1) محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ص68.

(2) اتجاهات البحث اللساني، ص327.

على أساس اجتماعي كما في منهج «دي سوسير» ، أو وصفية منطقية عند «لويس يلمسليف»، والاستثناء الوحيد من ذلك كله نجده عند أصحاب مدرسة براغ الذين حاولوا أن يعبروا عن البنيوية النموذجية على أساس وظيفي دون أن يصلوا إلى نظرية منهجية متماسكة كالتي نجدها عند لغويي مدرسة كوبنهاجن.

✿ ✿ ✿



البحث اللساني الأمريكي في بداية القرن العشرين

نشطت الدراسات اللسانية في أوربا وأمريكا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، إذ أصبحت دراسة اللغة منذ حوالي نصف قرن علمًا مستقلاًّ بذاته، يتخذ من اللغة وسيلة وغاية في الآن ذاته.وعلم اللسانيات «علم قد تكون، ولكنه لا يزال يتطور التطور اللازم لنضجه، وإن الجهود الفردية القادمة سترسي قواعد الكثير من أسسه ووسائله ونتائجه، وهذه الدراسات ما زالت وقفًا على المتخصصين فيها، وعلى القلة من مريديهم»[1].ونشطت الدراسات الأمريكية في القرن العشرين، إذ انطلقت من الأنثربوبوجيا، وكان هذا عاملاً مساعدًا على تطويرها.ويمكن القول إن إرهاصات البحث اللساني تمثّلت في جهود كل من "فرانس بواس"[2] و "بلومفيلد" في كتابه "اللغة"، ثم ظهور النحو التوليدي التحويلي في كتاب تشومسكي "البِنَى التركيبية".

أما عن مقدمة بواس التي وردت في كتابه "اللغات الهندية الأمريكية " الذي صدر في 1911، هذا التاريخ الذي يعتبر الميلاد الرسمي للسانيات الأمريكية؛ حيث ذكر فيه "بواس" ذكرًا موجزًا المنهج الذي اتبعه في دراسة ووصف تركيب هذه اللغات، «وخلص أخيرًا إلى النتيجة القائلة أن التغيير الذي نلمسه في اللغات الإنسانية إنما، والواقع أكبر بكثير مما يبدو ظاهريًّا إذا ما بَنَى المرء تعميماته على الوصف القواعدي للغات الأوروبية شيوعا، كما وجد أيضا أن التشويه قد

---

[1] محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص 20.

[2] فرانس بواس Franz Boas: لساني أمريكي من أقطاب اللسانيات الأمريكية الحديثة، تتلمذ على يده عدة علماء، من بينهم سابير وبلومفيلد. من أشهر كتبه: اللغات الهندية الأمريكية. انظر ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية.

اعترى وصفَ اللغات المحلية والنادرة في أمريكا الشمالية بسبب إخفاق اللغويين في فهم إمكانية اللغات وتنوعها»[1].

ومن المتفق عليه أن أهم علماء اللسانيات بعد بواس هما "إدوارد سابير"[2] و "ليونارد بلومفيلد" اللذان تأثرا ببواس وأخذا عنه الكثير، وقد كان كل منهما يختلف عن الآخر سواء في القدرة على الإقناع الفلسفي أم في طبيعة الأثر الذي تركه.أما سابير فقد اهتم بدراسة اللغات الجرمانية.

في حين اهتم بلومفيلد في إطار المدرسة التوزيعية بالبحث في النظام اللغوي والكلام من حيث هو سلوك إنساني ونشاط فقال متأثرًا في ذلك بالمدرسة السلوكية و "راندهاسكير" .

نظرية تشومسكي اللسانية:

قبل التطرق إلى النظرية وما أحدثته في المجال اللساني من أثر منهجي ونظري حري بنا أولا أن نتوقف عند تشومسكي الذي ملأ الدنيا شهرةً بخاصة في الأوساط المثقّفة والمتخصصة.

فقد أبرز ظهور نوام تشومسكي «الذي يبدو أنه تحيّ بهذا البحث، عيوب فلسفة اللغة، والحاجة إلى استبدالها بمبحث علمي لساني متماسك مسلم به»[3].

---

(1) جون ليونز، تشومسكي، ص 140.

(2) إدوارد سابير: لساني أمريكي، ولد في لاونبورغ، ثم سافر إلى أمريكا وهو طفل صغير، درس اللغة الجرمانية في كولومبيا، فتعلمها وبحث فيها بتوجيه من العالم بواس. من أشهر مؤلفاته " اللغة ". انظر خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص 42.

(3) مفهومات في بنية النص، ترجمة وائل بركات، دار كعد الطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1996، ص 14.

حياة تشومسكي العلمية:

أفرام نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky لساني أمريكي، يهودي الأصل، من مواليد ديسمبر عام 1928 وتلقي دراسته في بنسلفانيا، وهناك درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة، وقد حصل فيها على درجة الدكتوراه عام 1955، بالرغم من أنه قام بمعظم أبحاثه اللسانيةعقب انتسابه إلى جمعية الرفاق بجامعة "هارفرد"،وكان ذلك في الفترة الممتدة بين 1950و1955، وبعد ذلك عين بمعهد ماساشوسيتس،وظل يترقّى في حياته العلمية، حتى حصل أخيرًا على كرسي الأستاذية في لسانيات اللغات الحديثة.وهو متزوج وله ثلاثة أولاد بنتان وولد [1].

حظيت أعمال تشومسكي بالتقدير في الدوائر الأكاديمية فمُنح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاجو، كما دُعي لإلقاء المحاضرات في عدد من البلدان؛ ففي عام 1967 ألقى تشومسكي "محاضرات بيكمان" في جامعة كليفورنيا في "بيركلي". وفي عام 1969 ألقى محاضرات "جان لوك" في جامعة أكسفورد،و "محاضرات ذكرى شيرمان" في جامعة لندن.

حقّق تشومسكي أول شهرته في ميدان اللسانيات،حيث تعلم قسطًا من مبادئ اللسانيات التاريخية من والده، الذي كان عالما في العبرية، وقد قدّم جزءًا من بحثه الأول في اللغة العبرية الحديثة، عندما نال درجة الماجستير «إلا أن العمل الذي يشتهر به الآن،وهو بناء نظام النحو التوليدي الذي تطوّر من خلال اهتمامه بالمنطق الحديث وأُسس الرياضيات، حيث طبقها فيما بعد على وصف اللغات الطبيعية»[2].

---

(1) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1986، ص 09 بتصرف.

(2) جون ليونز، تشومسكي، ترجمة محمد زياد بركة، النادي الأدبي بالرياض، 1978، ص 87.

وقد التقى تشومسكي باللساني "موريس هال" [1] في حدود سنة 1951 فساعده على الحصول على مركز بحث في المختبر الصوتي الإلكتروني في معهد ماساشيوسيتسي التكنولوجي، ويدرّس الألمانية والفرنسية إلى الطلبة الذين يتخصصون في مجال العلوم، وفي عام 1955 عُيّن تشومسكي أستاذًا بالمعهد نفسه، وهولا يزال يشغل هذا المنصب إلى يومنا الحالي.

وإضافةً إلى ذلك فهو عضوٌ في عدة جمعيات علمية لغوية وغير لغوية كالجمعية الأمريكية للتقدم العلمي، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، إضافةً إلى جمعيات وأكاديميات أخرى عديدة.

والجدير بالذكر أن تشومسكي اطّلع على اللغة العربية ونحوها أيام كان شابًّا، فقد اطّلع على متن الأجرومية لّما كان طالبًا في المرحلة الجامعية؛ يقول تشومسكي نفسه في حوار أجراه معه الدكتور مازن الوعر: «قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة، كنتُ أشتغلُ ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية،وما زلت أذكر دراستي **للأجرومية** منذ عدة سنوات خلت،وكنت أدرس هذا مع الأستاذ **فرانز روزنتال** [2]،وكنتُ مهتمًّا بالتراث النحوي العربي والعبري» [3].

(1) موريس هال: لساني من أصل روسي، درس في أمريكا منذ 1951 في معهد مساشيوسيت، اشترك مع رومان جاكوبسون في وضع دراسات فونولوجية وتعاون مع تشومسكي بصورة وثيقة في وضع فنولوجيا اللغة الروسية وكذا الإنجليزية، وأوجد الدراسات الشعرية في إطار اللسانيات التوليدية.

(2) فرانز روزنتال: هو أستاذ تشومسكي في جامعة بنسلفانيا، وهو واحد من المستشرقين الذين كانوا يعرفون العربية وآدابها. من أهم آثاره: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. وله دراسات أخرى.

(3) مازن الوعر، لقاء مع نوام تشومسكي، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد 06، 1982، ص 72.

ومن هنا يتضح جليًّا أن تشومسكي تأثّر في تكوينه العلمي بالتراث العربي، وبرزت مراحل التأثر بعد هذا سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة في نظريته.

وبعيدًا عن مجال اللسانيات والبحث العلمي، فقد عُرف تشومسكي بآرائه السياسية، وهذه الآراء بدورها أكسبته شهرةً واسعة تُضاف إلى شهرته اللغوية، ويرجع اهتمام تشومسكي بالسياسية إلى كونه وُلد يهوديًّا وسط مجتمع مسيحي، فتكوّنت آراؤه السياسية فيما عرف "**بالمجتمع اليهودي الثوري**" في مدينة **نيويورك**، وكان يميل إلى نزعات متطرفة،فقد كان فوضويا ثم اشتراكيا، ولكن شهرته السياسية جاءت من نقده اللاذع للسياسة الأمريكية الخارجية، بخاصة إبان التورط الأمريكي في فيتنام [1].

ثم تطوّرَ نشاطه السياسي حتى أصبح أبرزَ المعارضين لسياسة أمريكا هذه، كما أن مجموعة مقالاته التي نشرها في كتاب القوة الأمريكية والماندرين الجدد تعتبر لدى المثيرين إحدى أقوى الإدانات في فيتنام التي ظهرت حتى الآن، وتأثر تشومسكي بمجموعة من العلماء لا سيما من عاصروه منهم،وأكثر هؤلاء تأثيرًا فيه "زيلغ هاريس" [2]. هذا الأخير الذي يعد السياق إلى الوصول للنظرية التوليدية التحويلية التي جاء بها تشومسكي،كما شغل منصب أستاذ اللسانيات العصرية واللسانيات العامة، واللافت حقًّا للانتباه أن النظريةَ التوليدية التحويلية قد طغى استخدامُها في ميادين شتى، و لم تعد حكرًا على الجامعات أو في ميدان

(1) جون ليونز،نظرية تشومسكي اللغوية، ص 1، مقدمة المترجم (بتصرف).

(2) زيلغ هاريس: لساني أمريكي، وُلد في بالطا في أكرانيا عام 1909، وشغل منصب أستاذ في بنسلفانيا، وهو من أقطاب واضعي النظرية التوزيعية، أدخل عنصر التحويل لتوسيع نظريته وتطويرها، فاعتمدها تلميذه تشومسكي منطلقا لوضع نظريته. من أشهر مؤلفاته " مناهج اللسانيات البنوية ".

تعليم اللغات، بل تعدى ذلك حتى إلى الفنون، فهذا **برنشتاين**[1] عالم الموسيقى يتوصل إلى فكرة تشومسكي عن القواعد الكلية،بمعنى أنماط القواعد المنتقلة وراثيًا عبر الأجيال، والتي تمارس عملها بأكثر المستويات عمقًا في جميع المجالات، ومن الغريب حقًّا أن برنشتاين صادف هذا الكشف المذهل أثناء انهماكه في تحليل تنويعات" أرون كوبلان" الموضوعية لآلة البيانو، ومن ثمّ أخذ يبحث عن سبب يبرّر وجود هذه التركيبات الحاوية لنفس الدرجات في العمق الكامن، ورغم الاعتقاد بوجود قواعد للموسيقى تتميز بطابعها الفطري الواسع الانتشار، فإن برنشتاين لم يخطر بباله قط أن يكون لهذه الفكرة ما يبررها علميًّا، لولا ما تجمع في ذهنه خلال الأعوام الماضية من حقائق تؤكد وجود قواعد كونية تعمل كأساس للغة الحديثة، وهذه الفكرة – الجديدة نسبيا — من حيث اكتشافها تعود إلى تشومسكي[2].

أهم مؤلفاته:

يحتل تشومسكي مكانةً فريدة في الدراسات اللغوية المعاصرة، ولقد أثْرت مؤلفاته المكتبية اللسانية وأفادت اللسانيين في مجالات عدة، «ولعل أحدًا من علماء اللغة المعاصرين لم يحظَ بتلك المكانة من قبلُ في تاريخ هذا العلم» [3].

وقد تجسّد تشومسكي أفكاره وأبحاثه الغوية في مقالاتٍ وكتبٍ نشرها في أزمنة متقاربة، وسنحاول التطرق لها وفقا للترتيب الزمني لنشرها.

---

(1) برنشتاين: أستاذ بالمعهد العالي للفنون الموسيقية بالكويت حاليا.

(2) محمد هيكل، برنشتاين ولغة الموسيقى بين نظرية الأصل المشترك وعلم النحو التحويلي، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد 27، العدد 01، 1998، ص 145 (بتصرف).

(3) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 29.

أ- البنى التركيبية أو التراكيب النحوية les structures syntaxiques:

ونشره عام 1957،وقد فتح به عهدًا جديدًا في تاريخ الفكر اللغوي، ويشير فيه إلى بعض ملامح النظرية الجديدة التي جاء بها، وفيه تخطّى تشومسكي اللسانيات البلومفيلدية التي كانت آنذاك،إلا أنه «لم يشر إلى المنهج الذي وضعه في هذا الكتاب إلى المستوى الدلالي»[1]، ويؤرخ ظهور هذه النظرية إلى عام 1957 تاريخ نشر هذا الكتاب، إذ تكمن أهميته في كونه: «الدستور الأول للنظرية التي جاء بها تشومسكي و التي أحدثت ثورةً في الدراسة اللغوية في أمريكا..وأتت بمفاهيم لغوية جديدة »[2].

وتعتمدُ النظريةُ اللغوية التي طوّرها تشومسكي في هذا الكتاب على نظريات لغوية طُوِّرت في العالم الغربي لا سيما في أمريكا، وأشهرها النظرية البنيوية وبعض النظريات المنطقية، وهذا الكتاب هوأساس النظريات التوليدية التحويلية الواسعة الانتشار، والتي لم تقتصر أهميتها على دراسة اللغة فحسب،بل في مواضيع أخرى عديدة كالأدب والنقد وعلم النفس.

البنية المنطقية للنظرية اللسانية

la structure logique de la théorie linguistique:

نُشر هذا الكتاب سنة 1975،وهو في حقيقة الأمر كان قد أُلّف عام 1955 ولكن دار النشر رفضت نشره بحجة أنه تناول قضايا لا تلقى اهتمام الأحصائيين في مجال اللسانيات، «ويحاول تشومسكي في هذا المؤلَّف تحديد معرفة المتكلم

---

(1) مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية للغة العربية، دمشق، ط 1، 1987، ص 52.

(2) نوام تشومسكي، البنى التركيبية، ترجمة يؤيل يوسف عزيز، منشورات عيون، ط 2، 1987، ص 5 (مقدمة المترجم).

بقواعد لغته الضمنية، ويسعى إلى وضع أساليب تقييم القواعد وتفسيرها، بحيث توافق القواعد الموضوعية مع هذه الأساليب التي تحتوي عليها الألسنية العامة»[1].

ملامح النظرية التركيبية l'aspect de la structure syntaxique:

صدر عام 1965 يحتوي على أهم أراء النظرية التوليدية التحويلية،وفيه يميز تشومسكي بين الكفاية اللغوية والأداء الكلاسيكي، وقد استعمل فيه لأول مرة مصطلحي: البنية السطحية،والبنية العميقة، ويسمي نظريته هذه بالنظرية النموذجية، وفيه «يفصِّل بوضوح شكل القواعد التوليدية والتحويلية وتداخل المستويات الألسنية »[2].

ويبرز الكتاب الأفكار التالية:

1) تحديد مفهوم الكفاية اللغوية بأنها معرفة المتكلم الضمنية بقواعد لغته.
2) تحديد مفهوم الأراء الكلامي وتظهر هذه المعرفة في عملية التكلم.
3) تحديد مفهوم الأصولية وتمييزها عن مفهوم تقبل الجملة.

اللسانيات الديكارتية la linguistique cartésienne:

صدر عام 1966 تناول فيه تشومسكي الفرضيات المتعلقة بمميزات الفكر، وبالمخططات الذهنية الأساسية التي يفرضها العقل على عملية تحليل المعاني على عملية اكتساب اللغة من خلال المعطيات المتوفرة للتحليل، ويتبين من خلال هذا الكتاب تقارب نظرية تشومسكي مع آراء ديكارت وهيمبولدت ويشير إلى الأبعاد العقلانية التي تشير إليها فلسفتها وتقوم عليها نظريته، ذلك أن اللسانيات

(1) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 29.

(2) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 11.

والفلسفة وعلم النفس عند تشومسكي ليست مستقلة عن بعضها البعض. «ويعتقد تشومسكي أنه بوسع اللسانيات أن تساهم مساهمة فعالة في دراسة العقل البشري، وأنه حتى في وقتنا الحاضر نجدها تقدم البرهان لصالح موقف معين من المواقف القائمة على الجدول الطويل بين العقلانيين les rationalistes والتجريبيين les empiristes»[1].

ورغم أن هذه اللفظة التي جاء بها تشومسكي (فلسفة اللغة) «ما تزال تعيش على المستوى الجامعي فأبرز نوام تشومسكي الذي يبدو أنه أحي هذا البحث، عيوب فلسفة اللغة والحاجة إلى استبدالها ببحث علمي لساني متماسك مُسَلَّم به»[2].

الأنماط الصوتية في اللغة الإنجليزية

les types phonologiques de la langue anglaise:

صدر عام 1968 ووضعه تشومسكي بالاشتراك مع اللساني "موريس هال"، ويتناول هذا الكتاب:

1) الفرضيات اللسانية التي تنطلق منها دراسة الأصوات اللغوية.
2) النظرية الفونولوجية التوليدية التحويلية وفونولوجيا الإنجليزية.

كما يتعمق في هذا الكتاب في «بنى الفونومات الإنجليزية ويقدم القواعد الفونولوجية المناسبة وتنظيم السمات الفونولوجية الكلية»[3].

(1) جون ليونز، تشومسكي، ص 81.

(2) مفهومات في بنية النص، ص 14.

(3) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 20.

اللغة والفكر La langue et la pensée:

صدر عام 1968، ويضم ثلاث محاضرات، كان قد ألقاها تشومسكي في جامعة "بركلي "عام 1687.

المحاضرة الأولى: الماضي، ويتضمن المساهمات السابقة في البحث اللساني الحالي.

المحاضرة الثانية: الحاضر، ويتضمن البحث اللساني.

المحاضرة الثالثة: المستقبل، ويتضمن الاتجاهات التي يمكن أن تتخذ في مجال دراسة . اللغة والفكر.

وركز تشومسكي في هذا الكتاب على إبراز فلسفته، فأكبر ما يميز فكره هو «تأكيده على ما يدعى بالعالميات الشكلية، وهي المبادئ العامة التي تحدد شكل القواعد وطريقة عملها نحو اللغات المختلفة»[1].

مسائل المعرفة والحرية

Problèmes de la connaissance et de la liberté ،

صدر عام.1971، ويحتوي بدوره على محاضرتين كان ألقاهما تشومسكي في معهد الثالوث الأقدس "جامعة كمبردج" حيث «يحل فيه تشومسكي القضايا الفكرية المرتبطة ببعض المسائل التي آثارها كتابات الفيلسوف الإنجليزي "راسل"»[2].

دراسات الدلالة في القواعد

Etudes sémantiques de la grammaire générative:

صدر في 1972، وفيه عدل تشومسكي بعض المسائل في النظرية النموذجية

(1) جون ليونز، تشومسكي، ص 83.

(2) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 21.

التي سبق وأن تعرض لها في كتابه "البنى التركيبية"، كما يحتوي الكتاب أيضا على «الانتقادات التي يوجهها تشومسكي إلى النظرية الألسنية بعد إدخال التعديلات التي وضعها» [1].

المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها،

La connaissance linguistique: les origines et les fonctions:

يعد هذا الكتاب أكثر كتب تشومسكي في تحديد الصورة التي تتخذها الآن النظرية التحويلية، كما أنه يمثل وقفة تأمل موضوعي واعٍ ويقظٍ في صور النقد وجهت إلى النظرية، والاقتراحات التي قدمت لتطويرها ووصلت بها إلى ما يعرف الآن باسم "نظرية الربط والعمل" أو "نظرية الربط العاملي".

وقد قام تشومسكي من خلال رسمه لصورة هذه النظرية الأخيرة بتحديد أكثر من المصطلحات التي كانت قائمة في الصور الأولى، والأقدم نسبيًا للنظرية، وعلى رأسها مصطلح النحو الكلي، كما أوضح دور النحو الأخير في الاكتساب اللغوي وبناء ما سماه" الأنحاء الخاصة " كنحو العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية، ولقد انتهى تشومسكي إلى القول بتضمن النظرية النحوية الكلية لوحدات أو نظريات فرعية هي نظرية السين البارية ونظرية الثيتا ونظرية الربط الحالة [2].

وإضافة إلى هذه الكتب، فقد نشر تشومسكي أيضا عدة مقالات"وكذا المراجعات التي تناولت كتبا متفرقة بالمراجعة وإعادة القراءة نذكر منها:

1) مراجعة كتاب "سكينر" للسلوك الكلامي.
2) مراجعة كتاب الفونولوجيا لــ "هوكيت".

(1) المرجع نفسه، ص 22.

(2) نوام تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، ط 1، 1993 ص 06 (التمهيد بتصرف).

كما نشر مقالات متنوعة من بينها:

1) "البنى المنطقية في اللغة" في مجلة التوثيق الأمريكي عام 1956.
2) اللغات المحدودة الحالات بالاشتراك مع "جورج ميلر" في مجلة الإعلام والمراقبة عام 1958.
3) "بعض الخصائص الشكلية للقواعد" في مجلة الإعلام والمراقبة، أيضا عام 1969.

إضافةً إلى مجموعة مقالات وكتب أخرى لا يسعنا المجال لذكرها، وإنما اقتصرنا على هذه الكتب –السالفة الذكر– لأنها تشغل أهمية قصوى في إرهاصها للنظرية التوليدية التحويلية، أو في وصفها وذكر مبادئها أكثر مما تشغله كتب أخرى.

نظرية النحو التوليدي التحويلي:

نشأت بفضل تشومسكي؛ حيث تجرأ هذا الأخير على نقد مدرسة بلومفيلد نقدًا قويًّا، فأصبح بهذا النقد زعيمًا للمدرسة اللغوية في أمريكا.

وقد أسس تشومسكي نظريته على أنقاض المدرسة؛ إذ قاد «تشومسكي ثورة علمية نجم عنها نموذج جديد للتفكير في اللغة، أفرز مجموعةً من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين، عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي»[1].

ويتمثّل هدف هذه النظرية في الوصول إلى ما يسمى باستيفاء التفسير، ولم يكن الهدف من هذا الاستيفاء أن تُوصف الظواهر باللجوء إلى نظام من الضوابط

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1986، ص 65.

فحسب، بل أن يشرح لماذا هي على ما هي عليه »[1].

ولهذه المدرسة أهمية بالغة في علم اللسان المعاصر، وقد أثارت جدلاً عنيفًا أحيانًا ومناقشات خصبة بين دعاتها ومنافسيها، وتطورت تطورًا سريعًا وحلت محل التوزيعية، وبلغت مرحلة النضج في 1955.وسنعرض لأهم التطورات والمراحل التي مرت بها هذه النظرية منذ مرحلتها الأولى وصولاً إلى آخر التطورات التي مستها.

المبادئ العامة:

أ – الاكتساب اللغوي:

يرى تشومسكي أن المذاهب السلوكية هي مذاهب تبسيطية تجعل الإنسان كالآلة؛ فاللغة من منظور السلوكية مجموعة عادات صوتية، يكفيها عالم البيئة لكي يتحقق اكتسابها؛ فالمتكلم يسمع جملة معينة، أو يحس إحساسًا معينًا، تتولد لديه استجابة كلامية من دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأي شكل من أشكال التعبير.

فعملية اكتساب اللغة عند الطفل تندرج ضمن نظرية التعلم، فهي من منظور السلوكية شكلٌ من أشكال السلوك الإنساني؛ لذا لا يقرون بوجود أي تباين أو اختلاف بين تعلم اللغة وتعلم أية مهارة سلوكية أخرى، ويعتمد السلوكيون مبدأ التعميم لتفسير استعمال الطفل الكلمات والتراكيب، ويتمثل الاتجاه السلوكي بصورة واضحة وجلية في كتاب "سكينر" "السلوك الكلامي".

أما عن طريق اكتساب معاني الكلمات، فيرى السلوكيون أن الطفل بقدر ما يكتشف الأشياء التي تشير إليها الكلمات عبر اقترانها بالكلمة التي يتلفظ بها، فإنه

[1] مازن الوعر، حول بعض القضايا الجدلية لنظريةالقواعد التوليدية التحويلية، مجلة اللسانيات، عدد 6، ص 73.

يكتسب مدلولات تلك الكلمات، ثم يتمكن أخيرًا عن طريق المحاولة حينا والخطأ حينا آخر من تركيب الجمل تركيبًا صحيحًا، وركّز المنهج السلوكي على السلوك الخارجي للإنسان معتبرًا إياه مادة التحليل اللساني، مهملًا كل العمليات الداخلية التي هي مصدر هذا السلوك»[1].

وهذا التحليل رفضه تشومسكي؛ ذلك أن منهج النظرية التوليدية التحويلية هو منهج ذهني يجعل ملكة اللغة قدرة فعالة غريزية وفطرية، وهي قدرة تخص الإنسان وحده، وأراد تشومسكي من خلال ذلك أن يشرح اللغة ويعلل أسبابها من الداخل وليس من الخارج، وكانت حجته في ذلك؛ كيفية تعلم الأطفال الصغار، لأن اللغة تُكتسب بشكل تطوري سريع دون النظر إلى العوامل الخارجية التي تتدخل في هذه العملية؛ سواء كانت البيئة أو الجنس، ويرى أن «العمليات اللغوية هي عمليات مرتكزة على أُسس بيولوجية، ثم أن أية محاولة لشرح الظاهرة اللغوية بمصطلح سلوكي إنما هي تجاهلٌ للخلق اللغوي عنده »[2].

ويرفض تشومسكي فكرة أن الطفل يُنمّي بمفرده القواعد التي تنتج الجمل المحتمَلة، والتي تندرج ضمنها تراكيب كلامية لم يسمعها من قبل، والتي لا يمكن التكهن باحتمال ورودها في الكلام، وذلك أن الحياة – لو صحت أراء السلوكيين هذه – لأصبحت صعبة التحقيق، أخيرًا ضف إلى ذلك أن الطفل لا يمكنه أن يُركّب جُمَلاً صحيحةً، انطلاقًا من الجمل التي يسمعها من الملقّنين له، وبما أن هذه الجمل التي يسمعها هي في الغالب ناقصة، ويشوبها التحريف من حيث بناؤها اللغوي؛ «فهذه النظريات لا يمكنها أن تحلل هذا التباين بين المعطيات الأساسية الناقصة وبين القدرة غير المتناهية على إنتاج الجمل والتي يتزود بها

(1) المرجع السابق، ص 25.

(2) المرجع نفسه، ص 25.

الأطفال»[1].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الأداء الكلامي من هذه المقدرة في الواقع، ومن عدد الجمل التي يمكن إنتاجها فلا تتقبل بأي شكل من الأشكال أن الطفل يكتسب اللغة من خلال اختيار كل الجمل الممكنة في اللغة والتمرس بأدائها عبر الاستجابة للحافز.

وللتوليدية التحويلية أدلة أخرى تدحض بها ما ذهبت إليه السلوكية؛ فهي ترى أن الإنسان يكوّن مفهوم اللغة، وهو مختلف عن الحيوان الذي أجريت عليه التجارب من حيث أن الإنسان يمتلك ملكة فردية تكون كفاية اللغوية، وعلى هذا الأساس يكون مفهوم اللغة على أنها سلسلة متتابعة تقوم على العادات السلوكية (الكلامية) لا يتواءم أبدًا مع الناحية الإبداعية في اللغة، ولا يراعي حقيقة الإنسان العقلية[2].

يتضح من خلال ما سبق أن تشومسكي ينظر لعملية اكتساب اللغة نظرة تختلف بصورة جذرية عن النظرة السلوكية التي كانت سائدة في المرحلة البنيوية، ويُصِرُّ تشومسكي على أن بنية التنظيم المعرفي الذي يصل بالطفل إلى اكتساب اللغة، هي بنية معطاة بصورة مسبقة إلى الطفل، وبالتالي لا يتم الاكتساب اللغوي تدريجيا كما يزعم السلوكيون من خلال لا شيء أو من خلال دماغ فارغ، وبواسطة الاستقراء والتعميم ومبادئ الأقران ومن دون أية ضوابط بيولوجية»[3].

وبهذا دحض تشومسكي ما جاءت به السلوكية وبنى نظريته على أساس علمي يعتمد التفسير المنطقي والتعليل بالدرجة الأولى.

(1) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 53.

(2) انظر ميشال زكريا، الألسنية وتعليم اللغات، وانظر حنفي بن عيسى، علم النفس اللغوي،ص 30، وانظر نايف خرما وعلي علي حجاج؛ اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص 42.

(3) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 54.

ب -الإبداعية اللغوية:

حاول تشومسكي إحياء جملة من المفاهيم العائدة إلى القواعد الفلسفية أو اللسانية الديكارتية — كما يدعوها هو — حين يظهر تأثره بشكل واضح بفلسفة ديكارت، وقد أخذ يشير في كتاباته الأخيرة إلى أن علم اللغة هو «فرع من علم آخر أطلق عليه اسم علم النفس الإدراكي»[1]. ويظهر ذلك بوضوح في ثلاثة مؤلفات له:

1) مظاهر النظرية النحوية.
2) اللسانيات الديكارتية.
3) اللغة والعقل.

فهو بذلك يؤكد أيما تأكيد على ضرورة اتباع المنهج العقلي، وقد أشار تشومسكي أكثر من مرة إلى المغالطة الكبيرة – التي أدت فيما بعد إلى تغيير وجهة البحث العلمي — والتي وقعت فيها اللسانيات الوصفية، لما ابتعدت عن المبادئ الفلسفية المتأثرة بفكر ديكارت، إذ دعا إلى ضرورة «العودة إلى المسائل التي آثارها القدامى وإعادة استكشافها، وتبني منطلقاتها العقلانية»[2].

ونستشف من هذا أن تشومسكي أراد دراسة اللسانيات وعلاقتها ببقية العلوم الإنسانية الأخرى، لا سيما علاقتها بالفلسفة، خاصة عندما يتناول بالبحث الروابط التي تقرن الأصوات اللغوية بالدلالات، وكذا مواضيع اكتساب اللغة عند الطفل، وقضايا تنوع اللغات.

وتكمن أهمية المبادئ العقلانية عند تشومسكي في أنها تتيح بدرجة كبيرة وضع قواعد كلية تساهم بصورة أساسية في مجال إدراك سيكولوجية الإنسان، والجدير

(1) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 207.
(2) ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، ص 266.

بالذكر أن تشومسكي «لم يأت على ذكر القضايا الفلسفية في أولى كتاباته إلا لمامًا؛ فإننا نستنتج من ذلك أنه لم يرَ مسوغا للجدل في نظرية المعرفة والإدراك التجريبية»[1].

ومن أمثلة هذا التأثر نذكر المثال التالي: إن النظرة الديكارتية الأساسية للغة، والتي مفادها أن السمات العامة للبنية اللغوية تشترك بين كل الناس، وتعكس بعض خصائص الفكر ومزاياه الأساسية، من هذا المنطلق نفهم إصرار العقلانيين على التركيز على القواعد الكلية بدلاً من التركيز على القواعد الخاصة، وهذا تمامًا ما يؤكده تشومسكي في نظريته؛ إذ يرى أن القواعد الكلية هذه مثيرة للاهتمام من حيث هي فرضية تنظم المعطيات التجريبية وتساوي بينها ومن بين النظريات التي تفسرها.

ثم يسير تشومسكي على هذا النحو متأثرًا بالفكر الديكارتي في أغلب مواقفه، ذلك أن منهجه يعمد دائمًا إلى الشرح والتعليل، لا إلى الوصف وحده كما كان سائدًا لدى التجريبين ولا سيما السلوكيين.

كما أنه من واجبنا أن ننبه أن تشومسكي اختلف مع ديكارت، ومع العقلانيين بوجه عام في تفسير بعض الظواهر، فهو مثلا يعارض مبدأ الحتمية الميكانيكية.

كما أن الصفة الإبداعية[2] للغة التي ركّز عليها تشومسكي تَبْرُز بوضوح كإحدى الصفات الأساسية التي تتمتع بها اللغة، وقد أُشير كثيرًا إلى هذه الصفة في القرن السابع عشر، وخاصة النظرية الكلاسيكية ولا سيما عند ديكارت، «فاللغة

(1) المرجع السابق، ص 88.
(2) الصفة الإبداعية للغة: تعني مقدرة الإنسان على إنتاج جمل لا حصر لها دون أن يكون قد سمعها من قبل.

تتسم بميزة أساسية من حيث أنها توفر للإنسان الوسائل اللازمة لكي يعبر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة»[1].

إذن، فالصفة الإبداعية في اللغة – التي أشار إليها تشومسكي ومن قبله ديكارت – صفة خاصة باللغة الإنسانية وحدها، وهذا ما يميزها عن لغة الحيوان.

وهكذا نرى أن الكثير من أفكار تشومسكي لها جذور الفلسفة الديكارتية.

تطورها:

المرحلة الأولى: مرحلة البنى التركيبية 1957:

يُؤَرَّخ لظهور النظرية التوليدية التحويلية بظهور كتاب "البِنَى التركيبية" الذي أصدره تشومسكي خلال عام 1957، وهو يعتبر الدستور الأول للنظرية والذي استطاع تشومسكي من خلاله تحديد الإطار النظري لهذا الجدول في مسار البحث اللساني، وقد كان في هذا الكتاب مشغولاً بأبحاث النحو من دائرة المعاني المتنافرة، ومحاربة الاعتقاد السائد أن النحو يقوم على مثل هذا "التهافت"، ونعني بالتهافت الخلط بين النحو والمعنى؛ حيث تكون الجملة سليمة نحويًا، ولكن ليس لها معنى؛ مثل: «الأفكار الزرقاء عديمة اللون تنام بعنف». وأصبح الهدف عند تشومسكي هو اكتشاف البنى التركيبية؛ إذ أضحت الجملة هي المدار الرئيس للنظرية التوليدية التحويلية ورُكْنًا من بنائها النظري، وفي ضوء هذا المنحنى عرَّف تشومسكي اللغة على أنها مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، وبالتالي فإن عدد الجمل الصحيحة نحويًا غير محدودة في أية لغة.

صرَّح تشومسكي أن هذه الفكرة قد سبقه إليها همبلدت [2]، منذ ما يزيد عن

(1) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 28 – 29.

(2) همبلدت: ولد في روسيا عام 1767، التحق بجامعة فرنكفورت عام 1787 ليتخصص بالمحاماة، لكنه انصرف إلى دراسة اللغة سنة 1788، بعد أن التحق بجامعة كوتجن –

قرن، والفكرة نفسها قال بها العرب منذ درج غير قليل من الزمن.

إن معظمَ الآراء التي طُرحت في هذه المرحلة من قبل تشومسكي كانت مماثلة لآراء هاريس اللسانية؛ إذ تخلو "البنى التركيبية" من أية مناقشة لخلقية النحو النفسية والفلسفية، إلا أنه يمكن القول أن ثمةَ نقاطًا عديدة ميزت أعمال تشومسكي عن أعمال هاريس، حيث أكَّد على الميزة الإبداعية للغة، وفكرة الحدس بمعنى المقدرة على الحكم اللغوي عند المتكلم على كلامه بالصحة أو الخطأ.

وأول فكرة طرحها تشومسكي في هذا الكتاب هي قضية استقلالية نظام القواعد؛ فنظام القواعد عنده هو المسئول عن تحديد الجمل واللا جمل، بمعنى أن توالي الفونيمات قد يُكوِّن جملاً صحيحة وقد لا يُكوِّن جملاً صحيحة، ثم يطرح السؤال التالي: ما الأساسُ الذي نعتمد عليه في الفصل بين المتواليات القواعدية وغير القواعدية ؟ يجيب تشومسكي بأنه لا يمكن تشخيص القواعدية بكل ما له معنى؛ فالجملة قد تكون قواعدية ولا معنى لها، كما هو الحال في المثال التالي:

– الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة (جملة قواعدية).

– بشدة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار (جملة غير قواعدية).

ولهذا يعتقد تشومسكي أنه لا مناص من القول أن نظام القواعد مستقل عن المعنى[1].

وصاغ تشومسكي نظريته وفقًا لثلاث أنواع من القواعد:

– Cottigen.شغل منصب التعليم في وزارة الداخلية، توفي في 1835،عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، ص 22.

(1) نوام تشومسكي، البنى التركيبية، ص 18 – 19 (بتصرف).

أ - القواعد التوليدية.

فقد سعى تشومسكي للوصول إلى قواعد شاملة تنظّم تركيبَ الجملة في جميع اللغات، وهذا لوجود عوامل كثيرة مشتركة بين البشر، وهذه العوامل تمثل أوجه التشابه الملحوظة بين لغات العالم، فهذه القواعد وحدها هي التي تولد كل الجمل السليمة من حيث النحو ليس إلا، «ثم إن هذه القواعد ينبغي أن تعطي وصفًا تركيبيًّا لكل جملة مصوغة»[1].

والقواعد التوليدية عبارة عن جهاز يحتوي على أبجدية رموز هي بمثابة معجمه، فمستخدِم اللغة يستطيع أن يفهمَ جملاً وتعبيراتٍ لم يُسبق له أن سمعها، وأبسط النماذج التي عرضها تشومسكي لهذه القواعد النحوية المحدودة، «وهو يقوم على مبدأ أن الجمل تولّد عن طريق سلسلة من الاختيارات.. تبدأ من اليسار إلى اليمين؛ بمعنى عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول، فإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها مباشرة، وبناء على ذلك يجري التركيب النحوي للجملة» [2]. ونمثل لهذا بالجملة التالية:

هذا الرجل اشترى بعض الخبز

فلو اخترنا كلمة (هؤلاء) بدل (هذا)، كان يجب اتباع هذه الكلمة بصيغة الجمع (الرجال)، وكذلك نتبع (الرجال)، بـــ(اشتروا) وهكذا دواليك، فعملية بناء الجملة وتوليدها يعتمد على مبدأ الاختيار [3].

ومن خلال المثال السابق نستطيع أن نتصور النحو كما لو كان جهازًا يتحرك

(1) مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص 27.

(2) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، 103.

(3) المرجع السابق، ص 41.

من خلال عمليات اختيارية، لكن هذا النموذج من القواعد عاجز عن توليد نوع معين من الجمل، ومن ثمة اقترح تشومسكي قواعد أخرى سمّاها بقواعد تركيب أركان الجملة، وهذا النموذج من حيث الجوهر أشدُّ قوةً من النموذج السابق؛ لأنه يستطيع القيام بما لا يقوم به النموذج الأول[1].

والملاحظ أن النموذجَ الثاني أكثرُ تعقيدًا من النموذج الأول، وتتم طريقة التحليل بواسطته والعودة إلى مؤلفات الجملة المباشرة، ويتخذ النموذج التوليدي الجملة كوحدة أساسية في التحليل، وتتخذ القاعدة التوليدية شكل قاعدة إعادة كتابة؛ بمعنى أنها تعيد كتابة الجملة بواسطة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام، ومثال ذلك: لدينا الركن الفعلي مكون من فعل وفاعل ومفعول به، نمثل له بالقاعدة التالية:

ركن فعلي ← فعل + ركن اسمي (الفاعل)+ ركن اسمي (المفعول به).

وتتضح صورة القواعد تركيب أركان الجملة التي اقترحها تشومسكي في كتابه "البنى التركيبية" كما يلي:

1) الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي.

2) المركب الاسمي ← أداة تعريف + اسم.

3) المركب الفعلي ← الفعل + المركب الاسمي.

4) أداة التعريف ← أل .

5) الاسم ← (رجل، كرة،...).

6) الفعل ← (ضرب، أخذ،..).

وتمثل العناصر السابقة على طريقة الشجر المتوالي:

(1) مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص 27.

ومثال ذلك جملة:

التلميذ يكتب الدرس

تكون قواعد إعادة الكتابة على النحو الآتي:

- الجملة ←——— مركب اسمي + مركب فعلي.
- المركب الاسمي ←——— أداة تعريف + اسم.
- المركب الفعلي ←——— الفعل +المركب الاسمي.
- المركب الاسمي ←——— أداة تعريف + اسم.

ب - القواعد التحويلية:

ونعني بها القواعد التي يمكن بواسطتها «تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة والإجراءات التي تحدث لتجعل الجملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى»[1]. وذلك عن طريق:

1) الحذف، 2) التعويض، 3) التوسيع، 4) الاختصار،
5) الزيادة، 6) إعادة الترتيب، 7) التقديم.

فالقواعد التحويلية تولّد عددًا كبيرًا من الجمل انطلاقًا من البنية العميقة نحو بنايات سطحية متعددة؛ وذلك عن طريق تطبيق القواعد السالفة الذكر.

وتتم عملية التحويل وفق نمطين من القواعد:

1) قواعد جوازية اختيارية.
2) قواعد وجوبية.

وتكمن أهمية القواعد التحويلية في قدرتها الذاتية على تفريغ الجمل من خلال

(1) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، 1998، ص 123.

العلقة التي تتبدى في ضوء ما تقدمه هذه القواعد من إجراءات تفسيرية، من خلال تبيان العمليات التحويلية المسموح بها ضمن القواعد وتحديد عددها وترتيبها وتعداد القيود المتعلقة بتطبيقها.

ج - القواعد الصوتية الصرفية:

ونقصد بها القواعد التي تحوّل المورفيمات إلى سلسلة من الفونيمات، وبمعنى إعادة كتابة العناصر كما تنطق بها، وتطبق القواعد المورفوفونيمية بعد تطبيق القاعدة التحويلية.

مثال: أ) فعل + حركة ←——— فعل.

كتب + فتح ←——— كتب.

ب) فعل + ملحقات ←——— فعل (في شكله الأخير)

كتب + وا ←——— كتبوا

وبشكل عام، يمكن أن نلخّص كلّ ما جاء به تشومسكي في مرحلة البنى التركيبية، في الشكل التالي[1]:

عنصر ابتدائي ← القواعد التوليدية ← القواعد التحويلية ← القواعد الصرفية الصوتية ← التمثيل الصوتي للجملة

يمثل المخطط البياني السابق صورة مختصرة للعمليات التحويلية لأي جملة حتى تنتهي إلى صورة الفونيمية المنطوقة، حيث يمثل العنصر الابتدائي البنية العميقة لعدد من الجمل المحتملة، أما الصندوق الثاني فيمثل مجموعة القواعد التوليدية التي تتمثل بدورها في مجموعة القواعد الاختيارية والإجبارية التي تطبق على الجملة؛ إذ تتبدل أركان الجملة لنص في الأخير إلى أن الجمل المشتقة السطحية لها أصل

(1) جون ليونز، تشومسكي، ص 60.

واحد هو البنية العميقة.

أما الصندوق الثالث فيمثل مجموع القواعد الصرفية والصوتية التي تحول الجملة من صورتها المورفيمية إلى صورتها الفونيمية.

وأخيرًا يمثّل العنصر الأخير الصورة الصوتية للجملة، أو بنيتها السطحية.

وبالتالي، يمثل هذا المخطط جملةَ الأفكار الابتدائية التي طرحها تشومسكي في "البنى التركيبية " والتي عدّلها فيما بعد، كما سوف نرى هذا في المرحلة التالية:

المرحلة الثانية: النظرية اللسانية النموذجية 1965.

يُؤرَّخ لهذه المرحلة بظهورها كتاب تشومسكي "مظاهر النظرية النحوية "سنة 1965، وهو الكتاب الذي تدارك فيه تشومسكي النقائص الواردة في كتابه الأول "البنى التركيبية"، وفي هذا الكتاب أخذت النظرية صورتها النهائية بعد التحويلات التي مستها إثر طرح "كاتز" "وفودور" "وبروندال" فكرة ضرورة إدماج القضية الدلالية على نحوٍ واضح.

وقد ميّز "تشومسكي" في هذه المرحلة بين البنى العميقة والبنى السطحية واختلاف البنويين والتوزيعيين، إذ لا يميز هؤلاء بين مستوى سطحي ومستوى عميق في الجمل [1].

التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي :

Compétence et performance linguistique:

كل إنسان ينشأ في بيئة يستطيع التعبير بلغة هذه البيئة، وبإمكانه أيضا فهم عدد غير متناهٍ من جمل اللغة وصياغتها، حتى ولو لم يسبق له سماعُها من قبل، ويتم ذلك بشكل آني، وبصورة عفوية؛ يقول تشومسكي: «إن نظامَ قواعد لغة

(1) عبد القادر المهيري، أهم المدارس اللسانية، ص 86.

ما يعكس الذخيرة المحدودة الاعتباطية للقولات الملحوظة، إلى مجموعة يفترض فيها أن تكون غيرَ محدودة من القولات القواعدية؛ فنظام القواعد بهذا المفهوم يعكس سلوكَ المتكلم، الذي يستطيع استنادًا إلى خبرة محدودة اعتباطية من اللغة أن ينتجَ أو يفهم عددًا غيرَ محدود من الجمل الجديدة»[1].

والفكرةُ ذاتها عنيت بالقدرة الإبداعية، ذلك أن النظرية النحوية لا بد «أن تعكس قدرة جميع المتكلمين بلغةٍ ما على التحكم في إنتاج جمل وفهمها دون أن يسمعوا بها من قبل»[2]. وهذه القدرة هي الفكرة الأساسية في النحو التوليدي التحويلي، بل انطلاقًا من معناها صار هذا الاتجاه توليديًّا؛ «أي أنه يبحث إمكانات توليد الجمل الجديدة اعتمادًا على إمكانات اللغة»[3]؛ فالكفايةُ اللغويةُ تعني القدرة على إنتاج الجمل وتفهُّمها في عملية تكلم اللغة، وهي أيضا مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان، والتي تُمكّنه من بناء الجمل؛ فهي تعني امتلاك الآلية اللغوية؛ يقول ميشال زكريا: «هي المعرفةُ الضمنية بقواعد اللغة التي هي قائمة في ذهن كل مَن يتكلم اللغة »[4]. ونشير هنا إلى أن هناك مصطلحات عديدة تعبّر عن نفس المفهوم؛ منها:القدرة اللغوية، الملكة اللغوية، الطاقة اللغوية، والكفاءة اللغوية.

شومسكي وابن خلدون:

لقد أشارَ ابنُ خلدون في مقدمته إلى الملكة اللغوية، وتحدّث عنها في مواطن عدة،منها قوله: «إن صناعةَ العربية هي معرفةُ قوانين هذه الملكة ومقاييسها

(1) نوام تشومسكي، البنى النحوية، ص 19.

(2) أحمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 268.

(3) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة.

(4) ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت 1993، ص 61.

خاصة، فهو علمٌ بكيفية لا نفس كيفية.. فمن هنا نعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة» [1].

والملكةُ اللسانية اصطلاحٌ لابن خلدون «يقصد به قدرة اللسان على التحكم في اللغة والتصرف فيها... وهذا يتفق مع تفسير المعاجم لمعنى الملكة عمومًا؛ فهي تعني احتواء الشيء مع الاستبداد به، لكنها هنا "ملكة لسانية"؛ فهي منسوبة إلى اللسان الذي هو محلها وتصير ملكة له احتوى اللغة وتمكن منها واستبدلها» [2].

ولقد فسّر ابنُ خلدون هذا المصطلح بما يحقّق معناه اللغوي السابق، ثم التزامه في كل ما ذكره من قضايا؛ سواء ما يتعلق بتحصيل الملكة أو جودتها أو فسادها أو دراستها في علوم اللسان العربي.

والملكةُ اللسانيةُ هي «**أساس دراسة النحاة وعلماء اللغة، فقد سعوا وراء الحصول عليها عند الناطقين الفصحاء في الحضر والبادية**» [3].

ومن هنا يتضح أن ابنَ خلدون اهتم بالملكة اللسانية من حيث أنها خاصة بكل إنسان، وتعني قدرته على تحصيل اللغة وحسن استخدامها من حيث الجودة أو الفساد، وما يدلُّ على ذلك هو سعي العلماء للحصول عليها من "الفصحاء"، فهم لم يسعوا في الحصول عليها من أي كان أو ممن دخل في كلامه اللحن؛ لأن "الفصيح" يقترب من المتكلم –المستمع المثالي الذي تنعكس ملكته على كلامه انعكاسًا يكاد يكون مثاليًا، بينما لو اخترنا شخصًا آخر يستعملُ اللغةَ استعمالاً رديئًا؛ إما لفساد لغته أصلاً، وإما لدخول اللحن عليها، وإما لتأثير عوامل عديدة خرجت من نطاق قدرته؛ كالخوف أو الحياء أو غيرهما؛ لما استطعنا تقدير قيمة

(1) ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1963، ص 481 - 482.
(2) محمد عيد، الملكة اللسانية عند ابن خلدون، دار عالم الكتب، 1979، ص 1 (المقدمة).
(3) ابن خلدون المقدمة، ص 01.

استعماله لما يمتلكه من "الملكة اللسانية" التي تتقارب عند جميع الناس، والفرق يكمنُ في الاستعمال الآني لهذه الجمل.

يقول ابن خلدون: «وهكذا تصيرُ الألسنُ واللغات من جيلٍ إلى جيل آخر، وتعلمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع؛ أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، و لم يأخذوها عن غيرهم» [1].

بمعنى أن العرب توارثوا هذه اللغة جيلاً بعد جيل، حتى تكوّنت لديهم الملكةُ اللسانية بعد ذلك، وهذا دليلٌ على أن الملكة تتكوّن لدى الأشخاص أثناء فترة طويلة تؤهّلهم فيما بعدُ إلى استعمال هذه اللغة استعمالاً صحيحًا.

ومن هذا نلاحظُ أن المعرفة الضمنية الخاصة باللغة؛ أي: الكفاءة اللغوية عند تشومسكي هي نفسها الملكة الأولى عند ابن خلدون، التي نشأ عليها الأشخاص وطُبعوا عليها، ثم تشكلت في أذهانهم بواسطة معرفتهم لأصولها وسننها.

ب - الأداء الكلامي: La performance linguistique:

يُقصد بالأداء الكلامي أو الإنجاز «ما يبلغه متكلمٌ أو سامع معين عند مباشرته الفعلية للغة» [2].

فالأداءُ الكلامي إذن هو الاستعمال الآني ضمن سياق معين، وهو حصيلة عمل الآلية اللغوية، وفي الأداء الكلامي يعود المتكلم – بصورة طبيعية – إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استخدم اللغة في مختلف ظروف التكلم.

وتتغير صورة الكلام المُتلفّظ به من شخص لآخر تبعا لعوامل عديدة، كالانتباه والتعب والانفعال؛ ذلك «أن الأداء الكلامي، وإن يكن ناجمًا عن الكفاءة اللغوية، فإنه يتضمّنُ في الحقيقة عددًا من المظاهر الطفيلية، وترجع هذه المظاهر

(1) المرجع نفسه، ص 477.
(2) عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، ص 85.

الطفيلية إلى عوامل مترابطة خارجة عن إطار اللغة، نذكر منها هنا، العوامل السيكولوجية:(ضعف الذاكرة، الانفعال، عدم الانتباه...) والعوامل السوسيو ثقافية:(الانتماء إلى مجموعة اجتماعية، طريقة التدريس اللغوي)... »[1].

فالأداءُ الكلامي إذن لا يتحقق بالفعل إلا بعزل المتكلم عن مجموع المؤثرات التي تتداخل مع الكفاية اللغوية، فالأداءُ الكلامي أو الجمل المنتَجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جملية خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة، والمسؤولة عن تنظيم هذه الفوينمات والمورفيمات في تراكيبها، فالأداء هو الوجه الخاص الذي يظهر في شكل الكلام المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة[2].

ومن هنا يظهرُ الفرقُ واضحًا بين الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي، فالأولى تعني القدرة الضمنية للغة، والثانية هي الإنجاز الفعلي لهذه القدرة، والذي نلاحظه أن هذه الفكرة ليست جديدةً، فكما سبق وأن رأيناها عند ابن خلدون، نجد — صورة ثانية — أن دي سوسير أيضا تعرّض لها، ولكن مع اختلاف في التسمية فقط.

د- سوسير وتشومسكي:

إن من أهم الثنائيات التي أسس "دي سوسير" عليها قواعده هي اللغة والكلام، فاللغةُ عنده تعني «الجانب الاجتماعي التواضعي من الظاهرة اللسانية، واللفظُ هو الجانب الذاتي، والاستعمال الشخصي لكل متكلم، واللغة بمثابة قاسم مشترك، لا وجود له في صورته الكاملة إلا في مستوى المجموعة، واللفظ هو عمل الفرد

(1) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 08.

(2) خليل أحمد عمايرة، في نحو اللغة العربية وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 1984، ص 58.

وممارسته بالاعتماد على تلك المعرفة المشتركة»[1].

فاللغة عند دي سوسير هي "تنظيم إشارات تعبّر عن أفكار"[2]، وهي كلٌّ بذاته ومبدأ تصنيف، فهي تحتل المركز الأول في قضايا الألسنية، أما الكلام فهو الاستعمال الفردي الذي يتلفظه الأشخاص، وهو تأدية جزء من هذا الرصيد (اللغة)، يقول: «إنها بالنسبة إلينا تختلف عن الملكة اللغوية، فما هي سوى جزء معين منها...إنها إنتاج اجتماعي لملكة اللغة، وفي الوقت نفسه... هي مجموعة من الاصطلاحات...تتيح ممارسة الملكة»[3]. وتعد هذه الثنائية (اللغة /الكلام) نفس ثنائية تشومسكي (الملكة /الأداء)، ولكنها لا تطابقها، والفرقُ بينهما أن دي سوسير يرى أن اللغةَ هي قدرٌ مشترك بين أعضاء الجماعة اللغوية، بينما مفهوم الملكة عند تشومسكي — كما رأينا سابقًا - يتمثل في المعرفة الضمنية للمتكلم، فهو لا علاقة له بالجماعة، وإنما يهتم بملكة المتكلم كفرد، ولا تشترك فيها الجماعة اللغوية بالضرورة.

ج- التمييز بين الجملة الأصولية وغير الأصولية:

أشرنا فيما سبق أن المتكلّمَ العارف بلغته قادرٌ على إنتاج عدد غير متناهٍ من الكلمات المتتالية، والتي تكوّنُ جملاً، وهذه الجمل قد تكونُ صحيحةً، كما قد تكون خاطئة، نسمي النمط الأول: جملاً أصولية بمعنى الجمل التي توافق الأصول اللغوية.

فالبحث اللساني عند تشومسكي لا يكتفي بمجرد معرفة التراكيب الموجودة

(1) عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، ص 32.

(2) فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1986، ص 275.

(3) المرجع السابق، ص 57.

بالفعل، بل يحدد ما يقبله النظام اللغوي وما يرفضه؛«فالجملة تمثل بالضرورة تتابعًا من الوحدات الصرفية أو المورفيمات، ولكن ليس كل تتابع من الوحدات الصرفية هذه يكون بالضرورة جملة مفيدة...»[1].

وبناء على هذا يميّز النحويون المعاصرون بين مصطلحين اثنين: grammatical بمعنى مطابق للقاعدة النحوية و non grammatical بمعنى غير مطابق للقاعدة النحوية.

ويجب الإشارةُ في هذا المقام إلى أن القواعدَ وحدها هي التي تحكمُ على أصولية الجملة أو عدمها، كما تحدّد كلَّ الجمل المحتملة في اللغة، وتمنعُ في الوقت ذاته الجمل غير الأصولية من أن تتكون، كما أن الحكمَ على أصولية الجملة لا ينحصر بقَبول جملة ما أو رفضها، وإنما أيضا ينصُّ على وجود تفاوت في الجمل الأصولية من حيث درجة انحرافها عن قواعد اللغة، ومثال ذلك:

أبحر الإسكندرية من سعد اليوم إلى باريس[2]

يعلق"ميشال زكريا"على هذا المثال بقوله: «لا يمكن اعتبار هذه الجملة مفيدة؛ وذلك أن كلمةَ (الإسكندرية) تقعُ فاعلاً للفعل أبحر... إلا أنها غير مقبولة، وذلك لأنها لا تخضعُ لقاعدةِ الملائمة بين سمات الاسم والفاعل والفعل»[3].

كما أننا لو قارنا الجملة السابقة بالجملتين المواليتين:

- سيعود حاملاً مصر إلى الاستقلال ←——— 2.
- مصر حاملاً الاستقلال إلى سيعود ←——— 3.

---

(1) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ص 126.

(2) الجملة مأخوذة من رواية نجيب محفوظ (قصر الشوق) وقد تلفظ بها أبطال الرواية بعد أن فقدوا توزانهم بسبب إكثارهم من الشرب.

(3) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 10.

فنلاحظ أن الجملة (2) غير أصولية أيضًا، وكذا الجملة (3).ومن هنا يتبين أن درجة انحراف الجملة (2) عن الأصولية أقل من درجة انحراف الجملة (1).

كما لا يجبُ الخلطُ بين الجمل الخاطئة نحويًا، والجمل الخاطئة معرفيًا.

مثال: الإنجيل معجزة النبي محمد صلى ﷺ.

فهذه الجملة صحيحةٌ نحويًا، ولكنها خاطئة معرفيًا، وبالتالي فهي جملةٌ أصولية.

د- البنية السطحية والبنية العميقة.

يميز"تشومسكي" بين البنية السطحية ويرى أنها «البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي تصدر عن المتكلم»[1]، وبين البنية العميقة «بمعنى القواعد التي أوجدت هذا التتابع، وهي التي تتمثل في ذهن المتكلم المستمع المثالي؛ أي:هي عبارة عن حقيقة عقلية يعكسها التتابع اللفظي للجملة، أي: البنية السطحية»[2].

ويمضي"تشومسكي" ليؤكد أن البنيةَ العميقة structure profonde أساسيةٌ لفهم الكلام وإعطاءه التفسير الدلالي، وهي ضمنيةٌ تتمثّل في ذهن المتكلم المستمع يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكوّن البنية السطحية [3].

فالبنيةُ العميقة كما يراها تشومسكي «بنيةٌ مجردة مفترضة ينتجها الأساس وتحتوي على كل العلاقات النحوية، والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة واستعمالاتها الممكنة»[4]، أما البنية السطحية «فهي البنية النهائية الظاهرية المستخدمة في سياق ما في سلسلة أفقية من الكلمات، ذات سمات صوتية أو كتابية،.وهي لذلك تحتوي على كل المكونات الفونولوجية

---

(1) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 159 (حاشية المترجم).

(2) المرجع نفسه، ص 160.

(3) ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام، ص 268.

(4) محمود أحمد نحلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت 1988، ص 60.

اللازمة للتفسير الصوتي»[1]، والعلاقة بين البنية السطحية والبنية العميقة تُعَدّ محورًا مهمًّا لتحليل بناء الجملة، وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلا على أساس تعدد الأبنية العميقة لها.

وبناء على ما سبق، فإن البنيةَ السطحية تختلف عن البنية العميقة من حيث أنها – البنية العميقة – تتقارب عند جميع الناس، بينما تختلف الثانية من فرد لأخر بحسب عوامل عديدة، فالأولى هي ترتيبُ الوحدات السطحية الذي يحدد التفسير الفونيتيكي، والذي يُرَدُّ إلى شكل الكلام الفعلي الفيزيائي وإلى شكله المقصود والمدرَك، بينما الثانية هي البنية المجردة الضمنية والتي تعين التفسير الدلالي، فالجملةُ المنطوقة غالبًا هي بنية سطحية.

ويتضح الفرق بين البنية السطحية والبنية العميقة من حيث أن البنية العميقة:

1) تمثل التفسير الدلالي للجملة.
2) البنية التي يمكن أن تُحَوَّل بواسطة قواعد تحويلية إلى بنية سطحية[2].

أما البنية السطحية فإنها:

1) تتابع العملية التوليدية التي يقوم عليها المكون التركيبي.
2) أنها الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلاً.
3) ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة، ويتم تحديد التفسير الصوتي للجمل عبرها.

هـ - أهمية المكون الدلالي في النموذج التوليدي:

كان "تشومسكي" قد أهمل في "البنى التركيبية "علمَ الدلالة أو المعنى، ولكن تنبَّهَ لذلك، فعدَّل نظريته بحيث أدخل في الدراسة المكون الدلالي في كتابه "ملامح

(1) المرجع نفسه، ص 61.

(2) أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 128.

النظرية التركيبية".

وقد اعتنى عالما اللسانيات "كاتز" "وفودور" 1963 بالقضية الدلالية وحاولا تطويرها، وذلك بوضع أنموذج تأويلي دلالي على غرار الأنموذج التركيبي، إذ وضعا نوعين من القواعد الدلالية:

أ) القواعد المعجمية.

ب) قواعد التفسيرية.

فوظيفةُ القواعد المعجمية إيضاحُ المفردات المعجمية ثم تبيان وظائفها الدلالية في التركيب، كما أن وجودَ القواعد المعجمية « لا يتم بصورة آلية وإنما تصادفه عقباتٌ من نوع خاص، يمكن التغلبُ عليها بوصف الوحدات المعجمية اعتمادًا على مجموعة خصائصها المعنوية والصوتية»[1].

أما وظيفةُ القواعد التفسيرية فهي «تحديد الطريقة التي من خلالها يمكن للمفردات المعجمية أن تنضم بعضها إلى بعضٍ وذلك من أجل تفسير التركيب دلاليًا»[2].

ثم قَوِيَ الربطُ بين المكونين: التركيبي والدلالي من قِبل "كاتز" و "بوستال" عام 1964، وذلك من خلال تقديم مفهوم جديد للقواعد التفسيرية.

وهذه الأعمال هي التي شجَّعت تشومسكي على إعادة النظر في نظريته بحيث حاول دمج المبادئ الدلالية المتطورة في منهجه، ويتكون منهجه هذا من ثلاثة مستويات:

1) **المستوى المركبي**، ويعمل على مكونيين:

أ – مكون توليدي: ويتألف من قواعد تفريعية، تصنيفية، معجمية.

(1) سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات الميسرة، ص 61.

(2) مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص 54.

ب – مكون تحويلي: ويتألف من قواعد وجوبية، أسلوبية، جوازية.

2) **المستوى الدلالي**: وهو مستوى تفسيري يعمل على البنية العميقة، إن المكون الدلالي هذا يعطي البنى العميقة للتفسيرات الدلالية من خلال القواعد الدلالية التي تضمُّ معانِ الأركان اللغوية المختلفة من أجل إنتاج التمثيل الدلالي المركبي[1].

3) **المستوى الصوتي**: وهو مستوى تفسيري يعمل على مستوى البنية السطحية للتركيب.

ودمج نظرية الدلالة في صورة أو أخرى في علم اللغة التوليدي — التفريعي، عبارة عن مظهر واحد فقط من مظاهر الاهتمام الأكبر بعلم الدلالة من طرف كل اللغويين تقريبًا في السنوات الأخيرة.

«وفي عام عام 1965 مثّل مؤلفه "جوانب النظرية النحوية"... المرحلة التي عندها أصبح ممكنًا للمرة الأخيرة تأكيد وحدة أساسية داخل النظرية، ففي ذلك تم دمج الدلالة والفونولوجيا في النظام الصوتي على غير ما كان علية الأمر في التراكيب النحوية»[2].

لقد تَقبَّل العديد من العلماء منهج تشومسكي الذي طرحه في كتابه" ملامح النظرية التركيبية"،، ولكن بعد تقصي طبيعة التفسيرات الدلالية والتراكيب استنتجوا أن المكون الدلالي غير قادر على تفسير مواد لغوية كثيرة، ولعل أكبر خطر هدد نظرية النحو التوليدي —التفريعي، هو ظهور "فيلمور" التي تبلورت في كتابه Le cas pour le cas وأثرت هذه النظرية على نحو تشومسكي تأثيرًا

(1) المرجع السابق، ص 56.

(2) ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 227 - 1987، ص 354.

قويًا، ومن بين الانتقادات التي وجهها له عدم اهتمام نظريته بالجانب المعنوي وتركيزه المفرط على القدرة التفسيرية.

المرحلة الثالثة - مرحلة النظرية النموذجية الموسعة

لم يكن"تشومسكي" مرةً أخرى راضيًا عمَّا توصّل إليه، خاصّةً بعد الانتقادات التي وُجهت له من قِبل علماء الدلالة، فأعاد النظرَ من جديد في نظريته وعدَّلها، وذلك بوضع فرضيات جديدة لتبسيط القواعد التوليدية التحويلية، وللتغلب على المشاكل ربطَ تشومسكي التمثيل الدلالي بالبنية العميقة والبنية السطحية على السواء، وذلك من خلال:

أ) قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة.

ب) قاعدة تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية [1].

وفي هذه المرحلة أصبحت القواعد التحويلية «لا تطبق إلا بعد اقتحام الكلمات المأخوذة من المعجم في رسم أركان الجملة العميقة، وكل هذا يختلف عما في النظرية الأصلية لتشومسكي، ويؤدي إلى التحلل من المبدأ الذي يقول إن التركيب العميق وثيق الصلة بتحديد صورته الدلالية»[2]. ونتيجة لذلك أسقط تشومسكي من منهجه فرضية "كاتز" و "فودور" التي ترى أن القواعد التحويلية لا تغير المعنى.

وقد عرفت نظرية النحو التوليدي التحويلي نوعًا من الركود طوال السنوات التي تلت نظريته الموسعة حتى 1980، حين طبع كتابه الجديد "المعرفة اللغوية"، وهو عبارة عن سلسلة من المحاضرات أنعشت درس تشومسكي القديم وأعطته نفسًا جديدًا، إذ تعرَّض في هذا الكتاب لنظرية "لربط العاملي"، إذ قام

(1) مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة، ص 64.

(2) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 98.

تشومسكي من خلال رسمه لصورة هذه النظرية الأخيرة بتحديد الكثير من المصطلحات التي كانت غائمة في الصورة الأولى والأقدم نسبيًا للنظرية التحويلية، وعلى رأسها مصطلح النحو، ومصطلح النحو الكلي [1].

وهكذا نكونُ قد تعرَّضنا لأهم التطورات التي مرَّت بها نظرية تشومسكي اللغوية بدءًا بالنموذج الأول الذي عرضه في "البنى التركيبية"، ثم النموذج الثاني في "مظاهر النظرية التركيبية"،فالنموذج الثالث الذي عرضه في "المعرفة اللغوية". آملين توسيع هذه الدراسة وربطها بالمجال التطبيقي مستقبلاً.

۞ ۞ ۞

[1] نوام تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص 6 (التمهيد) بتصرف.

الفصل الرابع
التداولية في التفكير اللساني المعاصر

مصطلح البراغماتية pragmatique

إن الحديثَ عن البراغماتية يستوجبُ تمييزَها عن مصطلحٍ آخر استعمله البعض للدلالة على البراغماتية نفسها وهو الذرائعية.

ونجدُ تحت البراغماتية من حيث هي منهج توجهات مختلفة، ففي البدءِ كانت تعني بخصائص استعمال اللغة، أي الدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه..، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثم تحوّلت فيما بعد مع " ج.ل أو ستين " إلى دراسة أفعال اللغة، إلى أن امتدت واتسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري (1).

وتنافسها في الاستعمال الذرائعية التي تعبرعن نظرية تهتم بالفائدة العملية لفكرة كمعيار لصدقها، وتعتبر فكرة الموضوع ما هي إلا مجموعة الأفكار لكل الوقائع المتخيّلة، والتي يمكنها أن تأخذَ أهميةً عملية يمكن إلصاقها بهذا الموضوع، هذا يعني عدم تكافؤ المصطلحين في المفهوم، بخاصة وأن الذرائعية تعبر عن مدرسةٍ فلسفيةٍ معروفة باسم يختلف هدفها عن الأولى، فهي تلح على المكون العملي والفاعل للإنسان بقصد بلوغ المعرفة، والمعرفة أداة عمل، والعمل بدوره يصبح غايةَ المعرفة، وقد انتقد "كلوس" هذا التصور الذي يؤسّس مبادئ الحقيقة والأخلاق على مصالح الفرد والزمرة الاجتماعية، ويرخص تطبيقه في الحياة العملية وتسخيره المفرط من قبل الإمبريالية الأمريكية(2).

ويقول "جميس ويليام": «الصحيحُ يكمُنُ في ما هو حقيقي بالنسبة إلى

---

(1) Larousse , dictionnaire de linguistique et des sciences des langues , sous la direction de jean Dubois, p 375.

(2) - Ibid , p. 1477

سلوكنا»[1].

وهناك مَن يستعملُ مصطلحَ اللسانيات التداولية للدلالة على البراغماتية، وهي تعني عند بعضهم "البراكسيس"، وتهتم بإدماج السلوك اللغوي داخل نظرية الفعل، وتولّي أهميةً بالغة للجانب التواصلي للغة والتفاعل بين الأعضاء الحية[2].

مفهوم اللسانيات التداولية:

إنَّ أقدمَ تعريف للسانيات التداولية (البراغماتية) هو تعريف "موريس" 1938: «إنَّ التداوليةَ جزءٌ من السيميائية التي تعالجُ العلاقةَ بين العلامات ومستعملي هذه العلامات».

وهذا تعريفٌ واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي، والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي، ويعرفها "آن ماري ديير" و"فرانسواز ريكاناتي" بقولهما:

«التداوليةُ هي دراسةُ استعمال اللغة في الخطاب»، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية؛ فهي إذن تهتم بالمعنى كالدلالية وبعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها.

وعرفها "فرانسيس جاك" بقوله: «تتطرق التداولية إلى اللغة:خطابية وتواصلية واجتماعية معًا»؛ فاللغةُ من هنا استعمالٌ بين شخصين للعلامات استنادًا إلى قواعد موزَّعة تخضع لشروط إمكانية الخطاب[3].والتداوليةُ هي الفرعُ العلمي من مجموعة العلوم اللغوية التي تختصُّ بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف

---

(1) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1992، هامش ص 54.

(2) فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص 11.

(3) المرجع نفسه، ص 8.

الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام[1].

فاللسانيات التداولية هي التي تخصُّ لساني يدرس العلاقة بين مستخدمي الأدلة اللغوية (المرسِل، المرسَل إليه) وعلاقات التأثر والتأثير.

نشأة اللسانيات التداولية:

اللسانياتُ التداولية اسمٌ جديد لطريقة قديمة في التفكير، وهي ليست سوى تطبيق للمبدأ المُعبَّر عنه في الكتاب المقدس بالعبارة:"تعرفها بثمارها".

بدأت على يد سقراط، ثم تبعه أرسطو والرواقيون بعد ذلك، لكنها لم تظهر إلى الوجود كنظرية في الفلسفة إلا على يد "باركلي"؛ فقد كشفَ عنها بطريقة لم يسبقْه فيها فيلسوفٌ آخر[2].

وبدأت في العقود الثلاثة الأخيرة دون طبيعة (غير تخصيصية) تغذيها جملة من العلوم، أهمها:الفلسفة، واللسانيات، والأنتروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع[3].

واللسانياتُ التداولية اتجاهٌ جديد في دراسة اللغة، يشارك في تنمية البحث فيه دارسون تجاوزوا بعضَ المفاهيم اللغوية التي سادت في الفترة الواقعة بين دروس "دي سوسير" وكتابات "تشومسكي"؛ ذلك أنهم انكبوا على دراسة الأشكال الدلالية، لا الدالة.

واهتمُّوا بالمقام اللغوي، وأصبحوا ينظرون في القول ويتساءلون عن علاقة اللغة

---

(1) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المقدمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 10.

(2) حامد خليل، المنطق البراغماتي عند شارلز بيرس، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص 196.

(3) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 25.

بالكلام، وجدوى التفريق بينهما[1]. وتُصنَّف اللسانياتُ التداولية داخل نظام علاماتي عام، له جذوره في مشروع بيرس وبعض اللغويين أمثال: "موريس"، و"كارناب"[2]. فبيرس هو مؤسِّسُ حركة البراغماتية، واقترنت في الأذهان باسم "وليان جيمس"، بوصفها نظرية فلسفية أكثر منها قاعدة منطقية.

كانت التداولية في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيميولوجيا، والنظرية العامة للعلامات (السيميولوجيا) ترتكز على ثلاثة مكونات، علم التركيب (النحو)، وعلم الدلالة، والبراغماتية (أداء الأفراد).

1) علم التركيب: هو نحوٌ يدرُسُ علاقة العلامات بعضها ببعض في شكل تركيبي صحيح.
2) علم الدلالة: يدرس علاقة العلامات بما تدل عليه.
3) البراغماتية: تدرس علاقة العلامات بمستعمليها المؤولين لها.

يعرف "موريس" شكل "القاعدات البراغماتية" بشكل يوازي القاعدات التركيبية، والدلالية، حيث يقول: «تقوم القاعدات التركيبية بتحديد العلاقات بين الدوال، وتقوم القاعدات الدلالية بتثبيت الترابط بين الدوال والموضوعات، أما القاعدات البراغماتية فتحدد الشروط التي يكون فيها الدال علامة بالنسبة للمتحدث، وهكذا يمكننا وصف لغة ما بشكل شامل قائلين إن اللغة بحسب المفهوم السيميائي التام للحملة، هي عبارة عن مجموع بين شخصين للدوال التي ييسِّر استخدامها القاعدات التركيبية والدلالية والبراغماتية»[3].

---

(1) محمد صلاح الدين الشريف، أهم المدارس اللسانية، ص 95.

(2) المرجع نفسه، ص 99.

(3) هربرت بركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة قاسم مقداد، ج 1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1990، ص 35.

فعلمُ النحو يهتمُّ بدراسة الخصائص الشكلية والبناءات اللغوية، أما علمُ الدلالة فهو يختصُّ بدراسة العلاقات القائمة بين الماهيات اللغوية وبين العالم الخارجي، والبراغماتية شأنها علم الدلالة لا تتوانى عن الغوص في متاهات المعاني؛ لأن المعنى يضطرنا في بعض الصيغ اللغوية إلى العودة لدراسة الطريقة التي قام من خلالها المتحدِّثُ ببناء الجملة، فحينما يقوم المتحدث بلفظ جملة معينة، فإنه يحيل - شئنا أم أبينا - إلى واقع أو إلى حالة الأشياء أو الموضوعات التي يتحدث عنها، وقد لا يكون هذا الواقع ممثَّلاً بالضرورة في الجملة، وبالتالي يجبُ أن يأخذَ بعين الاعتبار سياق اللفظ والعناصر الداخلة في تركيب الجملة لكي يتم التمكن من فهم ما يريد المتحدث قوله.

فمثلاً عبارة "الآن" تدل على زمنٍ وقوع اللفظ، والضمير المتصل (التاء) في قلت يشير إلى الشخص الذي يقوم بعملية اللفظ[1].

ونخلص في النهاية إلى أن النحو يعني بتوضيح الشروط المحددة والقواعد التي تضمنُ صياغةَ الأقوال الجيدة، وتهتم الدلالةُ بالشروط التي تجعل الأقوالَ مفهومةً وقابلة للتفسير، بينما التداوليةُ هي العلم الذي يعني بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة، وناجحة، وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم.

فإذا كانت الدلالةُ تستخدم مفهومًا مجرَّدًا، وهو الواقع، أي العالم الممكن، فإن التداولية تستخدم مفهومًا تجريديًّا يدل على الموقف التواصلي وهو السياق، فمفهومُ التداولية مرتبطٌ بالسياق، وهذا ما عُبِّر عنه في البلاغة القديمة بعبارة "مقتضى الحال"، ومقولة "لكل مقام مقال"، كما نعثر على مثل هذه العبارة عند "شيشرون" الروماني الذي يقول في كتابه عن الخطابة «إن الرجل البليغ يجب أن

---

(1) المرجع نفسه، ص 107 - 108.

يقدم لكل شيء البراهين على حكمته، ويتكيف مع مختلف الظروف والشخصيات، عليه إذن لكي يكون بليغًا أن يكونَ جديرًا، بأن يجعلَ لكلِّ مقام مقال لغوي ملائم له»[1].

علاقة اللسانيات التداولية بالبلاغة:

هناك مَن يعرِّف البلاغة بأنها "فنُّ القول بشكل عام" أو "فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ"، مما يجعلها مجردَ أداة نفعية ذرائعية.

يقول الباحث الألماني "لوسبرج": «إن البلاغةَ نظامٌ له بنية من الأشكال التصورية واللغوية، يصلُح لإحداثِ التأثير الذي ينشدُه المتكلمُ في موقف محدد، ويرى "ليتش" أن البلاغةَ تداوليةٌ في صميمها، إذ أنها ممارسةُ الاتصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما، مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما، لذلك فإن البلاغةَ والتداولية ينفعان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقِّي على أساس أن النصَّ اللغوي في جملته إنما هو: "نص في موقف"، مما يرتبط ليس بالتعديلات التي يفرضُها أشخاص المرسل والمتلقي وموقعهما على معناه فحسب، وإنما بالنظر إلى تلك التعديلات التي تحدث في سلوكهما أيضًا.

غير أن دارسي التداولية يرونَ أنه من المناسب تضييق مجال دلالة البلاغة باعتبارها أداة ذرائعية، وإلا أصبح من الممكن اعتبار كل شيء بلاغةً تأسيسًا على أن لكل شيء أهدافَه النفعية، وأن كل رسالة لها قصدها وموقفها وظروف تلقيها؛ فالتداولية إذن قاسمٌ مشترَك بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية[2].

---

[1] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 71 - 79.

[2] المرجع السابق، ص 97.

ثم ما لبثت اللسانياتُ التداولية أن نمت وتطوَّرت وتوسَّع مجالُ بحثها بعد أن كانت مجالاً من مجال السيمياء، أصبح لها روادٌ كثيرون من فلاسفة ومناطقة ولسانيون أسهموا في تطويرها بطريقةٍ مباشرة وغير مباشرة.

من رواد اللسانيات التداولية:

هناك مؤسِّسون مباشرون للسانيات التداولية أمثال" بيرس" و"موريس". ومؤسِّسون غير مباشرين أمثال "فريج" و"فتجنشتاين". ومؤسسون متعاقبون مثل "كارناب" و"بارهييل".

المؤسسون المباشرون:

أ - "شارل ساندريس بيرس"[1]:

استقى "بيرس" تسميةَ مصطلح "البراغماتية" من "كانط"، حيث ميَّز بين لفظ براغماتي ولفظ عملي، وهذا الأخيرُ ينطبق على القوانين الأخلاقية، والسابق على

---

[1] انحدر بيرس الذي ولد عام 1838 من عائلة ذات شهرة علمية واسعة، بدأ بدراسة الكيمياء في الثامنة من عمره، وأنشأ في الثانية عشرة مختبرًا كيميائيا خاصًّا به، لكنه سرعان ما أظهر ميلاً شديدًا إلى الفلسفة، فاطلع على منطق ويتي، وواظب منذ ذلك الحين على قراءة كتب الفلسفة في الوقت نفسه الذي كان يتابع فيه دراسة الرياضيات والفيزياء وبقية العلوم، حصل عام 1862 على درجة (M.A) في الكيمياء، وفي العام التالي حصل على (SCB)، وقرأ لشيلر وكانط، نشر في عام 1878 ملاحظات فلكية بحث في قياس الضوء، ورفضت جامعات أمريكا السماح له بالعمل كمدرس ما عدا إلقاء بعض المحاضرات في المنطق بسبب سجاياه المنفرة وغموض أسلوبه، فانقطع عن العمل في المؤسسات العامة 1891، ولازم مسكنه حتى وفاته عام 1914، وبعدها جمعت جامعة هارفارد مقالاته ومخطوطاته في ثمانية مجلدات (Peirce collected papers of Charles Sanders). انظر حامد خليل، المنطق البراغماتي عند شارلز بيرس، المقدمة 7.وانظرفؤاد كامل:من أعلام الفكرالفلسفي المعاصر ندار الجيل، بيروت نط1993،1،ص95ومابعدها.

قواعد الفن والتاكتيك التي تعتمد على التجربة.

أما البرغماتية بالنسبة لبيرس، فهي منهج في التفكير لا نظرية فلسفية، منهج لتحديد معاني الألفاظ والمفاهيم أو نظرية في معنى الإشارات، لجأ إليها لمعرفة الواقع وربط بينها وبين إثبات واقعية القوانين، وبينها وبين نظريته النقدية في الإدراك السليم الفطري، وبينها وبين نظريته في الاتصال.

انتقل التأثير إليه في صياغة قاعدتها من العصر الوسيط على يد جون ديتز سكون، ويعني "بيرس" بالمنهج البرغماتي فن توضيح الأفكار، وبهذا فقد ساوى بين معنى الأفكار والوظائف التي تقوم بها، وتأثر بيرس أيضا بأراء "بن" المتعلقة بتعريف المعتقد، وهو يهيئ الإنسان إلى الفعل وقد كان على استعداد لاعتبار "بن" أبا البراغماتية[1].

وقد مر فكر بيرس بثلاث مراحل:

1 - المرحلة الأولى:

لم تظهر البراغماتية إلى النور حتى عام 1878 حين كتب مقاله المشهور "**كيف نجعل أفكارنا واضحة؟**"، الذي يعتبر امتدادًا لمقال "تثبيت المعتقد" سنة 1877، فقد اعترض على رأي "باركلي" القائل بأن الطريقة الوحيدة لتقرير طبيعة المعنى المتميز لأي لفظ هي أن نسأل: هل نستطيع تعيين أية فكرة عقلية تتطابق معه؟ قد رأى "باركلي" أنه إذا لم يكن في مقدورنا ذلك، فإن الحد أو اللفظ لا معنى له مهما كانت الفائدةُ التي تترتب عليه، وفي مقابل ذلك تمسك بيرس بأن أي حد أو لفظ مجرد لا معنى له إذا لم يكن في مقدورنا استخدامه، أو أن نقوم بفعل شيء بموجبه بطريقة ملائمة ومتميزة.

(1) حامد خليل، المنطق البراغماتي عند شارلز بيرس، ص 196 - 197.

ثم بعد هذا بعامين أضافَ أن معنى أية فكرة يكمن بالنهاية في تأثيرها على أفعالنا[1]، والبراغماتية عنده تجعل التفكير في علاقة بالفعل لكنها تستبعد أن تكون مجموعة الأفعال المترتبة على اعتقادنا بالشيء، هي معنى ذلك الشيء[2].

وهناك سمتان أساسيتان ميزتا براغماتية بيرس في هذه المرحلة:

الأولى هي أن معنى المفهوم ذو طبيعة عقلية، أما الثانية فهي أنه عام، فالبراغماتية عنده هي نظرية في معنى الأفكار، ليست نظرية رسمية بل هي نظرية إجرائية: البراغماتية قاعدة منطقية من نوع خاص نستخدمها لتحديد معنى المفاهيم، أو توضيحها عن اعتقادنا بها[3].

2 - المرحلة الثانية:

ربط "بيرس" في هذه المرحلة بين البراغماتية والفينومينولوجيا، وذكر أن المعيار الحقيقي للمعنى يجب ألاّ يشير إلى الفعل، وإنما إلى الغاية القصوى التي تحكم ذلك الفعل وتوجهه، وقد عالج البراغماتية في سبعة مقالات بعنوان "محاضرات في البراغماتية".

المحاضرة الأولى أشار فيها إلى الأخطاء التي وقع فيها بخصوص تعريفه المبكر للبراغماتية (تصوره أن البراغماتية نتيجة طبيعية للمعتقد).

وخلص إلى أن البراغماتية - بوصفها قاعدة في المعنى - ترتبط بالاستدلال الفرضي؛ لأن الفكرةَ الجديدة هي الفكرة الوحيدة التي تحتاج إلى إيضاح وتفسير، وعلى هذا الأساس نظر إلى البراغماتية في المحاضرة السابقة على أنها منطق الفرض.

والواقع أن تحليل العلاقة بين البراغماتية والفرض يبين أن "بيرس" كان يعلق أهمية

(1) المرجع نفسه، ص 198.

(2) المرجع نفسه، ص 203.وانظر فؤاد كامل،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر،ص97

(3) المرجع السابق، ص 203.

كبرى على دور البراغماتية في الاستدلال.

ويمكن ملاحظة وجود ثلاثة مستويات في معالجة بيرس للعلاقة بين الفرض والبراغماتية:

الأول - البراغماتية مبدأ كافٍ للمعنى:

قال "بيرس" إن البراغماتية تقترح القاعدة التي إذا كانت صحيحة لن تكون بحاجة إلى أية قاعدة أخرى، ولكي نسلم بالفرض بوصفه فرضًا، أي تفسيرًا مقبولاً للظواهر، أي إذا لم تكن ثمة فرض آخر، ينتج نفس النتائج العملية المترتبة على الفرض المذكور، عندها يمكن التسليم بالفرض.

الثاني - مبدأ موجه يرى بموجبه أن للفرض معنى:

فقد قال "بيرس" إن البرغماتية هي القاعدة التي ترى أن لا يكون للتصور أي تأثير منطقي" أو أي معنى آخر يميزه من تصوّرٍ ثانٍ، إلى الحد الذي يستطيع تصورنا تعديل سلوكنا العملي بشكل مختلف عن التصور الثاني[1].

أما المستوى الثالث بين فيه "بيرس" أن دورها – البراغماتية – ينحصر في تعيين الشروط الأساسية ليكون للفرض معنى.

وقد حدد دور البراغماتية في ثلاثة شروط، يتعين على الفرض تحقيقها لكي يكون له معنى:

1) أن يفسر الوقائع.
2) أن يقود إلى عادات للتوقع لا تخيب آمالنا في المستقبل.
3) أن يكون الفرض قابلاً للتحقيق التجريبي.

وقد تعلم بيرس من الأخلاق وعلم الجمال أن على البراغماتية أخذ الغاية على

(1) حامد خليل، المنطق البراغماتي عند شارلز بيرس، ص 210.

أنها الكل الذي يكون المعنى.

وتبقى البرغماتية هذه المرحلة قاعدة خاصة في المنطق وليس جزءًا من نظرية المنهج ولا هي مبدأ صريح وواضح لتعيين معنى الفرض[1].

3 - المرحلة الثالثة:

بلغ فكر بيرس في هذه المرحلة قمةَ النضج، فقدّمَ لنا نظريةً متكاملة ودروسًا في المعنى كان فيها رائد العصر الحديث في هذا المجال، ويبدو أن اهتمامه الشديد بنظرية الإشارات في الفترة المتأخرة من حياته كان له الأثر الأكبر في التحول من الفهم الإجرائي للقاعدة البراغماتية إلى الفهم المنطقي الخالص، فالبراغماتية في هذه المرحلة تطوير لنظريته المبتكرة في الإشارات.

فقد كان ما يشغله في هذا المجال هو اكتشاف طريقة يتم بموجبها الاتصالُ بين الناس، هذا الأخير الذي لا يمكن أن يتم إلا من خلال الإشارات.

فكان مسعاه يتجه إلى إيجادِ طريقةٍ جديدة لتحديد معنى الإشارة، وقد بدت معالجته للبراغماتية من خلال مستويين مختلفين قليلاً عن بعضهما: يمثل الأول مقالان نشرهما عام 1905 بعنوان "ما هي البراغماتية؟": والثاني "النتائج براغماتيسم".

أما المستوى الثاني فيمثله مقال "نظرة في البراغماتسم" 1906، وقد أشار في مقالاته المذكورة إلى أن براغماتيته تهدف إلى وضع حد للنزاع القائم في مسائل الميتافيزيقا، والحقيقة أن بيرس في تحليله للبراغماتية على هذا النحو أعاد لها الطابع العقلي الذي سلبتها منه براغماتية جيمس، والتي هي في مجملها حركة تمرد خطيرة ضد العقل، كما أنه خطا خطوةً كبيرةً إلى الأمام في تاريخ الفكر التجريبي، فنقله

(1) المرجع نفسه، ص 210 - 212.

من ميدان المحسوس والجزئي الذي حصره فيه التجريبيون الإنجليز، إلى ميدان المعقول والعام دون أن يكونَ ذلك قد تم بطريقةٍ تأملية خالصة على طريقة العقليين التقليديين.

كذلك فإنه تصدّى بقوة لمحاولات الوضعيين التي كانت ترمي إلى القضاء نهائيًّا على الميتافيزيقا؛ ذلك حين رأى أن معنى المفهوم ينحصر فيما يمكن تحقيقه بشكل فعلي ومباشر فحسب[1].

تصور تشارلز سانديرس بيرس للدليل.

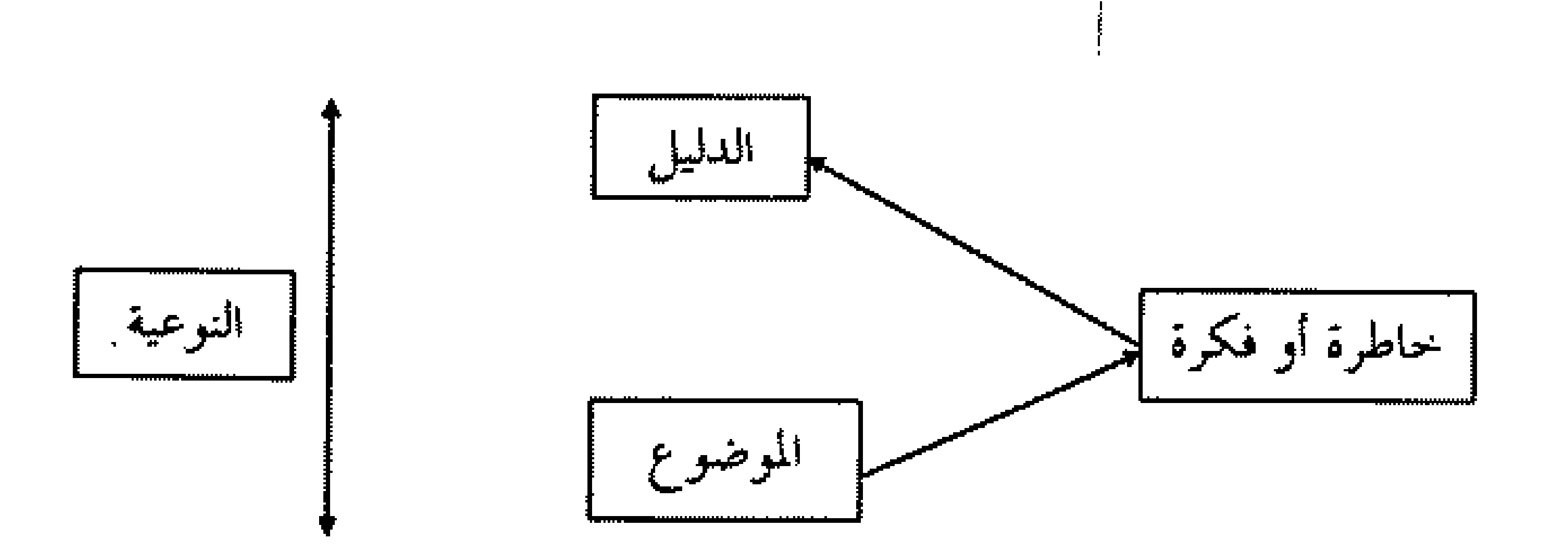
إن العالم بالنسبة لبيرس يتم إدراكه بواسطة التفاعل بين الذوات والنشاط السيميائي؛ أي أن هذا يحصُل أساسًا بفضل الأدلة؛ إذ أن الناس بينهم علاقة جد خاصة مع الأدلة التي تشكلُ رموزًا تنهض بتمثيل الواقع الذي يحملهم على السعي والتحرر؛ فيقول: «لكي نبلور دلالة فكرة يجب علينا بكل بساطة تحديد العادات التي تولد هذه الأدلة... إن السمة المميزة للعادة إنما تكمن في الكيفية التي تحملنا على العمل، ليس في تلك الظروف المحتملة فحسب، بل كذلك في الظروف الممكنة الحصول، بل حتى في تلك التي يتعذر تصورها»[2].

ومن هنا يصف "هابر ماس" موقف بيرس العلمي باعتباره نوعًا من إسقاط تجربة التطور العلمي صوب الجماعة الموجهة للجنس البشري، وهذه العلاقة بين العلم والحياة أُعيد طرحُها في شكل حكمة ذكرها هابر ماس "العلم بالنسبة إلينا شكل من أشكال الحياة".

(1) حامد خليل، المنطق البراغماتي عند شارلز بيرس، ص 213 - 214.

(2) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 8. وانظر جميل حمداوي، السميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، مجلد 25، عدد 03، 1997، ص 84.

والحياة التي تشتمل على العلم لا يمكن إدراكها إلا بفضل نظام من الأدلة، ووضع بيرس تخطيطًا يوضح تصوره حول الدليل الذي يتوفر على علاقة ثلاثية تتحق بواسطة سيرورة متجانسة تدعى السيميوزيس.



الدليل أو الوحدة الممثلة هو شيء موجود من أجل شخص ما لغرض ما، وذلك على نحو من الأخطاء؛ أي أنه يحدث في فكر هذا الشخص دليلاً مساويًا، أو قد يحدث فيه دليلاً أكثر تطورًا، هذا الدليل الحدث يسمى مؤوِّلاً للدليل الأول.

والدليل موجود هنا من أجل ما هو موضوعه لا من حيث علاقاته، بل من حيث إحالته على نوع من الفكرة نسميها قاعدة الوحدة الممثلة، فالدليل يتوفر على علاقة ثلاثية الأبعاد.

1) يؤول فكرة.
2) هو مصنوع من أجل موضوع بعينه، ويدل على نفس الشيء الذي يقوم بتأويله.
3) هو موجود على نحو من النوعية التي تضعه في علاقة مع موضوعه[1].

(1) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 9.

تمييز بيرس بين الرمز والإشارة والأيقونة[1]:

1) **الإشارة:** هي ما يدل على أي شيء يتعين من جهة بموضوع، ويثير من جهة أخرى فكرة معينة في الذهن.
2) **الأيقونة:** هي الإشارة التي تشير إلى موضوعها نتيجة اشتراكهما في خاصية معينة هي المشابهة؛ فالتمثال هو إشارة إلى الشخص.
3) **العلامة:** الإشارة التي تشير إلى موضوعها نتيجة لوجود ترابط فيزيقي بينها وبينه، كالدخان إشارة إلى وجود نار.
4) **الرمز:** الإشارة التي لا تشير إلى صفات عامة في الموضوع، مثل "فان" بالنسبة للإنسان[2].

يمتاز الرمز بعلاقة الاعتباطية التي تربطه بموضوعه، فنجد بالنسبة لموضوع معين عدة أدلة مختلفة في لغات مختلفة، أما الصفة الأيقونية للدليل فيتم الوقوف عليها من خلال تشبهها الصوري المحض بموضوعها (الصفات المحاكية للطبيعة)، أما بالنسبة للأمارة فإنها تندرج في علاقة العلة بالمعلول فالدموع دليل الحزن[3].

ومن هنا تعد العلامة رمزًا إذا كان ما تمثّله ملازمًا لها عُرفًا، وتلك هي حالة علامة اللغة والكودات الثقافية، ويلازم العرف العلامة بالضبط كما يلازم النمط المدلول، ويغطي الرمز عند بيرس الاعتباطية السوسيرية للعلامة، وتعد العلامة إشارة إذا كانت كل وحدة من مقابلاتها مرتبطة وجوديًا بما هو مقياس، فالعلامة وما تحيل عليه يكونان طرفًا في وضعية وجودية واحدة.

(1) جميل حمداوي،السيميوطيقا والعنونة،ص86.
(2) حامد خليل، المنطق البراغماتي عند تشارلز بيرس، ص 271.
(3) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 9 وانظر محمد السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء،ص29.

كما تقتسم العلامة والأيقونة بعض الخاصيات وتزودنا بخطاطات ورسومات المعماريين، وبذلك نجد للتوزيع الثلاثي الرمزي الإشاري – والإشاري – الأيقوني قيمة سيميائية العلامة.

ب - شارل وليام موريس:

1 - تصوره للدليل

إن وظيفةَ الدليل الثلاثية عند بيرس (منظور إلى الدليل من حيث معناه الضيق: الناقلات المادية للسيرورة السيميائية، الأشياء المدلول عليها والمؤّولات).

قد أعاد موريس السيميائية. بالنسبة لموريس يجب تصورها كسيرورات السلوك، فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به، علمًا بأن وظيفة المحيط وأهميته عاملان حاسمان في إرضاء حاجاته، ومن ثم فإن هناك تفاعلاً بين هذين العاملين. إن موريس لا يبتعد كثيرًا عن تصور بيرس من حيث البعد السلوكي.

وتحتوي سيرورة الدليل – في نظره – على اربعة عناصر:

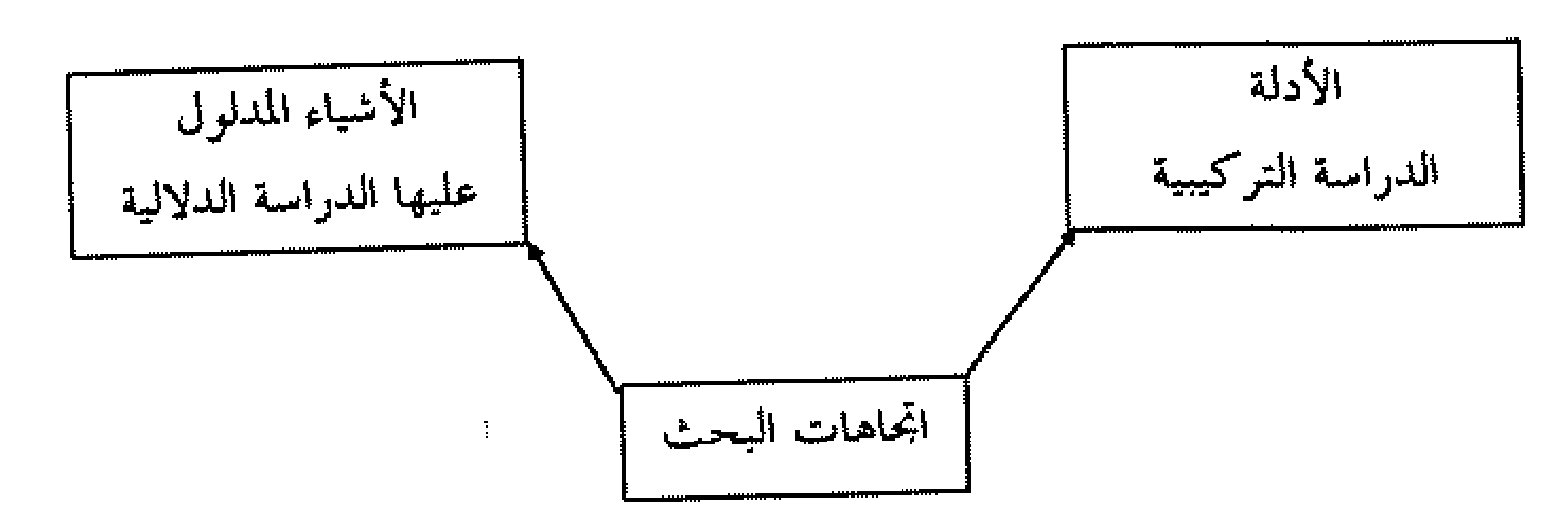
1) العنصر الذي يقوم مقام الدليل أو الناقل.
2) العنصر الذي يتم إحالة الدليل عليه (المدلول عليه).
3) عنصر الأثر يحصل المرسل إليه، والذي يبدو له وكأنه الدليل أو المؤول.
4) المؤّول.

هذا، ولا توجد هناك تراتبية تنظم هذه العناصر حال كونها تساهم في السيرورة السيميائية، وهذه العناصر الأربعة لسيرورة الدليل تُمكّن من استشراف ثلاثة توجهات للبحث النظري الأساسي. وهذه التوجهات الثلاثة متداخلة فيما بينها أيما تداخل:

«أثناء وصف السيميائيات تفترض اللسانيات التداولية مسبّقًا كل من الدراسة

التركيبية والدلالية؛ لأن المناقشة الحصيفة السديدة لعلاقات الأدلة بمؤوليها تستلزم معرفة علاقات الأدلة بعضها ببعض، وكذا علاقة الأدلة بالأشياء التي يحيل عليها المؤّولين»[1].

ويمكن تمثيل تصور الدليل عند موريس بالتخطيط التالي:



الدراسة التداولية (المؤّولون / المستخدمون).

انطلاقًا من هذا التخطيط الذي يمثل الأنموذج التبليغي يعتبر موريس أن الأدلة يمكن أن تكونَ ناقلة لثلاث وظائف أساسية، وبنية اللغة المنظور إليها من الوجهة اللسانية التداولية، هي عبارة عن نظام من السلوك، ووظيفة الدلالة على المسمى تهيئ المرسل إليه إلى رد فعل ما، مثل جملة "هناك كلب أمام الدار" تهيئ المخاطب إلى إتخاد رد فعل معين.

فعند استخدام أقوال في أوضاع ومقامات بعينها يجب استشارة وظيفة اللغة التقييمية؛ فكل مرة يستوجب دليلاً ما اتخاذ موقف لدى المتلقي، سواء كان إيجابيًا أو سلبيًا،وهذا يعني أن المتلقّي يضطلع بالوظيفة التقييمية.

إن أولئك الذين يقومون بتبيين القوانين أو استظهار الأوامر إنما ينجزون وظيفة

---

(1) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 11.

السن، معناه أنهم يخيرون المتلقي بين أمرين الطاعة أو العصيان، "أغلق الباب"[1].

من هنا نلاحظ طغيان الصبغة السلوكية على تصور موريس للدليل.

2 - التداولية عند موريس ضمن سميائية ثلاثية الحدود.

سلّم موريس بثلاث علائق عند دراسته لطبيعة العلامة، وأبعاد ومستويات السيميوزيس هي:

- علاقة العلامة بالموضوعات.
- علاقة العلامة بالمؤّولين.
- العلاقة الشكلية للعلامات فيما بينها.

تدخل العلامات في علاقات مختلفة،حيث تشترك في البعد النحوي، وتشير وتسجل في البعد الدلالي وتعبر في البعد التداولي.

ويعتبر موريس بأن الشكلاني يعد كل النظام القيمي للغة دون الاهتمام، فيما إذا كانت اللغة مكتوبة، وكذلك الموضوعات، أنا التجريبي يلح على ضرورة علاقة العلامات بالموضوعات، والتداولي يرى أن اللغة نشاط تواصلي أساسي[2].

ويرى موريس أن التداولية تعالج ظاهرة حياتية للسيميزيس، وهي مجموعة المظاهر السيكولوجية والبيولوجية المرتبطة بعمل العلامات، ويميز بين التداولية المحضة والوصفية؛ فالأولى تحيل على إنجاز اللغة أو الكلام وتحيل علىالبعد التداولي للسيميزيس[3].

3 - مفهوم القواعد التداولية.

تتمثل القواعد التداولية في الشروط الخاصة للتأويلات، وتعمل كل قاعدة

---

(1) المرجع السابق، ص 12.

(2) فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ص 27.

(3) المرجع نفسه، ص 27.

بطريقة سلوك نمطي، ويوجد مكون تداولي في كل القواعد، كما توجد قواعد تداولية خصوصية تعبر عن شروط يجب استيفاؤها، واصطلاحات تقويمية وتعبيرات، ومختلف الطرق البلاغية أو الشاعرية.

«فاللغة بالمعنى السيميائي التام للكلمة، هي المجموع المتداخل بين شخصين للعلامات السيارة التي يتحدد استعمالها من خلال قواعد نحوية تداولية ودلالية».

يرى موريس أنه بالتحديد التداولي تتحدد العلامة اللسانية بحكم استعمالها في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معينة[1].

وهكذا فتداولية موريس التي استلهم فيها جهود بيرس تتعدى كونها تداولية لسانية محضة، وهي مرتبطة بالسيميائية التي يغطي انتشارها كل مظاهر الحياة خارج اللغة.

مؤسسون غير مباشرين: فريج وفينجنشتاين:

الدلالة عند كوتلوب فريج:

ميز فريج بين اللغة العلمية ولغة التواصل، وبين المظاهر المحددة للحقيقة، والمظاهر غير المحددة، وهو يعارض في هذا أهم تلامذته.

فبالنسبة للتمييز الأول يوضح أن اللغة الطبيعية قابلةٌ لمعالجة دقيقة، خاصة وأنه بالإمكان استخلاص شروط عامة للتواصل، أما التمييز الثاني فضرورة تحديد الحقيقة تفرض ضرورة إدخال اعتبارات تداولية.

لقد ميز "فريج" بين المعنى والمرجع؛ فالمرجع هو الموضوع ذاته الذي نتكلم عنه بواسطة تعبير لساني، ويعد شيئًا خارج اللسانيات، وكان له أثر حاسم في نمو الدلالة من خلال مبدأين:

(1) المرجع نفسه، ص 20- 21.

الأول: تصاعد السياقية.

الثاني: تصاعد الحقيقة المشروطة، إذ يقوم معنى الجمل على مفهوم شروط الحقيقة،

> فالإلمام بمعنى جملة ما يقتضي معرفة الشروط التي تتوفر حتى تكون حقيقية[1].

فيتجنشتاين[2]:

كرس جهوده في دراسة اللغة المثلى لوصف العالم، ثم انضم إلى الفلاسفة أكسفورد بقصد دراسة اللغة الطبيعية، وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي الدلالة، والقاعدة وألعاب اللغة.

1 - الدلالة:

أفاد فيتجنشتاين أنه لا يجبُّ الخلطَ بين المعنى المحصل والمعنى المقدر، لأن هذا يعني الخلط بين الجملة والقول، كما حدد معنى الجملة الحقيقي الذي يمكن مشاهدته والتحقق منه في صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة.

2 - القاعدة:

يرى أنه يجب النظر في هذا المفهوم من حيث وجوهه الاجتماعية والاستبدالية والنحوية، فوجه القاعدة الاجتماعية يكمن في أنها تستدرج إلى التواضع

(1) المرجع السابق، ص 28.

(2) ولدلودفيج فتجنشتاين في فينا عام1889 في أسرة يهودية نمساوية "واسعة الثراء والثقافة،تخصص في هندسة الطيران،ثم درس الرياضيات والمنطق والفلسفة على يد فريجة وراسل، إلى أن أخرج كتابهُ الفلسفي إلى العالم في ظروف عصيبة، مثيرًا ضجة معرفية لم تهدأ حت الآن،وبقي وقتا يتردد بين كبرى الدول بحثا عن المعرفة إلى أن توفي عام 1951 في كمبريدج، من أشهر مشاريعه العلمية السعي إلى بناء اللغة المثالية التي يكون بوسعها وصف الواقع المادي وصفًا دقيقًا.

والاصطلاح، أي أن استخدامَ الأدلة يمتثل إلى القاعدة، «إن اتباع قاعدة ما وإعطاء معلومة وأمر ولعب الشطرنج، كلها ممارسات؛ أي تقاليد ومؤسسات»[1].

ونفهم قول فتجنشتاين هذا أنه يجب على كل من يشارك في لعبة اللغة، أن يمتثل للقواعد الأساسية؛ أي الاصطلاحات الاجتماعية، كما لا يجب أن يجهل بعض القواعد غير الأساسية - القواعد الفردية - فهي نماذج ومُثل صالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين تسمح بتنويع النشاط اللغوي.

3 - ألعاب اللغة

يبين الفيلسوف "فيجتنشتاين" أن الشك غير وارد في ألعاب اللغة، والأهم هو أن لا تثبت التجربة العكس فيما بعد، يقول: « تصور اللعبة اللغوية التالية: عندما أناديك: أدخل من الباب، ففي جميع الأحوال الحياة العادية، يبدو الإقدام على الشك بأن هناك باب حقًا ضربًا من المستحيلات».

ففي نظر فيتجنشتاين أن اللعبة اللغوية تشبه شكلاً من أشكال الحياة، أي أنه لا توجد طريقة واحدة لاستخدام جملةٍ ما، بل ثمة عدد لا حصرَ له من الطرق (الأمر، الوصف، التمثيل، الغناء، المزاح، الشكر، التحية،...إلخ).

ويمثّل مسعاه عمومًا في شرح كيفية اشتغال الكلمات في التجربة وتبيان تطور الألعاب اللغوية بتطور النشاطات الاجتماعية.

وهكذا، تشكل هذه الألعاب طرائق يتعلم الأطفال بواسطتها لغتهم الأم، وكيفية الاندماج في المجتمع.

يضع فيتجنشتاين التواصلية محل استبدال التعبيرية مشددًا على أهمية الاستعمال

(1) جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 18 - 19.

قائلاً عن ذلك: «ما الذي يعطي الحياة العلامة؟ إنما تعيش خلال الاستعمال، فهل تمتلك النفس الحياة ذاتها أو أن الاستعمال هو ذاتها»[1].

ومن هنا فالأمر لا يتعلق فقط باستعمال كلمة في جملة، بل باستعمال الجمل في المواقف المحسوسة، أي مواقف الفعل، وهي وجهة تداولية، فليس الهدف في اللغة هو الفهم والتمثيل بل هو ممارسة وتأثير فعلي للواحد في الآخر.

حيث يقول: «فإن لا نقول أي بدون لغة لن نتمكن فيما بيننا، والأكثر من هذا أنه بدون لغة لن نتمكن من التأثير في الآخرين بطريقة أو بأخرى»[2].

يقول "سيرل" في نقده لفتجنشتاين: « لا يوجد عددٌ لا نهائي أو غير محدد لألعاب اللغة أو استعمالها، إلا أن وهم الطابع غير المحدود. كما يُؤخذ عليه أنه غير تداولي بما فيه الكفاية، أو غير حواري بما فيه الكفاية.

وقد كشف "فيتجنشتاين" الطابع الجوهري لتطبيق تداخل الخطابات حيث يطرح موضوع تساؤل التداولية التقليدية للتعبيرية.

وتبقى ألعابُ اللغة عمومية كلية ودون تاريخية، وتظل مفاهيمها إشكالية بشكل واسع تتميز بغرابة التفاعل الشفوي في مكونات المعنى حسب "فرانسيس جاك"[3].

(1) فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ص 22.

(2) المرجع نفسه، ص 23.

(3) المرجع نفسه، ص 23 - 24.

مؤسسان متناوبان: رودولف كارناب وباهو سيابارهييل.

يعد"كارناب"[1] طابع التداولية قضية هامشية، هذا العضو المؤثر بحلقة فيينا[2] والمنطق الإبستمولوجي، وفيلسوف العلوم الذي استلهم أعمالَ موريس بشكل واسع في تعريفه وبرامجه المتأثرة بهدفها المزدوج، حيث نجد طابع الصيغة التجريبية للتداولية وصفة التناوب[3].

ويرى"كارناب" بأن التداولية كانت علمًا تجريبيًّا كما يميز بين السيميائية المحضة والسيميائية الوصفية، مع إعلانه عدم إمكانية إدراكه لتداولية محضة، وتتأسس كلُّ دراسة لسانية وكل دراسة للأحداث في ارتباطها باللغة على التداولية.

يقول"موريس": «إذا كنا نُحيلُ في بحثٍ ما مباشرة على المتكلم أو على مستعمل اللغة حتى نتمكن بتحديدات أكثر عمومية، فإننا نعتبر هذا البحث صادرًا عن التداولية»[4].

---

(1) ولد"رودلف"كارناب" في ألمانيا عام 1891 وتوفي عام 1970 من أهم أعماله:البناء المنطقي للعالم،موجز المنطق الرياضي، مدخل إلى علم المعاني،الفلسفة والبناء المنطقي،متصل المناهج الاستقرائية، انظر فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر،ص89.

(2) حلقة فيينا: نادٍ يتكون من فلاسفة ومناطقة ورياضيين، وقد سعوا إلى ابتكار لغة واصفة مشتركة لكل المجالات العلمية تسمح بإجراء تحليل صارم. وقد قادهم هذا المسعى إلى النظر في اللغة – الموضوع قبل كل شيء – ذلك أن فيتجنشتاين كان يرى أن الاستعمال هو الذي يوفر معنى القول، وقبل الحرب العالمية الثانية غادر أعضاء هذا النادي بلادهم واستقروا في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وضع هذا النادي التجريبية المنطقية التي تقوم فكرتها الأساسية على قصر المشاكل والقضايا الفلسفية لدراسة صور الجمل المنطقية

(3) "فرانسواز أرمنيكو"، المقاربة التداولية، ص 34.

(4) المرجع نفسه، ص 34.

ويرى"كارناب" أن التحليلَ الفيزيولوجي للسياقات تكونُ فيه الأعضاءُ الصوتية والجهاز العصبي قاعدة في علاقته بالنشاطات الشفوية، فالتحليل السيكولوجي للعلاقات بين السلوك الشفوي والسلوكات الأخرى والدراسات السيكولوجية لمختلف المعاني المصاحبة لنفس الكلمة عند مختلف الأفراد والدراسات الأنتولوجية السوسيولوجية لطرق الكلام، واختلافاتها بحسب الجماعات والأعمار والطبقات الاجتماعية ودراسة الطرق المستعملة من طرف العلماء لتسجيل نتائج تجاربهم.. إلخ.

وحين يقولُ"كارناب" بأن التداولية هي قاعدة كل اللسانيات، فهي بالنسبة له – اللسانيات – درس تجريبي يعارض بالمنطق، إذ يتأسّسُ النحوُ الوصفي للدلالة على معارف تداولية.

فالدلالة الوصفية – الدراسة التجريبية للطوابع الدلالية للغات التاريخية – تعد جزءاً من التداولية، إلا أن المناطقة هم الذين يجعلون من التداولية درسًا شكليًّا أساسيًّا.

ويلاحظ"بارهييل" في مقاله الرائد الذي نشر سنة 1954، بأن"كارناب" يعد المنطقي الوحيد الذي يشير بشكل مباشر إلى تكون حدث اللغات الاصطناعية، التي يدرسها المنطقي بطريقة أصبح معها السياق التداولي لإنتاج جملها دون أهمية تذكر، ولاحظ أيضًا بأن"كارناب" ميز بين نمطين من الخضوع للسياق:

فالنمط الأول: غير أساسي، حين يكون السياق الدقيق لجملة ما مكوَّنًا من الجمل التي تليها.

والنمط الثاني: وهو أساسي، حين يكون السياق الدقيق خارج اللسانيات، وبحكم هذا التقيد المباشر عند المناطقة الآخرين الخاص باللغات غير الإشارية، فإن النموَّ الملحوظ للنحو المنطقي والدلالة المنطقية خلال العقدين الآخرين، لم يكن له

سوى أهمية محدودة في دراسة اللغات الإشارية.

وتعود قيود "كارناب" إلى سببين: إذ تكفي في البداية اللغات غير الإشارية في تشكيل العلوم، وفي الدرجة الثانية يعدُّ منطقُ اللغات غير الإشارية ضعيفًا؛ إذ على هذه اللغات أن تنمى قبل كل شيء، وفي هذا يقول "بارهييل": «لقد بلغ المنطق اليوم نموًّا كافيًا و لم يعد تشكيل العلم هو الوظيفة الوحيدة للغة، فليس بإمكاننا إذن تنحية المهمة الشاقة لتحليل العمل المعقد للتعبيرات الإشارية»[1].

برنامج هانسون 1974،

أسهم "هانسون" بتطوير التداولية، وهو أول من حاول التوحيد النسقي لها، بتمييزه لثلاث درجات، والعلاقة بكل درجة تعتمد على اعتبار مظهر من مظاهر السياق الذي يغتني ويتعقد من درجة إلى أخرى.

– **تداولية الدرجة الأولى:** هي دراسةٌ للرموز الإشارية، أي للتعابير المبهمة حتمًا من ظروف الوجودي والإجمالي وهو المخاطبون ومحددات الفضاء والزمن، وتندرج ضمنَ هذه التداولية أطروحة "بول كوشية" ومعالجة الرموز الإشارية عند "بارهييل" والمحاولة الاختزالية "لروسل".

– **تداولية الدرجة الثانية:** (المعنى الحرفي والمعنى المتواصل) هي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات الهامة، إذ على القضية المعبر عنها تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة، وسياقها هو سياق بالمعنى الواسع عند "ستالناكر"، أي أنه يمتد إلى ما يحدس به المخاطبون ضمن هذا النوع من التداولية: التضمين والاقتضاء، والمعنى الحرفي والمعنى السياقي من وجهة نظر "سيرل"، والمعنى الحرفي والمعنى الموضوعي من جهة نظر "ديكرو".

(1) فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ص 35.

– **تداولية الدرجة الثالثة:** هي نظرية أفعال اللغة، ويتعلق الأمر بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية، فأفعال اللغة مسجلة لسانيًا[1].

نظرية الأفعال الكلامية ،(LA theorie des actes de parole)

يتحدّد الفعل الكلامي بتعريفات مختلفة تعود إلى اختلاف المرجعيات الإبستمولوجية التي انطلق منها الدارسون،ومع ذلك فإنّ المتفق عليه هو أنّ تكلُّمَ لغةٍ ما، أو التحدُّث بها يعني تحقيق أفعال لغويّة، وقد شاعَ بين الدارسين استعمال مصطلح الفعل الكلامي على ما في هذه التسمية من تضليل ومجازفة، من حيث ارتباط الكلام بالمظهر المادي الصوتي،ويوصي "جون ليونز" بضرورة، ألاّ يغيبَ على البال أن فعلَ الكلام شاملٌ للمنجز الكلامي والمنجز الكتابي[2]، ويعد الفعل اللغوي محورَ اهتمام الدراسات اللسانية النصية، إذ يمثل التأكيدَ على أشياء، أوإعطاء أوامر، أوإثارة أسئلة، أو القيام بوعود، أو غير ذلك من الأفعال التداولية التي تركّز على تأويل النصوص باعتبارها أفعالاً للغة كالوعود، والتهديدات، والاستفهامات، والطلبات، والأوامر.

وبتعبير أدق فإنّ التداوليةَ تقوم بتحويل مختلف الموضوعات إلى أفعال لغويّة، بل إن التداولية كانت في مبدئها مرادفةً لنظرية الأفعال الكلامية، ولا عجبَ حين عُدّ "أوستين" أبًا لها بالرغم من تكوينه الفلسفي الذي غلب على الاهتمامات اللسانية[3].

(1) فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التداولية، ص 38.

(2) محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، كليّة الآداب جامعة الرباط، المغرب، مجلّة الموصل، معهد اللغة وآدابها تلمسان العدد الأول 1994 ص39.

(3) محمد أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص41.

وللإشارة فإنّ الفعلَ اللغوي يرتبطُ ارتباطًا وثيقًا بالقصد، وقد عني القصد باهتمام كبير في الدراسات التداولية المعاصرة، حيث تناولت هذه الدراسات قضيّة المقاصد والنوايا في الخطاب الأدبي، واللسانية عمومًا في سياق دراستها لقضايا الأفعال اللغوية، وهي قضايا تدخل في صميم البحث عن مقاصد المتكلّم في الخطاب، وهي مقاصد تختلف باختلاف نوايا المتكلّم، والوضعيّة السياقية التي تكشف خطابه[1]. فالأفعالُ اللغويةُ من هذه الوجهة تعدّ مبحثًا أساسيًا لدراسة مقاصد المتكلّم ونواياه، فالقصد يحدد الغرضَ من أي فعل لغويّ، كما يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه، ومن ثمّ يصبح توفر القصد والنيّة مطلبًا أساسيًّا وشرطًا من شروط نجاح الفعل اللغوي، الذي يجب أن يكون متحقّقًا ودالاً على معنى، والبحث عن مثل هذه الشروط يعدّ من الوظائف الأساسيّة للتداوليّة، التي تتجاوز ذلك أيضًا إلى البحث في المميزات المطلوبة في الجمل حتى نتمكن من استعمالها كأفعال لغويّة، فالطلب مثلاً غالبًا ما يأخذ صيغة السوال: "هل بإمكانك أن تعيرني قلمك؟" ولكي يكون الحديث عن أفعال اللغة وافيًا وملمًّا بكل جوانب الموضوع، كان لابدّ من التطرق إلى مساهمات كلّ من "**أوستين** و**سورل**؛ لأن جهودَهما في مجال الحقل التداولي مهمّة وفعّالة، ولعل المبحث الأساسي لأعمالهما التحليلية هو الأفعال الإنشائيّة، وشروط استعمالها في سياقات الحديث المختلفة، كالسؤال والتقرير، كما تبحث عن مختلف الوسائل اللسانية التي يتوفر عليها المتحدثون لكي يتواصلوا ويبلغوا فعل الكلام صراحة أو ضمنًا، وبالأحرى تحليل فعل الكلام بالكشف عن النيّة أو القصديّة الإنشائية التي يبلّغها المتحدث إلى المستمع.

---

(1) المرجع السابق.ص 38.

وقبل هذا لابد من الإشارة إلى البدايات الأولى للأفعال اللغوية عبْر الحقب التاريخية المختلفة، لقد ارتبطت هذه البدايات بدراسة القضايا المنطقيّة في إطار دراسة أقسام الكلام مع الفلاسفة اليونانيين، وبخاصة **أرسطو**، حيث تمّ التمييز بين مجموع القضايا التي تنطبق عليها خاصيّة الصدق والكذب، والصيغ الخبريّة التي تميّزت عن الصيَغ الأخرى، كالأمر والنهي...

وفي العصر الحديث، وتحديدًا عند "**كانط**"، وقعت الصيغةُ الخبرية تحت طائلة نقد مؤدّاه: أنّ هناك جملاً لها هذه الصيغة، لكنّها لاتقبل الصدقَ والكذب، وأنها بالتالي تخرج من مجال المنطق والفلسفة، ونتيجةً لهذا النقد تكوَّن الاتجاهُ الوضعيّ الذي عمل على إزاحة جزء كبير من الجمل التي تقبل الصدقَ والكذبَ.

وربما عدّ الفيلسوف الإنجليزي "**أوستين**" من أهمّ الدارسين الذين قدّموا جهودًا معتبرة في هذا المجال، حيث قامَ بتمييز نوع الجمل التي تحمل الصيغة الخبريّة ممّا لا يقبل الصدق والكذب[1]، وقسّم الجملةَ الخبريّة إلى إنشائية ووصفية، وهو ينطلق في هذا التقسيم من أقسام الجملة الإنجليزيّة التالية:

أمريّة واستفهاميّة وخبرية، فالجمل الإنشائيّة عنده تحمل معنى الفعل، أي يراد الفعل، بينما يراد بالجمل الوصفيّة الوصف، ولاحظ "**أوستين**" أنّ الجملة الإنشائيّة في النحو الإنجليزي تحتوي على فعل يحمل صيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد، كما أضاف الكثير في مجال الأفعال الكلاميّة، كإطلاقه لقيمتي-صائبة وخاطئة - بدلاً من لفظي - صادقة وكاذبة -، وقال بتقسيم الجملة الإنشائية - التي لاحظ أنّ بعضَها لا يحتوي على الفعل المذكور سابقًا، ومع هذا فإن التلفظ بها معناه القيام بفعل معين لا وصفًا يقبل الصدقَ والكذب- إلى:

---

(1) محمود أحمد نحلة، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، مجلد 01، عدد1999، 01، ص161.

- إنشائيات أوّليّة.

- إنشائيات صريحة.

لكنّ هذا التقسيم الذي وضعه "أوستين" للجمل الإنشائية عرف نوعًا من التعقيد والتداخل، بين الجمل التي تقبل الصدق بما لا يقبله.

ومن خلال كلّ ما تقدّم نلاحظ أنّ اتجاه "**أوستين**" اللغوي في مجال الدراسات التداولية ومذهبه الخاص يرى أنّ وظيفةَ اللغة هي استعمالٌ وإنجاز لمجموعة من الأفعال اللغوية، ممّا جعله يتجاوز مستوى الجملة، والنّظرة التي ترى في الجملة أداةً للتواصل الإنساني، إلى الأفعال اللغوية باعتبارها أصغرَ وحدة للتواصل.

ولقد سميّ هذا الاتجاه بالاتجاه الأوستيني نسبةً إليه، حيث يُعتبر أكسفورد جون. ل. أوستن رائد الاعتقاد السائد في النظرية الكلاسيكية لأفعال اللغة، أنّ الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني ليست هي الجملة، ولا أي تعبير آخر بل هي استعمال إنجاز بعض أنماط الأفعال[1]، نظرًا لما تمتلكه الأفعالُ من قدرةٍ في تجسيد خاصيّة الاستعمال، والإنجاز لما يتمتّع به الفعلُ من حركية، وحيويّة، لأنّه يتضمّن معنى الحدث.

فالنصّ السابق يترجم اتجاه "**أوستين**" اللغوي في مجال الدراسات التداولية ومذهبه الخاص الذي يرى أنّ وظيفة اللغة هي استعمال، وإنجاز لمجموعة من الأفعال الكلاميّة، ممّا يجعله يتجاوز مستوى الجملة، والنظرة التي ترى في الجملة أداة للتواصل الإنساني، إلى الأفعال اللغوية باعتبارها أصغر وحدة للتواصل، ومن هنا تفرّع اتجاه "**أوستن**" في دراسة اللغة إلى ثلاث توجّهات هي:

أ) دراسة الأعمال في ذاتها.

(1) فرانسواز أرمينكو، المقارنة التداولية، ترجمة سعيد علوش م.س ص60.

ب) دراسة الأعمال عن طريق المحادثة، وسبيل المتكلّم في التعبير عن نفسه بصورة تجعل المخاطب قادرًا على فَهْم مقصده، باستعمال عمليات ذهنيّة معيّنة، وأشهر أعلامه "**غرايس**".

ج) دراسة متضمّنات القول، والافتراضات المسبقة، والمحاججة. وأشهر أعلامها "**دي كرو**"[1].

كامتداد للاتجاه الأوستيني ظهرت مجموعة من التيارات التي تنطلق من أفكار **أوستن** في الكثير من القضايا. وتكوّن خارج هذا الاتجاه أيضًا تيارٌ يضمّ مجموعةً من الباحثين الذين تخلّوا عن أهم مبادئ أوستين، ولم يكن التيار الذي انضووا تحته إلاّ نتيجةً لحركة أوستين التداولية، كما تشكّل خارج هذا الاتجاه أيضًا اتجاه آخر متأثر بأعمال **بنفنيست وجاكبسون**، يهتم بدراسة التخاطب بالدرجة الأولى.

ونشأت أيضًا مجموعة من المدارس التي تصبّ اهتمامها على الدراسات النحويّة، والتي تكوّن بعضها في **إنجلترا** وبعضها الآخر في **أمريكا**.

ومن المدارس **الإنجليزية** مدرسة **أكسفورد** التي تهتم بدراسة السياق، وهي في ذلك تقتدي بنظرية **بمالينيفسكي** الذي اهتمّ بدراسة العلامة ضمن المؤسسة الاجتماعيّة، ولقد انطلق جي أل أوستين من هذه المنطلقات المنهجية والنظرية في إرساء معالم نظريته التداولية في أفعال الكلام، أمّا المدارس الأمريكيّة فإنّ أغلبها كان متأثرًا بالحركات المنطقية التي ظهرت آنذاك. بالإضافة إلى وجود نوع آخر من هذه المدارس، التي تأثّر أصحابُها بأعمال **سورل** أحد روّاد نظريّة أفعال اللغة، وقدنحا نفس منحى **أوستين** فيما ذهب إليه بالنسبة للأفعال المنجزة، إذ لا يمكن

(1) عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانيّة م.س ص96.

إنجاز أفعال لغويّة إلاّ من خلال علاقاتها بالمقاطع الأخرى في الجمل، أوالنصّ، إلاّ أنّ **سيرل** وجّه بعض الانتقادات الرّامية إلى وجود بعض النقائص في دراسات أوستن للأفعال اللغوية، التي لم تبْن على أصول واضحة، بالإضافة إلى وجود بعض التداخل بين مجموعات الأفعال اللغويّة.نظرًا لعدم وضوح الأساس الذي قسّم من خلاله هذه الأفعال[1]. وكذلك فإنّ جهود (أوستن) في هذا المجال كانت موجّهة نحو دراسة الألفاظ وليس الأفعال، أي دراسة لفظ الفعل وليس الفعل منجزًا بكلّ ما يحمله من حركيّة ومادية، وهذا ما أشار إليه **سيرل** عندما أكّد على أنّ أصل المشكلة في تقسيم **أوستن** أنّه عبارة عن تقسيم لألفاظ الأفعال الموضوعة للدلالة على الأفعال الكلامية وليس نظرة إلى ذات تلك الأفعال.ومن ثمّ فإنّ مساهمات **سيرل** في هذا المجال تعد مهمّة وفعّالة.

وهذا لانطلاقه من أن نظرية الأفعال الكلامية لا تكون إلاّ بالرجوع إلى الفعل، ومن هذا المنطلق بالذات عمل على تحليل الفعل اللغوي إلى قوى متضمّنة في القول، ومنه ميّز بين فعل القول، والفعل المتضمّن في القول، وهو أهمّ ما جاء به **سيرل** في مجال نظرية أفعال الكلام، كما عمل على تحديد كلّ العوامل والشروط التي تسهم في نجاح الفعل اللغوي، وعده لهذه الشروط بمثابة المنهج الذي سار وفقه لتحديد فعل أنموذجيّ ناجح، وهي كالآتي: الغرض المتضمّن في القول، ونمط

(1) قسم أوستن الأفعال الكلامية إلى:
- الحكميات (**verdicatives**)
- الإنفاذيات (**Exercitives**)
- الوعديات (**commissives**)
- السلوكيات (**Behabitives**)
- التبيينيات (**Exposition**):انظر طالب هاسم طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية،ص67.

الانجاز، ودرجة الشدّة للغرض المتضمّن في القول وشرط المحتوى القضوي، والشروط المعدّة، وشرط الصّراحة، ودرجة القوّة في شرط الصّراحة[1].

الفعل الإنجازي

إنّ إنجاز فعل من أفعال اللغة يكون من خلال النطق بجملة أو عدّة جمل في سياق مناسب لها، فالتلفّظ بالجملة التالية:هل تستطيع مساعدتي لدفع السيارة؟ يندرج في إنجاز فعل الطلب[2]، والإنجاز يتضمّن معنى الحديث والحركيّة التي تعني بدورها التغيير الدائم وهذا التغيير يقتضي تغييرًا في العوالم، والأماكن، والأزمان.

والأفعال الإنجازية نوعان: تلك التي تقوم في حال إيقاع الفعل مع زيادة حدث كنتيجة، مثل: فتح الباب، دفع النافذة بعنف، وأكل تفاحة[3]. هذا وميز أوستين بين نوعين من الأفعال الأدائية[4] هي:

– **الأدائيات الواضحة**: مثل فعل الوعد.

– **الأدائيات الأولية**: ومثالها أن يعطي المتكلم وعدًا دون اللجوء إلى فعل الوعد، كقوله:سأدفع لك ما تطلب من ثمن للبضاعة، ويذهب أسوالد دي كرو إلى أن الإنجازية تشمل بالإضافة إلى ماحدد سلفًا في النظرية الأوستينية، الإفتراض الذي هو وسيلة مقدمة من طرف اللغة للإجابة عن متطلبات الضمني، ويكون الافتراض شرطًا في الفعل الإنشائي حتى لا تكون هناك خيبة أمل، وربما مثل له

(1) طالب هاشم طبطبائي،نظرية الأفعال الكلاميةص 68-70.

(2) إلرود إيش وآخرون،نظرية الأدب في القرن العشرين،ترجمة محمد العمري،أفريقيا،الشرق، الدار البيضاء، 1996-1997 ص66.

(3) فان ديك، النص والسياق ص 236.

(4) صلاح إسماعيل عبد الحق،التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد،دار التنوير، بيروت، 1993، ص143.

بالقول المضمر الذي يحلل معناه في ضوء قانون الشمولية مثل، مفتوح يوم الثلاثاء فقط، أو فعل الطلب الضمني مثل قولنا: «هل يمكنك غلق الباب»[1]، إن التداولية لاتحصر اهتمامها بالبحث في النصوص معزولة،بل تركز على شروط الأفعال التي تتمحور حول النصوص الأدبية[2]، التي تتحوّل إلى أفعال لغويّة كبرى انطلاقًا من مجموعة المتواليات الفعلية الصّغرى، التي تكوّن النصّ.

ولكي يكون الحديث عن الأفعال الإنجازية وافيًا،كان لابدّ من الإشارة إلى **فان ديك**[3]، الذي يربط بين الأفعال الإنجازية،و التأويل السيميائي؛لأنّ الفعل المنجز يتطلّب متلقيًا، يعمل على تأويل ما يتلقاه وفق عدّة معطيات مُتعلقة بالتواضع والسياق وأحواله. ويتوقف التأويل عند **فان ديك** على مدى استجابة المتلقي للرّسالة، وكذلك على مدى قدرة المرسل على تبليغ خطابه، والتعبير عن قصده لتحقيق التواصل، كما أكّد على أنّ الأعمال الفلسفية والمنطقية السابقة في مجال التداوليات من أهم المواضيع والأبحاث في النظريّة اللّسانية العامة، وأنّ استعمال

(1) جون سرفوني،اللسانيات والتداولية،ترجمو الحاج ذهبية، التبيين، الجاحظية، العدد 19،2002، الجزائر، ص75.

(2) زيكفريد.ج. التواصل الأدبي، ترجمة نزار التحديتي،مجلّة العرب، والفكر العالمي، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي العدد 46، بيروت، باريس، 1987 ص 53.

(3) يؤكد فان ديك علىأنّ أصول التداولية، فلسفية تمتدّ إلى أعمال الفلاسفة والمناطقة الذين كانت نظرياتهم محور اهتمام الدراسات اللسانية الحديثة،لأنّ أغلب رواد هذه النظرية هم فلاسفة في الأصل، أي أنّها بقيت محافظة على الأصل والطابع الفلسفي الذي يميّزها إلى يومنا هذا، والكثير من الباحثين اليوم يعد التداولية أداة عقلية، وهو ما قال به (فان ديك) من خلال تبنيه الرأي القائل: "إنّ قدرتنا في التكلّم هي جوهر فلسفة العقل "إضافة إلى أنّ قضية استعمال اللغة ليس عملاً فرديًا بل عملية اجتماعيّة تتم من خلال تفاعل الأفراد فيما بينهم [انظر فان ديك النص والسياق ص 227].

اللغة ليس معناه إنجاز فعل خاصّ،وإنّما هو جزءٌ من التفاعل الاجتماعي؛ أي أنّه ليس عملاً فرديًا؛ بل هو عملية يتم من خلالها تفاعل الأفراد فيما بينهم داخل المؤسسة الاجتماعية لتلبية احتياجاتهم، مما يجعل الطابع الوظيفي للغة مهيمنًا، ومن هنا يربط **فان ديك** التداولية بالأفعال اللغوية؛لأنّها تمثّل الجزء النّاطق والحيويّ من اللغة،وهذه الأفعال اللغوية تفتح الباب واسعًا للتأويلات السيميائية.

إن نظريةَ الأفعال ضمن إطار القوانين والأعراف الاجتماعية ما هي إلا نظرية للذرائعية الاجتماعية على حدّ تصور جون ليونز[1].

۞ ۞ ۞

(1) جون لاينز،اللغة والمعنى والسياق،ص193.

الخاتمة

تصورنا لما يمكن أن يدرس في المدارس اللسانية :

إن طبيعة هذا الجهد الذي ينحو منحىً تعليميًا يفرض أن تكون الخاتمة في شكل تصوُّرٍ عام لما يمكن أن يُدَرَّس للطالب المتخصص في علم اللسان، فيما يخص نشأة المدارس اللسانية وتطورها ومبادئها، ويمكن أن نقترح تقديم جزء من المادة اللسانية الخاصة بتاريخ اللسانيات في القديم، والتطورات التي عرفتها في القرون الوسطى، ثم التركيز على جهود العلماء في القرون الموالية (17، 18، 19) عصر الدراسات التاريخية والمقارنة، ولا يكون هذا في السنة الرابعة، بل في مرحلة أسبق، وليكن في مقياس اللسانيات العامة كمدخل، شريطةَ أن يوفى العرض حق الجهد العقلي المبذول، ولا يكتفى بالتفكير اللساني في البلاد الغربية، بل أيضا عند العرب، فكثير من طلبة القسم يعدمون المعرفة بتطور العلم اللغوي والربط بين مراحل هذا التطور، والعوامل التي ساعدت على بناء نظريات لسانية هامة، انطلقت من آراء الخليل وسيبويه والرَّضِي والجرجاني وابن خلدون وابن حزم، ووجدت في الأبحاث القرآنية وعلوم الأصول والتفسير والبلاغة.

يمكن تحديد مجموعة من المدارس اللسانية العامة التي عنيت بدراسة ظاهرة اللسان البشري لذاته، على أساس شهرتها وتمايزها فيما بينها مثل مدرسة جنيف، والمدرسة الوظيفية، والغلوسيماتيكية، والسياقية (فيرث)، والتوزيعية، والتوليدية التفريعية، ويمكن أن يكون تقسيم المدارس إلى قسمين، هما :

1) المدرسة البنيوية.
2) المدرسة الذهنية.

كما يمكن إضافة مدخل تعريفي بالنظرية الخليلية وآفاقها كمشروع يمكن توسيعه مستقبلاً.

وتحديد مجموعة من المدارس اللسانية الخاصة التي عنيت بدراسة ظاهرة اللسان البشري من زاوية معينة، مثل: اللسانيات التطبيقية واللسانيات الأنثروبولوجية واللسانيات الرياضية واللسانيات الكمية والترجمة الآلية واللسانيات التداولية واللسانيات الاجتماعية ومدارس الدراسات السلافية والمدرسة الخليلية.

وأخيرًا آملُ أن أكون قد وُفِّقت بعناية الله في عرض ما تسنى عرضه من أهم المدارس اللسانية على أن تعني دراسات أخرى بقيادات أخرى.

والله الموفق،،

✿✿✿

أهم المصادر والمرجع

أولا: الكتب العربية والمترجمة:

1) **إبراهيم مصطفى:**

- إحياء النحو ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ،ط02 ،1937.

2) **أحمد حساني:**

- مباحث في اللسانيات ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1994.

3) **أحمد محمد قدور:**

- مبادئ في اللسانيات، دار الفكر المعاصر، ط2، 1999.

4) **أحمد مختار عمر:**

- علم الدلالة ،عالم الكتب ،بيروت ،ط4 ،1993.

5) **أحمد نعيم الكراعين:**

- علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ،المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت، ط1.

6) **أنور الجندي:**

- اللغة العربية بين حماتها وخصومها ، مطبعة الرسالة ،بيروت .

7) **إدوارد إيش وآخرون :**

- نظرية الأدب في القرن العشرين، تر/محمد العمري ،إفريقيا الشرق ،1996.

8) **جون ليونز:**

- شومسكي ،ترمحمد زياد بركة، النادي الأدبي، الرياض 1987.

9) **الجيلالي دلاش**

- مدخل إلى اللسانيات التداولية ،تر محمد يحياتن ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1992.

10) **جيفري سامسون:**

- المدارس اللغوية التطور والصراع ،تر أحمد نعيم الكراعين ، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر .

11) **حامد خليل:**

- المنطق البراغماتي عند شارل بيرس، دار الينابيع للطباعة والنشر ،دمشق .

12) **حلمي خليل:**

- العربية وعلم اللغة البنيوي ،دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1995.

-دراسات في اللسانيات التطبيقية ،دار المعرفة الجامعية ،2000.

- نظرية تشومسكي اللغوية، تر حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية ط1، 1985.

13) **حنفي بن عيسى:**

- علم النفس اللغوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2002.

14) **ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي)**

- المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1993.

15) **خليل أحمد عمايرة:**

- في نحو العربية وتراكيبها (منهج وتطبيق) عالم المعرفة ط1، 1984.

16) **رمضان عبد التواب :**

- فصول في فقه اللغة ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط1987،03.

17) **ر.هـ روبنز:**

- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر/ أحمد عوض ، عالم المعرفة، الكويت .

18) **رونال ايلوار:**

- مدخل إلى اللسانيات .تر بدر الدين القاسم. منشورات وزارة التعليم العالي.السورية 1980.

19) سامي عباد:
- معجم اللسانيات الحديثة ، مكتبة لبنان ناشرون .
20) سليم باب عمروباني عميري:
- اللسانيات العامة الميسرة (علم التراكيب) الجزائر 1990.
21) صالح الكشو:
- مدخل في اللسانيات الدار العربية للكتاب 1985.
22) صلاح إسماعيل:
- التحليل اللغوي عند مدرسة إكسفورد ،دار التنوير ، بيروت ،1993 .
23) صلاح فضل :
- بلاغة الخطاب وعلم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،دت .
24) عبد السلام المسدي :
- التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب ،تونس -ليبيا ،ط2 ،1986.
25) عبد العزيز عتيق :
- المدخل إلى علم الصرف ،دار النهضة العربية ،1974.
26) عبد القادر الفاسي الفهري :
- اللسانيات واللغة العربية .منشورات عويدات ، بيروت ط1، 1986.
27) عبد الغفار حامد هلال:
- العربية خصائصها وسماتها ، مطبعة الجبلاوي ،ط1990،4.
28) علي زوين:
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، بغداد ،ط1986،1.
29) فان ديك:
-النص والسياق ،تر عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 199

30) فاطمة الطبال بركة:
- النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون ، دراسة ونصوص ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ،ط1،1993.
31) فايز الداية:
- علم الدلالة العربي ، دار الفكر المعاصر ،بيروت ،ط2 ،1996.
32) فردينان دي سوسير:
- محاضرات في الألسنية العامة، تر/ يوسف غازي . المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986.
33) فرانسواز أرمنيكو:
- المقاربة التداولية ، تر سعيد علوش ،مركز الإنماء القومي ،الرباط،1986.
34) فؤاد كامل :
- أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،دار الجيل ، بيروت ،ط1993،1.
35) محمد أحمد أبو الفرج:
- المعاجم اللغوية في دراسات علم اللغة الحديث ،
36) محمد أحمد نحلة :
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،
-مدخل إلى دراسة الجملة العربية . دار النهضة العربية . بيروت 1988.
37) محمد حماد :
- محاضرات عن المدارس اللغوية الحديثة ، دار الثقافة العربية ،1998.
38) محمد الشايب وآخرون :
- أهم المدارس اللسانية . منشورات المعهد القومي لعلوم التربية .تونس ط1 1983.
39) محمد عيد:
- الملكة اللسانية عند ابن خلدون .عالم الكتب 1979.

40) محمود فهمي حجازي:

- مدخل إلى علم اللغة . دار قباء 1998.

41) مجموعة من الباحثين :

- مفهومات في بية النص تر/ وائل بركات.دار معهد سوريا .1986.

42) مازن الوعر :

- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية . دار طلاس. دمشق ط1 1987.

43) ماريو باي :

- أسس علم اللغة ، تر أحمد مختار عمر ،عالم الكتب ،بيروت ،ط1998،8.

44) ميشال زكريا :

- الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) الموسسة الجامعية ط1986.2.

- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) الموسسة الجامعية ط1 1984.

- قضايا ألسنية تطبيقية دار العلم للملايين 1993.

- الألسنية التوليدية والتحويلية (علم الدلالات) الموسسة الجامعية ط2 بيروت 1986.

- الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام ط2 الموسسة الجامعية 1983.

نوام تشومسكي

- البنى التركيبية .تر/ يؤيل يوسف عزيز . منشورات عيون ط1 1987.

- المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها تر/ محمد فتيح دار الفكر العربي ط1 1993.

45) هوبرت بركلي :

-مقدمة إلى علم الدلالة الألسني ،تر قاسم المقداد ،منشورات وزارة الثقافة ، سوريا،1990.

46) ابن يعيش:

- شرح المفصل عالم الكتب بيروت ج1/20-21.

ثانيًا -المجلات:

- عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب المجلد 27 العدد 01 1998.

- اللسانيات جامعة الجزائر العدد 06 1982.

- الوصل ،معهد اللغة وآدابها ،جامعة تلمسان ،العدد1994،01.

- الدراسات اللغوية ، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث ،الرياض ، مجلد 01، عدد01، 1999.

-الفكر العربي المعاصر ،مركز الإنماء القومي ،بيروت –باريس ،عدد46.

- التبيين ، جمعية الجاحظية ،العدد، الجزائر2002،19.

المراجع الأجنبية

Maurice Leroy

Les grands courents de la linguistique moderne .Bruxelles.1970

Louiss Kuknheim

Contribution à l' histoire de la grammaire Greque latine .et Hebraique a L'é epoque de la renaissance.Lidan .1951.

Kristeva Julia

Le langague.cet inconnu. Seuil. Paris. 1981

Giorges ;ouunin . Histoire de linguistique des origines au 20ème Siècle. Paris .1970.

فهرس الموضوعات